

وني مانديلا

WINNIE MANDELA

شيء من روحي

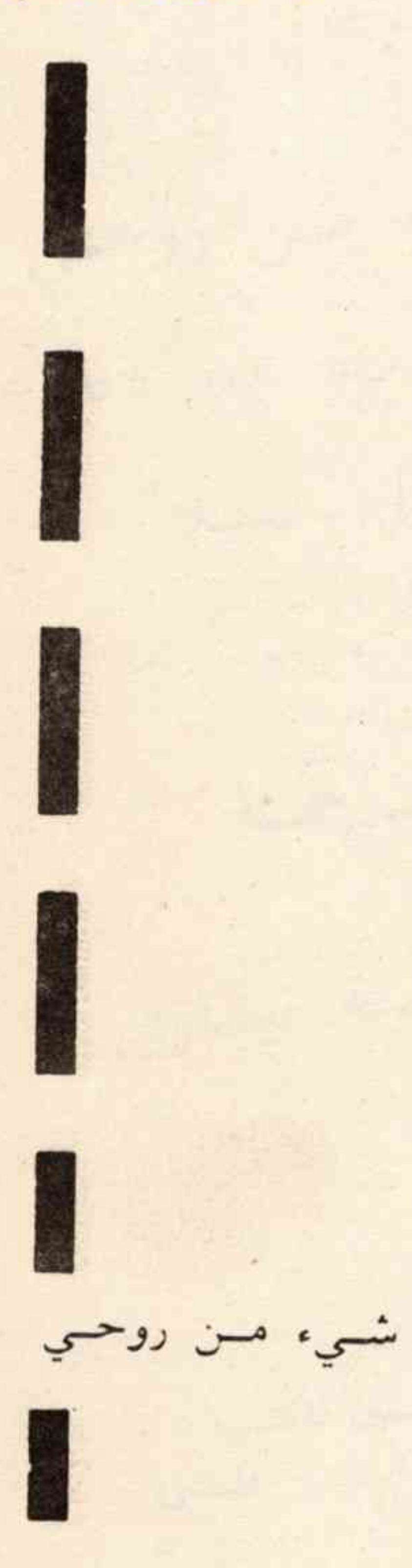
Part of My Soul

ترجمة

سهيلة نيازي

بيت سين للكتب


م. سرمد حاتم شكر


شيء من روحي

شـــيء مـــن روحـــي

Part of my Soul

ونـي مـانـديـلا

....

تــرجمــة

سهيلـــة نيـــازي

بيـت سيـن للكتـب
العراق - بغداد - المنصور

الطبعة الاولى
١٩٩٠



بيت سين للكتب
العراق - بغداد - المنصور
ص . ب ٦٢٨٣
هاتف ٥٤١٨٩٤٥

التنضيد بالليزر بيت سين للكتب

شـيء مـن روحي

Part Of My Soul

Winnie Mandela

- كلمة المترجمة -

ان الكتاب الذي بين يديك أيها القارىء العزيز فريد من نوعه. ليس هو الكتاب الذي يحكي سيرة حياة بأسلوب رفيع منمق كما هي الحال في كتب السيرة وانما جاء بأسلوب عفوي خال من التكلف نقلته الكاتبة بصدق عن اشرطة التسجيل التي تم تسجيلها اثناء مقابلاتها العديدة مع السيدة مانديلا في منفاها. وقد روعي في نقله الى العربية الاحتفاظ بهذه البساطة في التعبير آملين ان يجد فيه القارىء مايفيد.

يلقي الكتاب الضوء على جوانب معينة من حياة المناضلة الافريقية ونـي مانديلا وزوجها الزعيم نيلسون مانديلا الذي حكم عليه بالسجن المؤبد مع عدد من القادة المناضلين منذ اكثر من ربع قرن لأنهم وقفوا وقفة بطولة ورفضوا التساوم مع الحكومة العنصرية في جنوب افريقيا ، هذا الزعيم الذي شغل العالم واقلق حكومة بريتوريا وهو سجين اكثر منه وهو طليق. فالكتاب يعكس جوانب مهمة في حركات النضال من اجل قضية عادلة ويكشف عن صور فريدة من التضحية والتفاني.

لقد احتفل المجتمع الدولي بشيبه وشبابه في كل مكان في العالم في ١٨ تموز الماضي ١٩٨٨ بعيد ميلاد نيلسون مانديلا السبعين واطلق عليه لقب " سجين العصر " - هذا المناضل الذي اصبح على الرغم من سنوات سجنه الطويلة ، الاب الروحي للحركات النضالية وصار اغنية وحكاية ترددها الشبيبة المحبة للحرية والسلام ، كما اطلق على زوجته ونـي مانديلا لقب " ماما افريقيا " لأنها اصبحت هي الاخرى رمزا وتجسيدا نضاليا لكل ماهو افريقي. فهي المرأة - الرجل التي وقفت ولازالت تقف شامخة تتحدى قوى الغدر والاغتصاب فسجنت ونفيت

وعذبت ولكنها ظلت تعمل من غير كلل على حقن روح النضال في نفوس الشعب وكلها امل أن يوم النصر لقريب .

ولعل في الاطلاع على بعض الاحداث التي ترويها السيدة مانديلا يجد القارىء وبشكل واضح أن السياسة العنصرية والتجاوز على الحقوق وسلب الارض من اصحابها الشرعيين هي واحدة اينما وجدت. فالشبه كبير بين اطفال سويتو الذين خرجوا سنة ١٩٧٦ بمظاهرة احتجاج وهم يحملون الحجارة واغطية صفائح القمامة لحماية انفسهم من النار التي واجهتهم بها السلطة في جنوب افريقيا وبين اطفالنا اطفال الحجارة في الارض المحتلة من وطننا الحبيب .

سوف لن يهمل التاريخ هذه الصورة الناصعة من النضال وستسجل بأحرف من نور لتقرأها الاجيال القادمة وتتخذ منها دروسا وعبرا من اجل ايقاظ الضمير البشري الذي استهان بالقيم الانسانية في بقاع كثيرة من هذا العالم الواسع .

سهيلة اسعد نيازي

بغداد - ١٩٨٩

" شيء من روحي ".

ولدت وني مانديلا واسمها الكامل نومزامو وينفرد ماديكيزيلا في ايلول ١٩٣٤ في قرية صغيرة في ترانزكي في جنوب افريقيا . درست في جوهانزبرغ واصبحت اول باحثة اجتماعية سوداء في جنوب افريقيا . في ١٩٥٨ تزوجت من نيلسون مانديلا زعيم حركة التحرير السوداء الكبير واصبحت زميلته في العمل السياسي وشاركته نشاطه السياسي الذي كان يقوم به في الخفاء طوال سنوات من الخطر والتحدي وعاشت مرارة الفراق عندما القي القبض عليه سنة ١٩٦٢ وحكم عليه بالسجن المؤبد سنة ١٩٦٤ في محاكمات ريفونيا . ومنذ ذلك الحين تعرضت السيدة مانديلا باستمرار الى التوقيف والاقامة الجبرية والسجن والعيش تحت قيود فرضتها عليها السلطة . ونفيت اخيرا الى مستوطنة سوداء في براندفورت في اورنج فري ستيت . وتعكس الحقائق العارية عن حياتها قصة اضطهاد استثنائية غير انها استطاعت الوقوف في وجه الظروف القاسية التي تعرضت لها بقوة وصمود . وكانت زياراتها لزوجها في السجن تزيدها قوة اذ هي تشحن بطارياتها ، على حد قولها .

اصبحت عائلة مانديلا على مر السنين رمزا للكفاح من اجل الحرية في جنوب افريقيا. وكما قالت السيدة مانديلا - "انني ومنذ امد بعيد لا اعيش كفرد . فالمبادىء والاهداف السياسية التي امثلها هي مبادىء واهداف الشعب في هذه البلاد .... وعندما يرسلونني الى المنفى فهم لا يبعدون شخصا بل انهم يعتقدون انما يبعدون الاهداف السياسية التي نكافح من اجلها غير ان التاريخ لم ولن يسمح لهم بذلك".

كلمة التحرير

ليست هذه سيرة ذاتية للسيدة مانديلا بالمفهوم التقليدي لأن القيود المفروضة عليها من قبل الحكومة وكذلك نشاطاتها في حركة التحرير لاتسمح لها بكتابة كتاب عن حياتها .كما انها لا ترغب في الكلام عن نفسها اذ انها لا ترى نفسها بالشيء المهم بالنسبة الى ماهو اهم الا وهو النضال من اجل الحرية.

لقد سمحت لي وني مانديلا بتسجيل مقابلاتي معها على شريط لفترة من الزمن كما ائتمنتني برسائل من زوجها تلك التي كتبها لها وهو في السجن وبعض الوثائق الاخرى لانتقاء مانحتاجه للنشر . لقد تم تجميع هذا الكتاب خارج جنوب افريقيا وعلى الرغم من أن السيدة مانديلا على علم بهذا المشروع غير انها لم تستطع الاطلاع على المسودة بكل تفاصيلها قبل الطبع وهكذا الحال مع الأشخاص الاخرين الذين التقينا بهم . لذا فأن مسؤولية تحرير المقابلات وانتقاء الوثائق والحذف والاخطاء تقع على عاتقي شخصيا.

اقدم شكري وتقديري للسيدة ميري بنسون صديقة عائلة ماندیلا ومؤلفة كتاب حياة نيلسون ماندیلا لما قدمته من ملاحظات وما اجرته من تعديلات فيما يتعلق بحركة تحرير جنوب افريقيا وحياة الزعيم نيلسون ماندیلا .

آن بنجامين
ايلول ١٩٨٥

- المقدمة -

اذا رغبت في زيارة وني مانديلا فعليك ان تأخذ الطائرة من جوهانزبرغ الى بلومفونتين عاصمة اورانج فري ستيت وان تستأجر سيارة تقلك الى براندفورت لقطع المسافة المتبقية وهي اربعين ميل من المطار . ومن الافضل ان تأخذ الطائرة كما افعل انا على الاغلب خصوصا اذا اردت العودة الى جوهانزبرغ في اليوم نفسه لأن براندفورت تبعد بمقدار ثلاثمائة ميل والطرق وعرة جدا .

تقطع الطريق بين بلومفونتين وبراندفورت مساحات واسعة من الريف ذات السحر الخاص الممتدة على مد البصر مع بعض الجبال ذات القمم المسطحة . ولعل هذه الجبال ظاهرة جغرافية غريبة وهي منتشرة في هذا السهل الواسع في اورانج فري ستيت . وترى بين الفينة والاخرى مجموعات من الاشجار المتقاربة التي تحمي الحقول من الشمس المحرقة في فصل الصيف ومن عواصف الشتاء الثلجية . كما تمتد اراضي عشبية واسعة مع مضخات للماء هنا وهناك تبعث دواليبها الهوائية ايقاعا مملا على المنطقة الريفية بكاملها . وفي المساء تبدو معتمة امام حمرة الشمس الغائبة التي تبعث الحياة والاحساس الشعري بهذا المنظر الخاوي . هذه هي السهول - قلب منطقة الافريكانيين (المستوطنين البيض في افريقيا) المسماة اورنج فري ستيت .

لقد سبق لي ان قطعت هذه الطريق الى براندفورت عدة مرات وباوقات مختلفة من النهار وفي فصول مختلفة ووجدت ان

هذا الجزء من البلاد يبقى كما هو لا يتغير ، صلب بحدوده وخال من الظلال وكأنه خال من الحياة ، ومن التغيير ، وحتى من الزمن . ولعل هذا ماقصده احد اصدقائي عندما وصف المكان على انه (شيء قديم ميت) يناسب سكانه .

عندما تأسست اورنج فري ستيت سنة ١٩٥٤ كجمهورية بورية مستقلة ارادت جماعة من المستوطنين تطبيق دستور موسى كجزء من نظام الحكم فيها .

المزارعون الذين يعيشون على طول الطريق المؤدية الى براندفورت وبشكل متباعد والذين كأسلافهم يربون الماشية والغنم ويحملون القابا مثل (بريتوريوس) و(اولي) و(ريتيف) و(بوتكيتر) يعتقدون ان هذه الارض التي لم يسكنهااحد قبل ان يغتصبوها هي "عطاء من عند الله القدير الذي ارشدهم اليها من جيل الى آخر وانقذهم من المصاعب التي واجهوها وانقذهم منها باعجوبة وجمعهم من اقطار مختلفة ومنحهم اياها . هذا مايعتقده البوريون* وماتشير اليه مقدمة دستور حكومة جنوب افريقيا بشكل لايقبل التغيير او النقاش.

كان على البوريين ان يعلموا ان هذه الارض لم تكن "غير مسكونة" سنة ١٨٣٦ اذ ان الدكتور اندرو سميث المبعوث من قبل ادارة حكومة مستعمرة كيب البريطانية كان قد قدم تقريرا مسهبا عن هذه البقعة من الارض التي صارت تعرف اليوم بـ فري ستيت مفاده : " كانت هذه المنطقة مسكونة من

---

* البوريون هم سكان جنوب افريقيا من اصل هولندي قدموا الى جنوب افريقيا في القرن السابع عشر وبعد حروب مع الانكليز اصبحت المنطقة تابعة لبريطانيا (المترجمة).

قبل جماعات وثنية صغيرة وهي في حالة توتر سياسي وتحكمها السيدة مانشا تيسي ارملة زعيم سوثو المتنفذ وهي امرأة حادة الذكاء والجمال والعبقرية السياسية."

برانفورت نموذج لمدينة افريكانية صغيرة وتعتبر مدينة بيضاء على الرغم من ان عدد السكان البيض فيها لا يزيد على ربع سكانها الاصليين حيث يعيش فيها ثلاثة الاف من البيض وتسعة الاف من السود . ولا دور أو نفوذ للسود الذين هم من سكانها الاصليين والمالكين الشرعيين للارض - والغيتو الذين يسكنونه محجوب عن الانظار ولا يحمل اسما كما حرمت السيدة مانشا تيسي واعوانها من فرصة المشاركة باي تخطيط او تشريع في حكومة البوريين سنة ١٨٣٦ عندما جاءوا مهاجرين الى ارضها واستولوا عليها.

اذا اردنا معرفة السبب وراء تمسك الافريكانيين بالرواية القائلة ان جنوب افريقيا هي منطقة "بيضاء" بمثل هذه القوة والعزم فان ذلك يرجع الى اسباب عدة في مقدمتها الدافع الديني ثم الجشع والخوف والرغبة في التسلط .

عندما منع البريطانيون تجارة الرق والاحتفاظ بالعبيد وحتى بدء تفكيرهم بوضع دستور يؤمن حقوقا متساوية لجميع الاجناس ترك البوريون الكيب . وقد عبرت عن وجهة نظرهم واسباب نزوحهم ابنة اخ رئيسهم بيت ريتيف بهذا الشكل :
" ليست الحرية التي منحت لهم هي السبب في اتخاذنا هذا القرار بل وضعهم في موقع متساو مع المسيحين وهذا ضد قوانين الله والفروق الطبيعية للعرق واللون . ان الرضوخ لمثل هذه العبودية امر لا يطاق بالنسبة لأي مسيحي شريف . لذا وجب علينا الانسحاب من اجل الحفاظ على مبادئنا من التلوث."

ان الحالة في الوقت الحاضر هي صدى هذه المشاعر: ففي

براندفورت عشر كنائس تسع منها للبيض فقط .

لقد زرت براندفورت للمرة الاولى سنة ١٩٧٧ لرغبتي في رؤية المكان الذي اختير لأقامة وني ماانديلا الاجبارية ومقارنة الحالة التي هي عليها الان - ربما بشكل مجازي - مع مواجهة الزعيمة مانثا تيسي مع بيت رتيف سنة ١٨٣٦.

سرت بالسيارة متجاوزة اللافتة التي تحمل اسم المدينة وكذلك مدرسة فولكس وبارك اندريس بريتوريوس. ولكي لا الفت الانتباه اوقفت سيارتي بعيدا وسرت الى المدينة مشيا على الاقدام . وقد اتضح لي فيما بعد انني كنت اسير بالصدفة في الطريق الرئيسي الوحيد في براندفورت والمسمى شارع فورتريكر .

ففي كل زيارة لي لبراندفورت كنت احاول التغلب على القلق الذي ينتابني وانا اسير في هذا الطريق ومن امام البيوت القليلة الاولى فيه . وكنت اقنع نفسي ان سيارات الشرطة التي كانت تقطع الطريق جيئة وذهابا هي جزء من الصورة كما هي الحال في اية مدينة افريقية جنوبية. فاذا شعرت - وانا الزائرة التي تزور المدينة لبضع ساعات - بهذا القلق وفقدان الامان فكيف يكون شعور امرأة تعيش فيها منذ سبع سنوات وتحت رقابة الشرطة ومضايقاتها المستمرة على مدى اربع وعشرين ساعة في اليوم ؟

ليس هناك مايستحق المشاهدة في هذه المدينة المنبوذة: ففيها عدد قليل من المحلات التجارية على جانبي الطريق وبنك ستاندرد وبنك باركلي ومركز شرطة وفندقان صغيران ودائرة بريد ومحطة وقود وكنيستان ومشرب للسود لا تخلو منه مثل هذه الاماكن. الرصيف مسقف باسلوب بسيط وعلى الطراز المتبع في المستعمرات. وهناك طرق فرعية صغيرة انتشرت على جانبيها بيوت صغيرة (بناكل) يسكنها البيض.

كما يوجد سوبر ماركيت ووكالة انباء ومحطة القطار على مسافة قريبة منها. وقد شيد سايلوان كبيران للحبوب في نهاية المدينة. هذا كل مافيها .

ليس في المدينة حياة اجتماعية متميزة . فالناس يلتقون ايام الاحد في الكنيسة ويتفقون على مواعيد لعبة الكولف او حفلة شواء في الحديقة المساة (برايفلي) وهذه مناسبة تقليدية، وذلك لتوفر اللحوم. الجميع يشتركون في الحدث الاجتماعي الوحيد والمهم مرة في السنة وهو الاحتفال السنوي للالعاب في ملعب المدرسة .

وليس هناك خطر انتشار الافكار الجديدة دع عنك الليبرالية منها في مثل هذا المناخ . فلا يباع في المدينة كلها الا ثلاث نسخ في اليوم من الصحيفة الانكليزية الليبرالية (راند ديلي ميل) وهي الان في سبات . وقد استطاع السوبر ماركت الذي أفتتح قبل سنوات قليلة من الصمود غير ان السينما الوحيدة التي جرب اصحابها حظهم في المنطقة قد اغلقت بسبب غياب الزبائن .

فهي مدينة منكمشة خاملة الى حين وصول وني مانديلا أليها سنة ١٩٧٧.

لقد نفت الحكومة وني مانديلا التي ترمز الى النضال الاسود من اجل الحرية الى هذا المجتمع الافريكاني المتعصب المليء بذكريات عصر (ذهبي) من التمييز العنصري حيث خصصت للسود مداخل خاصة في دوائر البريد وحيث يتوجب على السود اخلاء الرصيف حال رؤيتهم شخصا ابيض قادما من بعيد ، ظنا منها انها ستقتل في هذه المرأة روح النضال ويطويها النسيان عند ابعادها عن مسرح الصراع السياسي في جنوب افريقيا .

وقد يحدث العكس ؟ ويصبح بالامكان ايقاظ هذه المدينة

المعزولة في اورنج فري ستيت من سباتها وهدوئها مع قدوم هذه السيدة الرائعة. " تلك المرأة " هكذا يشير اليها الناس في براندفورت متجنبين اسمها وكأنهم بذلك يبعدون الروح الشريرة عنهم . تضحك وني مانديلا قائلة : " لقد غزوت مملكة الافريكانيين كالاعصار، فهم الان يعيشون بخوف في براندفورت ".

قابلت السيدة وني مانديلا للمرة الاولى في غرفة صغيرة جدا في مكتب محاميها في ذلك الحين بيت دي فال الذي يقع في شارع فورتريكر . اذ نصحني بعض الاصدقاء بالذهاب الى مكتب المحامي وارسال من يخبرها الى المستوطنة انني في انتظارها هناك اذ لم يكن يسمح للبيض حينذاك دخول المستوطنة السوداء الا بترخيص من الحاكم واذا كان السبب وراء الحصول على مثل هذا الترخيص هو زيارة وني مانديلا فالجواب في العادة هو الرفض .

وقد لاحظت شيئا من التوتر والاحراج عند ذهابي الى مكتب المحامي بصورة غير متوقعة غير انه استجاب لطلبي فورا .

لازلت اتذكر بوضوح الغرفة الصغيرة الضيقة الخالية من الاثاث تلك الغرفة التي انتظرت فيها جواب الرسالة التي ارسلت للسيدة مانديلا وانا انتظر حاملهاالذي تأخر ساعتين. كنت افكر طوال تلك المدة فيما اذا كانت السيدة مانديلا ستأتي في الوقت المحدد او انها ستستطيع المجيء وفيما اذا كنا سنستطيع التكلم بسلام في هذا الجو المضطرب في المكتب ؟

لم اكن قد جئت لاجراء مقابلة بسيطة مع وني مانديلا - فلم اكن وراء ارقام وحقائق اساسية . كنت ارغب في زيارتي هذه ان اسأل المرأة الام والمناضلة السياسية عن مصدر قوتها في تحمل ماواجهها من مصاعب : النفي لفترة طويلة من حياتها مع تكرار توقيفها وحجزها وسجنها بعد زواجها بفترة قصيرة

وهي في اشهر حملها بابنتها البكر وكذلك مراقبة وملاحقة السلطة الدائمة لها على مدى اثنتين وعشرين سنة الاخيرة مع التعذيب والاستجواب والابعاد عن زوجها واطفالها واصدقائها والحياة الزوجية التي لم تجمع الزوجين الا عن طريق الرسائل المراقبة والمقابلات القصيرة في السجن والحديث من وراء الحاجز الزجاجي الفاصل بينهما في غرفة المقابلات في السجن.

واخيرا وصلت وني مانديلا ووقفت منتصبة في الباب ، تفيض حيوية ونشاطا . كانت تلبس زيا افريقيا طويلا باللونين الاسود والاخضر وتضع على راسها قطعة قماش ملفوفة على الطريقة القبلية التقليدية لقبيلة الزوسا. وتعكس تعابير وجهها كالمرآة مشاعرها المتدفقة ، هذا الوجه الذي تنم ملامحه عن ارستقراطية نسبها: وجناتها البارزة وعيناها الكبيرتان السوداوان اللتان تعبران عن خليط من المشاعر المتضاربة بشكل ساحر - الم مكبوت ومرح عفوي ومزاج ساخر مع شيء من المكر الذكي . هذا المزيج المتواتر في شخصيتها هو ما سحرني في الحال فضلا عن حبها للمظهر الجميل الذي لم تؤثر فيه الفترات الطويلة التي قضتها في السجون والتعذيب الذي تعرضت له والاستجواب والتحقيق المتواصلين - هذه الاشياء التي قد تفقد الانسان كل رغبة واهتمام بالحياة والسعادة الشخصية .

ومع الابتسامة المنفتحة التي قابلتني بها مرحبة زال ماعتراني من شعور بالرهبة والحرج وهي تتسلم مني بعض الهدايا التي ارسلها لها بعض الاصدقاء وتسأل بشوق وحماس عن احوال بعضهم وتطلب اجابات مفصلة عنهم لمعرفة كيفية الاتصال بهم .

لا يمكنني نسيان هذه المقابلة والحوار معها ، تلك المقابلة التي خلت حتى من المقدمات التقليدية للتعارف اذ

بدأنا الحديث عن حياتها والجوانب المهمة منها في الحال ، وكأن مقابلتي هذه لم تكن الاولى . وعندما سألتها فيما اذا كانت هناك مواقف افقدتها الامل والشجاعة وجعلتها تفكر بالاستسلام ، اجابت وبنظرة غاضبة : " بالطبع لا ! كيف افقد الامل وانا على يقين ان هذا هو بلدنا واننا سنسترجعه ! انا اعلم ان هذا يعني الكثير من المعاناة والصمود من اجل الوصول الى الهدف ". سكتت وكأن سكوتها هو نتيجة ادراكها بالقوى التي عليها محاربتها بشكل مستمر. وبصوت ابح - على الرغم من ان لصوتها نغمة واضحة ونبرة عذبة - اضافت : " انني صغيرة جدا في ماكنة التحرير الضخمة. السود يموتون كل يوم من اجل القضية . فمن انا لكي امنح حياتي الصغيرة هذه امام هذا المحيط الكبير من التضحيات؟ ان القضية التي امامنا اكبر من ان تسمح لي بالتفكير بما سيحدث لي انا شخصيا ". ان لحظات صمتها تفضي بأكثر مما تقوله وقد نهمت سر ضحكتها الفورية العفوية واسلوبها الدافىء في التعامل مع الاخرين . اعتراني شعور انني قريبة منها فقررت العودة اليها لأعرف عنها المزيد .

ظل صدى كلماتها في ذهني وانا في طريق عودتي افكر بحياتها التي تسير بموجب الحكم الصادر بحقها من قبل وزارة العدل والذي بدأ بهذه الكلمات :

" انا جيمس كروكر ، وزير العدل مقتنع انك تمارسين نشاطات خطرة تعكر النظام لذلك امنعك بموجب المادة ٩ من قانون الامن الداخلي لسنة ١٩٥٠..."* الى اخره من الامور

---

* راجع الملحق.

التي لا يسمح لها بموجب القانون ممارستها والتي هي العنصر الاساس من حياتها . فهي مثلا ممنوعة من الانتماء الى اي مدرسة او جامعة ومن زيارة اي معمل ولا حتى دار حضانة ومطبعة او حضور اجتماع او القاء خطاب او الاجتماع بأكثر من شخص واحد كما يحظر على اي شخص افريقي الاستشهاد بما تقوله. وقد قالت لي وهي تبتسم انها تركت كل هذه الاوامر على المنضدة في مركز الشرطة عندما جاءوا بها الى براندفورت . غير ان الشرطة هنا في براندفورت تراقب تحركاتها من اجل التأكد من انها لا تخل بالاوامر المشار اليها في اعلاه .

لقد تكررت زياراتي لوني مانديلا بعد الزيارة الاولى . وعند وصولي المدينة اخترق المنطقة البيضاء من المدينة من غير توقف . وعلى بعد مائة ياردة من هذه المنطقة ينتهي الطريق المعبد ويبدأ الطريق الترابي المليء بالحفر والذي يسير بارتفاع نحو التل والحدود بين براندفورت وغيتو السود الذي لا يحمل اسما " رسميا " غير ان السود يشيرون اليه بأسم " فانا كاهل " وتعني " يعامل بحذر " . قابلت وني ماندیلا مرات عديدة على هذا الخط الفاصل الذي لم يحدد بسياج غير ان البيض لا يستطيعون اجتيازه على الرغم من انه خط وهمي على الطريق المؤدي الى حي السود. ومن هذا الموقع يستطيع الفرد ان يرى الغيتو بكامله. الاف من الاكواخ على شكل علب رمادية صفراء ومتشابهة تمتد بخطوط رتيبة والطرق طينية ومن غير اضاءة لا تحمل اسماء وليس فيها طريق اسفلتي مبلط. يوجد في الغيتو محل تجاري واحد ومدرسة واحدة ومشرب واحد .

تصبح هذه الطرق بعد الامطار الاعصارية غير سالكة ، وتختفي المستوطنة كل مساء تحت ستار من الدخان المتصاعد من

النيران الموقدة ومن المصابيح النفطية السوداء. فهي نسق لمنطقة سكنية سوداء للعمال والكادحين متشابهة ومتميزة كبراندفورت البيضاء. ويحتل الواجهة القريبة من الخط الذي يفصل المدينتين المبنى الذي يضم دوائر البانتو الادارية حيث تتم السيطرة على الغيتو منه اذ لا يستطيع احد العبور من جهة الى اخرى سواء اكان هذا زائرا او من قاطني المدينتين من غير ان يرصد او يلاحظ من هذا المبنى .

كنت انتظر وني مانديلا في اغلب الاحيان هنا وغالبا ماتأتي متأخرة عن الموعد . فكانت تأتي احيانا بسيارة فولكس واكن قديمة وفي احيان اخرى تأتي ماشية. وقد تأتي وحدها او مع اثنين من الشباب - وهما صديقا العائلة من سويتو - مع بعض صغار الحي الذين يسيرون خلفها على مسافة يفرضها احترامهم لها وهم كما تسميهم حراسها ! وتحمل هذه التسمية شيئا من السخرية وماقد يكون عليه الحال لو عاشت في جنوب افريقيا كبلد طبيعي لا عنصري مع زوجها نيلسون مانديلا كزعيم شرعي منتخب للسود . بالحقيقة ان وقوفها على هذا الطريق الترابي وهي منتصبة بثياب الزوسا التقليدية او حتى بملابس اوربية بأناقة طبيعية وتجاهلها الهادىء لموظفي ادارة البانتو وهي تجلس الى جانبي في السيارة مع مرافقيها . (وهذا ما لا يسمح به قانون النفي الذي يحتم ان لا يكون اجتماعها مع اكثر من شخص واحد) يجعلها اشبه بسفيرة ذكية تمثل بلدها وليست امرأة محكوم عليها بالنفي تعيش في غيتو بعيدة منعزلة .

يذكرني مظهرها هذا بما قاله عنها بعض اصدقائها البيض الذين رافقوها مرة الى السجن بأنها " اقتربت من السجن وكأنها ملكة افريقيا " "Queen Africa".

ولا يبدو انها تلاحظ التباين الكبير بين مظهرها والمحيط

الذي تعيش فيه وكأنها تشعر ان المستوطنة (الغيتو) هي المكان الطبيعي الذي يجب ان تعيش فيه وان بيتها المرقم ٨٠٢ هو مكان ملائم لاستقبال كبار الشخصيات من انحاء العالم اجمع .

ومهما حاولت فلا اجد اثرا للخيبة والاستسلام في وجه هذه المرأة متى مالتقيت بها . فموقفها هذا هو موقف مناضل صلب لا يضعف ولا ينسى قضيته امام الظروف القاسية التي يتعرض لها ولا يعرف التخاذل امام الفشل والمعوقات وانما يستلهم منها القوة والارادة .

وقد اثارت قوة احتمالها هذه دهشة الجميع حتى زوجها . هذه هي القوة التي لا ترهب ، والتي مكنتها من العيش في براندفورت . لقد شغلت نفسها الى حد الانهاك في مشاريع حتى لم تعد تعير ظروفها الخاصة اي اهتمام وقد وصفت منفاها في احدى رسائلها لزوجها ومع شيء من السخرية بأنه "مكان لطيف" وكأن المصاعب التي تواجهها كل يوم لا وجود لها : فهي تقضي الساعات كل يوم في تنظيف غرفتها الصغيرة من الاتربة التي تتسرب اليها من شقوق الجدران والمنافذ الصغيرة الاخرى . كما تقضي ثلاث ساعات كل يوم في دائرة البريد كي تستطيع الاتصال بالهاتف مع العالم الخارجي ولكي لا ينقطع الاتصال بينها وبين اصدقائها بسبب غياب وسائل الاتصال الاخرى المحظورة عليها . وقد تجد الدراهم الكافية في بعض الاحيان لشراء النفط الذي يستعمل للوقود والاضاءة ، اضافة الى التهديدات الكثيرة التي تأتيها والاضطهاد المستمر من قبل رجال الامن الى جانب لحظات الشعور بالوحدة والانعزال .

ومع ذلك فالحزن الذي تفصح عنه نظراتها احيانا هو جزء لا يتجزأ من كيانها - وقد احببت ذلك فيها لأنها امرأة قبل كل شيء قابلة للجرح والعطب ، وليست مناضلة سياسية وبطلة

صلبة ومحصنة فقط .

في سنة ١٩٨٣ حصلت على موافقة لمقابلة وني مانديلا في بيتها الصغير للمرة الاولى . اخبرتني السلطة ان هذه الاجراءات هي من اجل سلامتي اذ انها بعد الحصول على الترخيص لا تتحمل مسؤولية ماقد يحدث لي اثناء الزيارة . واخيرا استطعت المجيء الى "بيتها" - وقد لا تغفر لي مالم اضع هذه الكلمة بين اقواس اذ انها تسمى تلك الغرف الصغيرة جدا والتي لاتزيد مساحتها على الثلاثين مترا مربعا وهي -غرفة النوم والمطبخ وغرفة الجلوس- زنزانات سجنها . وقد استطاعت ان تجعل من هذه الزنزانات مكانا مناسبا للسكن . فغرفة الجلوس الصغيرة المظلمة على الرغم من تأثيثها الذي جاء كيفما اتفق بسبب عدم تمكنها الاستفادة من اثاث بيتها في سويتو الذي اعيد الى هناك - غرفة مريحة الى حد ما . وقد وضعت على مساند الاريكة قطع صغيرة من شغل الابرة فيها رسوم مشغولة تمثل القرية من دجاج واطفال اهدتها لها احدى جاراتها .

وعلى الرف تلفاز يعمل بالباتري وعدد من الكتب المختلفة اهديت لها من قبل اناس مختلفين وقد صنفت هذه الكتب بشكل تقريبي على قطعة من الكارتون . ويستطيع استعارة هذه الكتب من يرغب في القراءة من بين سكان الغيتو كروايات جوزيف كونراد و سول بيلو واعداد من كتب التاريخ الانكليزي او كتاب النبي لجبران خليل جبران .

اما قناني الادوية الطبية التي كانت مرصوصة هناك فقد اختفت لأن وني توقفت عن معالجة سكان الغيتو في بيتها او في كراج سيارتها بعد ان استطاعت وبمساعدة تبرعات من جهات مختلفة ان تشييد بيتا " جاهزا " صغيرا في حديقتها وتتخذ منه " عيادة طبية " لمعالجة مرضى الغيتو .

عندما يترك الفرد البيت يجد نفسه في حديقة مليئة بالزهور ، هذا المكان الذي كان يستخدم للنفايات والاتربة اصبح الان حديقة رائعة تضم الزهور والشجيرات. وتذكرت وانا اقف في ظل شجرة الصفصاف التي تحجب الشمس المحرقة وعيون رجال الشرطة الذين يقيمون في البيت المجاور تذكرت ماقالته لي مرة سالي موتلانا وهي تصف قوة وني مانديلا : " سوف لن يتمكنوا من بناء جدار حولها . فلا يهم مكان نفيها - في البيت او في الصحراء او في الغابة - فهذه المرأة لها دينامكية تجعل الطيور تغرد والاشجار تنتعش اينما ذهبت".

كلمة اعجاب واجلال للسيدة نومزامو وني مانديلا

الاسقف ماناس بوثيليزي رئيس المجلس الكنسي في جنوب افريقيا ، اسقف الكنيسة اللوثرية في جنوب افريقيا يتحدث عن وني مانديلا :

ليست نومزامو مانديلا شخص اسود اخر فقط وانما هي وبصورة روحية تلخص بتجربتها الحياتية تلك القوانين التي جاءت تحت اسماء مثل قانون محاربة الشيوعية وقانون محاربة الارهاب ، تلك القوانين التي تمارسها السلطة لاضطهاد اولئك الذين يعبرون عن كراهيتهم لسياسة التميز العنصري. ومن البديهي ان تكون هذه السيدة قد تعرضت الى مضايقات منظمة، والى النفي والتوقيف والسجن . تلك الوسائل البدائية في التعذيب التي لا يحتملها الا القلة من المجرمين . ان لهذه السيدة مايجعلها اهلا لحمل لقب" ام الشعوب السوداء " . انا لا اقول هذا لأنها زوجة احد القادة السود المحكوم عليهم بالسجن مدى الحياة وانما لأنها تستحق هذا اللقب لذاتها .

فانا انتمي الى الدين الذي يعلمنا ان الخلاص والحرية لايأتيان الا عن طريق المعاناة، وان معاناة فرد واحد تكسب الحرية وتؤمنها للاخرين واعتقد ان للديانات الاخرى تعاليم تشير الى هذا المعتقد . ان ماتعرضت له السيدة مانديلا من عذاب يفسر معنى الفداء من اجل خلاص الاخرين وحريتهم لقد عذبت وعوقبت لا لجريمة اقترفتها، ولا لعيب في شخصها، بل لأنها تجسد نضال الرجل الاسود من اجل العدالة والحرية . لقد تعذبت لاننا - انا وانت -

نستحق اكثر مما تمنحه لنا الحياة في جنوب افريقيا. فعذابها ومعاناتها هو مقياس قيمتنا كبشر ومقياس لحبها لنا جميعا . لقد جاء في الانجيل " ليس هناك اعظم من هذا الحب: عندما يفتدي المرء حياته لاصدقائه" (جون، ١٥، ١٣).

واذا كان هناك من يشك في حب نومزامو مانديلا لابناء وطنها ولجنوب افريقيا فعليه ان يتابع ماتحملته من اجلنا جميعا .

ورب سائل يسأل عن السبب الذي يجعلني اؤكد على جانب المعاناة بالنسبة للسيدة مانديلا. انني افعل ذلك لأن هناك الكثيرين ممن يقول الكثير ويعد من غير ان يقدم شيئا عندما يتطلب منه ذلك . وغالبا مايترك هؤلاء نضالهم عندما يواجهون الواقع الذي يحتم عليهم العطاء الفعلي فيضعفون ويتركون طريق النضال. غير ان السيدة مانديلا تبقى محتضنة سلاحها حتى النهاية .

والسبب الآخر هو ان الانسان لا يحصل على مبتغاه من غير تضحية أو عطاء . والقضية التي لا تأتي بقادة على مستوى التضحية والفداء لا يكتب لها النجاح. فالديانات العظيمة وحدها استطاعت ان تأتي بقادة بمثل هذه الاخلاقيات العالية التي ساعدتهم على تحمل نار الاضطهاد على ايدي اعدائهم ومهينيهم - اعداء البشرية واعداء الله .

لذلك يجب وضع السيدة مانديلا في قائمة هؤلاء الابطال العظام . وقد لا أكون مخلصا لواجباتي الدينية ان لم اذكر ان هناك كثيرين غيرها من الذين يتعذبون من اجل قضيتهم . فمنهم من هو منفي لحد الان أو انه في الحجز أو السجن كجزء من الستراتيجية السياسية من اجل اسكات خصوم نظام الفصل العنصري الذين يعملون من مواقع لاتقرها سياسة الفصل . فهم الحملان التي يجب نحرها من اجل بناء دويلات صغيرة ستظهر في

القريب .

واكثر هؤلاء غير معروفين لدينا اذ ليس هناك مانقرأه عنهم في الصحف. لقد حجبت دموع ذويهم وما تعانيه عوائلهم عن الرأي العام ولم يعرف عنهم الناس شيئا نتيجة للظروف السياسية الراهنة. فهم الجزء غير المرئي من المناضلين المحتجزين او المنفيين. لذا فان شخصيات مثل السيدة ماندیلا جاءت كعطاء من الله الذي عن طريقه نستطيع التعرف على ماهو خاف علينا.

واستطيع القول انني سعيد لأن السيدة ماندیلا قد نفيت هي الاخرى، وسعيد لأنها احتجزت وسجنت ايضا، فاسمها ومركزها اجبرا حتى بعض المتعصبين جدا من انصار التميز العنصري على ادراك بعض الحقائق عن السجون والحجز والاعتقالات السياسية. فبشخصيتها المهيبة استطاعت ان تزيح النقاب عن بعض الحقائق عن هؤلاء المناضلين الذين لا يعرفهم احد لانهم ضحايا هذه الشرور السياسية التي اخفتهم في سجون وزنزانات في "البوندو" البعيد. اناس لهم حكايات وقصص لا يبدي احد اهتماما بالاعلان عنها وحملها الى الرأي العام. فعن طريق قصة حياة السيدة ماندیلا نستطيع قراءة قصص حياة الكثيرين غيرها. فتجربتها هي كالعدسة المكبرة نستطيع من خلالها رؤية تفاصيل مهمة لتجارب مناضلين اخرين. فهي النافذة التي تطل على حياة هؤلاء المحتجزين والمنفيين الذين باتوا في الظلمة وطواهم الغموض والنسيان. فهي شخصية لا يمكن لوسائل الاعلام والصحافة تجاهلها حتى في السنوات التي سكتت فيها واختفت عن الانظار. لهذا أكرر القول انها هبة من عند الله لنا جميعا فقد كانت ومازالت تجسد شجاعة الشعوب السوداء وروحها .

كثيرون من قادتنا هم الان صامتون ، البعض منهم سكت

لانه مات والاخرون صامتون لانهم سنيون او محتجزون او مسجونون. فبين الاموات والمساجين والمنفيين شيء مشترك. هو الصمت : فهم جميعا صامتون اذ ليس بمقدورهم الكلام ورفع اصواتهم غير انهم لا يستطيعون الاستمرار بالاتصال معنا عن طريق صمتهم. لذلك لا يستطيع احد اسكات من هو صامت، هذا الذي يستطيع بصمته منح القوة الروحية لنا. لقد اسكتت السيدة مانديلا لسنوات عديدة وهي في المنفى، غير انها بصمتها على اتصال بنا بشكل اكثر فاعلية من الكلام الذي كانت ستقوله فيما لو كانت طليقة خارج منفاها. فانا شخصيا لم اسمعها تتكلم قبل نفيها . ولكن بالبداهة استطيع الاحساس بوجودها واسمعها وهي صامتة.

عندما نفيت كان لدي عدة اختيارات لترك البلد والاقامة في مكان اخر غير انني لم افعل ذلك لأن اناس مثل السيدة مانديلا استطاعوا ان يصونوا كرامتهم وعزتهم ويدافعوا عنها في ظروف من الاذلال والاهانة. ان احكام النفي التي فرضت علي لا تقارن بما فرض على السيدة مانديلا. ولكنها استطاعت بقوة روحية ذاتية وموارد فكرية ان تتحدى احكام النفي الجائرة التي لم تتمكن من خذلانها وغسل دماغها. نعم لقد استطاعوا اسكاتها ولكنني سمعت رسالتها التي تبعث العزم والقوة، تلك التي اعانتني على تحمل حكم النفي. وانا على يقين ان هناك الكثيرين ممن حكم عليهم بالابعاد والنفي ولكنهم استطاعوا الصمود بما تعلموه من السيدة مانديلا التي اصبحت رمزا لذلك .

سايبيرتي الصغيرة
نفي السيدة مانديلا الى براندفورت

" عندما ارسلوني الى المنفى لم يقصدوا بذلك ابعادي كفرد بل ظنوا انهم يبعدون الافكار السياسية كذلك... وفي هذا فخر لا يضاهيه اي فخر " .

كان ذلك في ليلة ١٦ مايس ١٩٧٧ : كنت اقوم بواجب دراسي في علم الاجتماع . ولأنني اعمل في النهار كان علي ان اقوم بالمذاكرة ليلا - وقد تستمر ساعات المذاكرة الى الساعة الثانية صباحا . كان اخر موعد لتقديم بحث كنت اقوم به هو صباح اليوم التالي الأمر الذي جعلني اسهر حتى الساعة الثانية والنصف صباحا * .

كنت اسمع اصواتا غريبة في الخارج وهذه امورا اصبحت مألوفة بالنسبة لي بسبب المراقبة المستمرة . واعلم انني مراقبة اينما اكون وفي كل الاوقات . لذا فان سماع وقع اقدام لم يكن بالشيء الغريب بالنسبة لي . لقد عشت هكذا

---

* لقد اثار موضوع اختصاصي جدلا ومخاصمات كثيرة في الاوساط العلمية. اذ لم يسمح لي الحصول على شهادة جامعية في موضوع الخدمة الاجتماعية في (فري ستيت). لقد طلبوا مني ان ادرس الفن الذي لا رغبة لي فيه. أناالان اتخصص في علم الاجتماع السياسي والصناعي الذي لا يمكن التخصص فيه فيما لو درست الفن .

مع هؤلاء الناس وظننت في تلك الليلة ان الشرطة ربما تقوم بالحراسة والمراقبة الروتينية حول منزلي فاطفأت النور ورقدت في فراشي ولكني لم استطع النوم .

وفي الساعة الرابعة صباحا تقريبا سمعت صوتا عاليا في الخارج وكأن السماء امطرت وابلا من الحجارة على المنزل ، وبزخم وصوت رهيب جعلني احس وكأنها تسقط داخل الجدار العالي الذي يحيط المنزل في اورلاندو .

وفي اقل من لحظة سمعت طرقات على جميع الابواب والنوافذ مرة واحدة . كنت اتوقع ان يضربوا الجرس - ولكن لا - في اللحظة التي سمعت بها الطرق العنيف على الباب سمعت نباح كلب وبعدها عرفت ومن غير شك - انهم جاءوا لاعتقالي كما عرفت انهم سيأخذونني كالعادة بموجب الفقرة ٦ * .

فتحت الباب لأجد امامي جيشا من العسكر في فناء الدار مع عدتهم الحربية واعضاء من شعبة الأمن وكلهم مسلحون على اتم وجه .

لقد اعتدت على ان تكون حقيبة ملابسي جاهزة تلافيا للمشاكل التي واجهتها في الماضي. فهم يعتقلوني دائما عندما اكون وحدي في البيت - وبناتي في المدارس الداخلية - ولكي اوفر العناء لمن يحاول معرفة مكان اعتقالي من الاصدقاء من اجل ايصال ما احتاجه - رايت ان تكون حقيبتي جاهزة دائما ، فيها طقم من الملابس وفرشاة اسنان ومشط وبعض الاشياء الضرورية الاخرى .

---

* الفقرة ٦ من قانون مكافحة الارهاب الذي اوقفت بموجبه وني مانديلا سنة ١٩٦٩ ، والذي يعني الحجز الانفرادي لأجل غير مسمى اثناء التحقيق.

حملت حقيبتي وسرت نحو الباب قبل ان يقال لي انني "موقوفة" وبعد حوار غاضب معهم. في هذا اليوم كانت ابنتي زندزي معي ولم اكن على استعداد لتركها وحدها وانا لا أعلم كم سيطول غيابي. وقبل ان استطيع الكلام دفعوا بي الى الخارج وساقوني على عجل الى مركز شرطة بروتيا .

لو كنت مكاني وانتظرت هذه المدة الطويلة التي قضيتها انا في مركز الشرطة لما استطعت تحمل ذلك التحقيق السخيف مرة ثانية . اما الان فليس هناك شرطي يجرؤ على الاقتراب وانا في هذا العمر أو يفكر ان في استطاعته استجوابي والتحقيق معي . ففي سنوات الشباب كان الامر مختلفا . ان في استجوابي الان مضيعة للوقت لاننا سننتهي باهانة احدنا للاخر. استمر التحقيق معي حينذاك حتى الساعة العاشرة صباحا . وبعدها رايت ابنتي زندزي وقد اصطحبها الى زنزانتي هؤلاء الرجال المسلحون وهي تحمل بيدها مفاتيح البيت . علمت للتو ماجرى. نهض الرجال الثلاثة الذين كانوا يحققون معي وقالوا لي :

" انك الان منفية الى فري ستيت " . لم يكن لدي علم بما جرى لانني ظننت انني موقوفة فقط وانهم سيأخذونني كالعادة الى سجن بريتوريا او الى سجن اخر ولكن عندما دخلت ابنتي زندزي وبيدها مفاتيح المنزل ادركت انني لا محالة منفية .

حملونا بعد ذلك الى احدى الشاحنات العسكرية وقد وضعوا فيها كل حاجاتنا البيتية . افرغوا الخزانات من محتوياتها في شراشف الاسرة ومزقوا المراتب والاغطية ووضعوا ادوات المطبخ والصحون القابلة للكسر في صرر من البطانيات وقد تكسر ثلاثة ارباعها وهم يجمعونها بهذه الطريقة الفظة. كما حملوا كتب نيلسون في اغطية الاسرة وقد تلف نصفها ثم ساروا

بنا نحو فري ستيت بهذه الطريقة وقد جلست مع ابنتي زندزي مع رجال مسلحين في المؤخرة وجلس اخرون منهم في المقدمة وكان هناك شاحنات اخرى ترافقنا . لم اكن اعرف ان هناك مكانا مثل براندفورت . انزلونا هناك في مركز للشرطة وسلمونا الى الشعبة الامنية في فري ستيت حيث كان هؤلاء على اهبة الاستعداد والتسلح ايضا .

ومن هناك نقلنا الى البيت - والحقيقة ان تسمية الجحور الصغيرة الثلاثة التي هي غرف المنزل "بيت" اهانة. لقد كانت هذه الغرف مليئة بالاتربة والقاذورات ولم يكن هناك مجال للدخول اليها . جاءوا بعدد من الرجال لازالة اكوام التراب والازبال بالمجاريف . ثم علمنا بعد ذلك ان هذا المنزل قد اتخذ مكانا للقمامة عند بناء ما اسموه بيوتا جديدة في المستوطنة من قبل العمال الذين شيدوا هذه الدور. ثم رموا بعض الصرر التي حملوا فيها امتعتنا على الارض ولكنهم لم يتمكنوا من ادخال قطعة واحدة من اثاث بيتنا التي نقلوها معنا من اورلاندو الى هذا المكان. فالابواب الصغيرة التي استخدمت في هذه الدور هي في العادة ابواب تستخدم للمراحيض. لذلك ارجعوا اثاثنا من اجل خزنها في مركز الشرطة .

لم نستطع الاغتسال في الليلة الاولى من وصولنا لعدم توفر قطرة ماء في الدار وهذا ماجعل بيتنا في سويتو يبدو لنا كالقصر . ولم نجد وعاء لجلب الماء من مكان اخر ولا لقمة طعام نأكلها . ولم نستطع الطهي لعدم توفر موقد لذا اكتفينا بالاستلقاء انا وابنتي جنبا الى جنب على احد المراتب لننال قسطا من الراحة والنوم بعد تلك الرحلة الشاقة .

كان الامر فظيعا وتجربة جارحة ومؤلمة لابنتي زندزي .

فمثل هذه التجربة تكفي لتحطيم الرجال فكيف لفتاة في السادسة عشر من عمرها احتمالها . صحيح ان مايتعرض له المناضلون من اضطهاد ومهانة افضع بكثير مما تعرضنا له غير ان الأمر صعب علي كأم ترى نتيجة نضالها تقع بهذا الشكل على افراد عائلتها واعز الناس اليها . لقد تركت هذه التجربة القاسية جرحا لا يندمل ابدا وشعرت بالمرارة اكثر من اي وقت اخر .

كان وقع وصولي الى المنطقة صاعقا على الناس في بادىء الامر . اذ استطاع مايسمى باعضاء البرلمان في المنطقة وكذلك الشرطة عقد اجتماعات جماهيرية اخبروا الناس فيها ان شيوعية خطرة ستأتي ، وحذروهم من اخطار الاتصال بها . كما اخبروهم ان هذه المرأة التي ستتكلم اليهم عن ضرورة النضال هي بالحقيقة تبث مبادىء هدامة . وسيكون السجن مدى الحياة عقاب من يقترب منها كما حكم على زوجها . واوصوهم بابعاد اطفالهم عنها واذا ماضطر الاطفال الى التبضع من المحلات التجارية القريبة من بيتها فعليهم التأكد من عدم السير بالقرب منها .

لقد تغير الأمر في الوقت الحاضر اذ ان مايراه الاسود هو :" اذا قال الابيض ان شيئا ماهو ردىء فأن هذا يعني العكس اي انه جيد ". هكذا هي الحالة مع كل القوانين العنصرية التي تنعكس على البيض ايضا . فلا مجال لأقامة الجسور بين العرقين. غير ان الناس بدأوا يدركون مع مرور الزمن حقيقة النضال وحقيقة الشعوب السوداء . اننا لم نتكلم الى الناس بشكل مباشر ولكن الامور بدأت تتضح لهم تدريجيا حتى بدأ الاطفال الصغار في غياب الشرطة تبادل التحية باشارة " القوة السوداء ". يستيقظ هؤلاء الاطفال باكرا من اجل جلب الطعام لنا - كالبقول واللهانة - ولكنهم

يبتعدون عنا خلال ساعات النهار . ويأتون الينا في الليل للتعبير عن تضامنهم .

الجميع يعرف نيلسون، كل واحد منهم. واصبحت منذ زمن طويل اعيش لا كفرد بل كتجسيد للاهداف السياسية والمثل التي اناضل من اجلها والتي هي اهداف ومثل السود جميعا . ليس من السهل ان ينسى هؤلاء اهدافهم ، لذلك انا باقية ومستمرة في الكفاح . فقد كنت وسابقى مقياسا سياسيا . فالحالة التي انا فيها تفسر الوضع السياسي وحرارته في ذلك الوقت . فأن ارسلوني الى المنفى ، فهذا يعني انهم لا يتعاملون معي كفرد بل يعتقدون انهم يبعدون الافكار السياسية التي احملها وهذه قضية تاريخية مستحيلة لانهم سوف لن ينجحوا في محاولاتهم هذه. فانا لست على درجة من الاهمية كفرد غير ان ماامثله هو الذي يخيفهم ويجبرهم على نفيي وابعادي وفي هذا شرف كبير لي. "

براندفورت - المدينة البيضاء*

لقد اصبحت الرمز الحي لمخاوف الرجل الابيض ولما يحدث في البلاد من اضطرابات . لم أكن ادرك مدى هذه الخوف

* تعرف براندفورت بالمدينة التي صاغ فيها الدكتور هندرك فيرورد الهوية الافريكانية القومية وهوالمعروف بمصمم سياسة الفصل العنصري. بلغ عدد نفوس الافريكانيين فيها سنة ١٩٧٧ (١٩٠٠) نسمة .

وعمقه حتى مجيء الى براندفورت . فنضالنا لم يعد غامضا وبعيدا عن شعوب العالم . فهنا تعيش فئة معينة من السود يأتيها زائر من نوع لم تألفه من قبل ، زوار من المجتمع الدولي الذين يرغبون في التعرف على حياة هذا الشعب "الكفيري" من البانتو والسلطة لا تتعظ ولا تتعلم من هذا درسا . فلم يتسنى لي التعرف على هذا العدد الكبير من الحكومات الاجنبية في السنوات العشرين التي عشتها في جوهانزبرغ كما تسنى لي ذلك وانا في منفاي في براندفورت .

فالرجل الاسود بالنسبة للافريكاني في فري ستيت هو من يجلس على التراكتور ويحصدله غلته . فالتراكتور هو المهم وليس الذي يعمل عليه . فاذا ماضربت صاعقة هذا العامل واردته قتيلا وهو على التراكتور فأن مايهم الافريكاني هو التأكد من سلامة ماكنته اولا ثم النظر الى جثة العامل فيما بعد . لقد تجسدت الحركة النضالية بشكل مادي ملموس في وجودي في مملكة الافريكاني التي رميت فيها قسرا. دخلت المحلات التجارية التي لم يتجاسر السود على دخولها من قبل. ومررت من الباب المخصص للبيض الى مركز الشرطة والى دائرة البريد ايضا وهم امام هذا غير قادرين على عمل شيء. كنت ارى احيانا عددا من المزارعين البيض في مركز الشرطة فعندما ادخل اراهم - وبشكل تلقائي - يفسحون لي المجال للدخول او للمرور لا من باب الاحترام بل رغبة منهم في افساح المجال لي لانهاء ماجئت من اجله لكي اترك المكان بسرعة ! كان السود يظنون ان هؤلاء المزارعين يفعلون ذلك من باب الاحترام .

وعند دخولي السوبر ماركت ارى مجموعة كبيرة من النساء الافريكانيات يتركن المكان ويبقين خارجه منتظرات انتهائي من التبضع ليدخلنه بعد خروجي منه . لم يكن يسمح لنساء

البانتو دخول هذا السوق عادة بل كن يقمن بشراء مايحتجنه من خلال نوافذ صغيرة خصصت للسود . ولكن ماان يراني السود ادخل المكان الا ويدخلونه هم ايضا . كنت اتعمد البقاء ساعة حتى وان كان شراء مااحتاجه هو قطعة من الصابون لانني كنت استمتع برؤية النساء الافريكانيات وهن ينتظرن في الخارج (تضحك) .

صار البيض يسألون ويناقشون هذه الامور في بيوتهم . وكانت هذه الطريقة الوحيدة لتثقيفهم سياسيا من اجل التعرف على ماهية نضالنا . ويرجع الفضل في هذا الى الحاكم جيمس كروكر الذي حكم علي بالنفي الى هذا المكان . كثير من البيض لم يكن قد سمع بالمؤتمر الوطني الافريقي أو نيلسون مانديلا . والان تعيش بينهم المرأة التي حذرتهم السلطة منها وابعدتهم عنها .

ماذا تعني الشيوعية لهؤلاء البيض ؟ فالشيوعي بالنسبة لهؤلاء فرد مثلي . فاذا كان الشيوعيون اناسا يدخلون المحلات التجارية المخصصة للبيض ويستخدمون الابواب والمداخل المخصصة لهم ايضا فهذا يعني بالطبع ان البيض لا يرغبون في التعامل معهم .

فأذا رأوني اسير في الشارع فانهم يفسحون لي المجال . ثم بادروا في تقديم الاحتجاجات والشكاوي من اجل ابعادي عندما بدأ السود يدخلون المحلات التجارية حتى في غيابي . حتى انهم دعوا " كوتسي " وزير العدل وعقدوا معه اجتماعات كبيرة في " التاون هول " من اجل ذلك ووعدوا بدراسة الموضوع الذي لم يتأت منه شيء كما قرأت عن ذلك كله في صحيفة جوهانزبرغ بوست .

كنت في المستشفى عندما طلبوا ابعادي وعند رجوعي سمعت بالخبر وقلت للمحامي مازحة : " سمعت انهم لا يرغبون في

بقائي هنا . ماعليك الا ان تخبر وزير العدل انه اذا رغب في تمديد امر نفي فلتكن براندفورت المكان المختار لانني سوف لن اذهب الى اي مكان اخر ".

لقد وجدت العمل هنا مجديا . كما ادركت السلطة انها عاجزة عن ايجاد مكان اخر لي في البلاد وباتت لاتعرف ماتفعل بي .

وقد توضحت المفاهيم الاجتماعية للبيض تدريجيا ، اذ كانوا في السابق لا يكلفون انفسهم عناء التعرف على الظروف المعيشية الرديئة للبانتو الذين يعيشون بعزلة على الجبل . كان المزارعون البيض يقفون بشاحناتهم في المدينة عند حاجتهم الى العمال ولم يكلفوا انفسهم عناء الذهاب الى المستوطنة لان الشاحنات سرعان ماتمتلىء وبظرف خمس دقائق ، بالعمال لأنهم جميعا عاطلون . غير ان هذه العملية صارت تتم بشكل اخر اذ اصبح المزارعون يذهبون الى دائرة العمل لاخذ عمالهم لأن العمال السود ادركوا قيمة عملهم حتى وان كانوا بحاجة ماسة اليه فلا يذهب اي منهم الى العمل باجور زهيدة كما كان يفعل ، تلك الاجور التي لم تبعد عنهم الجوع . كان العامل يعمل بـ ٥٠ قرشا في اليوم فاصبح الان لا يرضى بهذا الاجر لأنه بات يدرك ان من الافضل له البقاء في بيته من العمل بأجر زهيد .

لقد حدثت تغيرات عديدة في براندفورت منها اغلاق النوافذ الصغيرة في بعض المحلات التجارية التي كانت مخصصة للسود لأن السود توقفوا عن الشراء منها كما كانوا يفعلون في السابق .

ان كل مافعلته هو انني سلكت سلوكا مختلفا . فالسود يقلدون الان مافعله ، عدا دائرة البريد التي ظلت ملتزمة بمظاهر الفصل العنصري الذي يحتم على السود استخدام

المداخل والمخارج المخصصة لهم . وكثيرا ماترى ثلاثين من السود ينتظرون دورهم للدخول لأن في الدائرة رجل ابيض .

اتذكر حادثة في محل تجاري لبيع الالبسة يدعى فوشيني وهو المحل الوحيد لبيع الالبسة في براندفورت ولم يكن صاحبه من الافريكانيين غير ان اسلوب التعامل مع السود يتم بالشكل الاتي :

اذا ارادت سيدة سوداء شراء بدلة فعليها الوقوف خارج المحل والاشارة الى البدلة التي ترغب في رؤيتها أو شرائها. فتقوم السيدة البائعة التي تدير المحل بحمل البدلة الى الباب . فلم يسمح لاية سيدة سوداء دخول المحل ولمس اية بدلة قد لا تلمسها السيدات الافريكانيات من بعدها . هذه الامور البسيطة مهينة بشكل جارح للكرامة .

ففي احد الايام ذهبت الى هذا المحل - وكان ذلك بعد وصولي الى براندفورت بوقت قصير اي في مايس ١٩٧٧ وكنت ارغب في شراء بدلة سوداء لابنتي زندزي التي كانت سترتديها يوم ١٦ حزيران * . كانت البائعة البيضاء تقف في الباب فظننت انها تريد الخروج فلمستها برفق ودخلت وتبعتني ابنتي زندزي وذلك لرؤية بدلة كانت معروضة في الواجهة . فجاءت البائعة وطلبت منا الخروج حالا . فرفضنا وطلبنا منها ان ترينا البدلة التي قصدنا رؤيتها . غير انها اجابت ان علينا الوقوف في الخارج ! فنشب شجار عنيف ادى بها الى ان تقول لنا : " اذهبوا الى انكلترا لشراء ما تحتاجون ! "

وعندما تركنا المحل كان هناك مئات الناس الذين

---

* ذكرى شهداء حوادث سويتو في ١٦ جزيران ١٩٧٦.

تجمعوا امام المتجر الامر الذي استوجب استدعاء الشرطة لا من براندفورت بل من بلومفونتين لأن مثل هذا التجمع يعتبر خرقا للامن وتهديدا كبيرا له . صارت هذه الحادثة حكاية يرويها الناس في المدينة ادت الى مقاطعة السود لهذا المحل واصيب نتيجة لذلك بخسارة كبيرة.

والان يستطيع اي شخص اسود دخوله وشراء مايحتاجه بعد لبسه والتأكد من مقاسه. واصبح بامكاني اخذ خمس او ست بدلات معي الى البيت لانتقاء ماتحتاجه منها وارجاع البقية التي لا نرغب فيها.

انها اشياء غريبة. فمثل هذه الاشياء تعتبر هنا في جنوب افريقيا " تغييرات سياسية " في حين انها امور تافهة وطبيعية في انحاء العالم الاخرى. حتى اذا دخل شخص اسود المرحاض المخصص للبيض - الذي هو من الامور الطبيعية - فأن ذلك يدرج في نقاشات التغيير السياسي لأن استخدام السود للمرحاض يعتبر "تغييرا". كم هو مريض هذا المجتمع الذي لايعرف اهله طريقة اخرى للتفكير لأن خبرتهم الحياتية المحدودة تجعلهم يستمرون في العيش بهذا الشكل الاعمى !. "

المستوطنة السوداء في براندفورت

" ان حالة الغيتو في براندفورت فظيعة - فالناس فيها جياع ونحن عاجزون عن تقديم المساعدة لهم. بعض العائلات تعيش في حالة مزرية اذ لا تجد ماتطعم به اطفالها. ان غذاء السود الاساسي كما هو معروف متكون من عصيدة الذرة

التي تؤكل بثلاث وجبات في اليوم غير ان الاغلبية الساحقة لا تأكل الا وجبة واحدة. فالاطفال يذهبون الى المدرسة ببطون خاوية والوجبة الوحيدة التي يأكلونها هي عند عودتهم من المدرسة حين تطبخ لهم امهاتهم هذه العصيدة. قد يأكل المحظوظ منهم كسرة خبز خلال النهار. اما وجبة المساء فهي على الاغلب عصيدة مع شيء من اللهانة المسلوقة. لقد عشت في المدن لسنوات عديدة وكباحثة اجتماعية اطلعت على مثل هذه الحالات المتدهورة التي نتعرض لها. كما عالجت مئات الحالات التي يشكو اصحابها من سوء التغذية في سويتو ولكنني لم اشاهد حالات من الفقر كالتي اشاهدها هنا في براندفورت وللمرة الاولى ارى بعيني عائلات تقتصر وجبة طعامهم المسائية الوجبة الوحيدة في اليوم - على عصيدة الذرة والماء المالح وأرى للمرة الاولى ايضا اطفالا يرضعون محلول الطحين المحمر لأن اهلهم لا يستطيعون توفير حليب الاطفال لهم. وطريقة تحضير هذا المحلول هي كما يلي: يوضع الطحين في مقلاة ويحمر ثم يضاف اليه الماء البارد ثم الماء الحار وبعدها يصفى في قنينة لارضاع الطفل. ولعل هذا هو السبب في ارتفاع عدد الاطفال المصابين بسوء التغذية، وكذلك عدد الوفيات بين الاطفال الرضع. فنحن ندفن طفلا واحدا في الاقل كل اسبوع. كان هناك ست جنائز في الاسبوع الماضي وثلاث في هذا الاسبوع وكلهم اطفال دون السنتين من العمر.

لذلك اصبح من الضروري اطعام الاطفال في دار الحضانة التي فتحناها. ففي صباح كل يوم اجمع الاطفال الذين هم دون الخامسة من العمر واتي بهم الى قاعة الكنيسة التي نستخدمها الان بصورة مؤقتة وارجعهم مساء الى بيوتهم. اغلبيتهم لا يستطيعون المشي بشكل صحيح بسبب سوء التغذية. تبرع صديق من المزارعين من بيتر سبرغ بكمية من مسحوق

الحليب الجاف ووصلتنا مؤخرا كميات اخرى من جمعية انقاذ المجاعة التي تساعدنا كثيرا في هذا المجال وعدا ذلك فاننا نعيش بكفاف شديد.

ولا ندري كيف سندفع اجور العاملات اللواتي يساعدننا في دار الحضانة في نهاية الشهر - وهذا هو الشهر الاول! لدينا اربع منهن تدربن على العمل في الكنيسة الميثودية ولدينا مئة طفل بحاجة الى رعاية وليس لدينا مايعيننا على ادارة الحضانة.

فنحن نعتمد كليا على تبرعات الاصدقاء اذا ماأردنا شراء الطعام للاطفال. كما اننا نحصل الان على اربعة ارغفة من الخبز تقسم على الاطفال ليأكلوها مع الحساء في وجبة النهار.

لقد مرت سنوات عديدة ونحن نكافح امام مثل هذه المشاكل والحالة الفقيرة في المستوطنة لم تتغير بل على العكس حالات سوء التغذية في ازدياد والصحة العامة في تدهور كما قلت فرص العمل ايضا. ولا توجد مؤسسات انعاش ورعاية نستطيع ان نحصل منها على مساعدة للحالات الاضطرارية. فالمستوصف الذي يقع في نهاية الطريق هو عديم الفائدة وبناء خرب، تسكنه ممرضة من وزارة الصحة ولكنه مغلق لعدم توفر الادوية والمستلزمات الطبية.

اعطي مثلا على ذلك: كانت احدى البنات اللواتي تبنيتهن حاملا وكانت تعاني من بعض المشاكل الصحية وهي في حالة وضع، الامر الذي دفعني الى الذهاب الى المستوصف اطلب النجدة لأن الممرضة المسؤولة هي قابلة في الوقت نفسه. غير انها اجابتني انها لا تستطيع المساعدة لعدم توفر مستلزمات الوضع مما اضطرني الى نقلها الى المستشفى في بلومفونتين. وعند عودتنا لم نجد مانحتاجه من رعاية

طبية . فلا تجد الحامل الرعاية قبل الوضع ولا بعده . هذه حالة واحدة من الحالات التي يواجهها السود وعددهم تسعة الاف نسمة .

عند مجيىء الى براندفورت كان عدد السود خمسة الاف نسمة غير ان العدد تضاعف في ظرف خمس سنوات وقد يكون عددهم اكثر من ذلك لان هناك بينهم من لم يسجل في دائرة النفوس وهم الذين جاءوا من غير ترخيص وسكنوا هنا . ولانهم يخافون التهجير فانهم لا يقومون بتسجيل انفسهم . وعلى الرغم من هذه الزيادة في النفوس لم يبن بيت واحد في المنطقة منذ مجيىء ولحد الان . ماذا يفعل هؤلاء الذين لاسكن لهم ولا عمل ولا مال ولا رعاية صحية ؟ لقد اصبح منزلي محطة انعاش للخدمات الاجتماعية والصحية ولكنني لا استطيع ان امدهم باكثر من الاسعافات الاولية لحالات الاسهال والسعال والجروح الناجمة عن المخاصمات .

يوجد طبيبان بويريان* يقومان بتقديم الخدمات الطبية للبيض ولا يسمح للسود بمراجعتهما الا بعد الخامسة مساء . وقد خصصت لهم اماكن خاصة للفحص . وهناك عدد قليل من الاطباء السود في المنطقة وعند مرورهم بالمدينة يقدمون الخدمات الطبية لنا . واقرب مستشفى حكومي هو مستشفى بلومفونتين الذي يقع على بعد خمس وخمسين كيلومترا واجور سيارة الاسعاف ٥ روبيات للسفرة الواحدة وهذا مالا يستطيع السود دفعه .

ولانني لا اتمكن من مغادرة المنطقة بسبب امر الحظر

---

* البويريون هم سكان جنوب افريقيا من اصل هولندي.

والنفي فكنت اعتمد على بعض الاصدقاء من اجل نقل المرضى المصابين بحالات مرضية حادة الى مستشفى بيلونوسي في بلومفونتين . لذا اضطررنا الى استخدام الاسعافات المتنقلة غير ان ثمن البنزين والعلاج حمل ميزانيتنا الكثير لان عمل هذه الوحدة المتنقلة لا يقتصر على الاسعافات والخدمات الطبية بل تقوم ايضا بتوزيع الحساء على المسنين في المستوطنة وهذا جزء من التبرعات التي وصلتنا من المانيا.

فلدي قدر كبير من الحساء احضرها للاطفال لاوفر لهم وجبة ساخنة واحدة على الاقل في اليوم ونحن الان بصدد بناء مطبخ للحساء في المدرسة بمساعدة بعض المدرسين المتنورين لأن المدير موظف حكومي لا ينتظر منه ابداء المساعدة لنا حتى وان كان ذلك لاطفال المدرسة .

يأتي معظم الاطفال الى المدرسة من مناطق زراعية بعيدة اي انهم يسيرون ١٠-٢٠كيلومترا وبطونهم خاوية ولكي يصلوا الى المدرسة في الساعة السابعة فهم يتركون بيوتهم في الساعة الثالثة أو الرابعة. وعلى هؤلاء الاطفال البقاء في المدرسة حتى الساعة الثانية بعد الظهر لكي يبدؤا رحلة العودة الى بيوتهم وليقطعوا المسافة نفسها من غير طعام طوال ساعات النهار -كيف يستطيع الطفل الجائع ان يتعلم ويذاكر ويجتاز الامتحان؟ لذلك رأيت بأن وجود مطبخ للحساء في المدرسة امر ضروري. هذا الى جانب مانوفره لاطفال الحضانة الذين هم دون الخامسة من العمر. ان الحساء المجفف يأتينا كمعونة ولكننا بحاجة الى موقد للطبخ ولتجهيز الخبز للاطفال .

كما اننا نحاول التركيز على الرعاية الصحية وفكرنا في مشروع ايجاد حديقة للاطفال . لقد ادرك الناس بانهم يستطيعون زراعة خضارهم في منازلهم وهذا يكلفهم اقل بكثير من شرائها من الفلاحين المحليين . فلا احد منهم يستطيع

شراء قرعة بـ ٤٠ سنتا . وبعد تزويدهم بالبذور صاروا الان يزرعون السبانخ والبصل والجزر والبطاطا غير ان الجفاف الذي داهمنا اوقف هذا المشروع المفيد . لقد ترك المنطقة مزارعون كثيرون من البيض بعد ان باع البعض منهم مزارعهم الامر الذي تسبب في تسريح العمال الذين بدأوا يتوافدون علينا مما سبب لنا مشاكل كثيرة لأن الادارة المحلية لاتسمح لهم بالبقاء في براندفورت اذا كانوا قد قدموا من المزارع التي كانوا يعملون فيها وتجبرهم على العودة الى اماكن عملهم ثانية . فهم في العادة ينحدرون من ثلاثة او اربعة اجيال من العمال ولا يعرفون مكانا او موطنا اخر يلجأون اليه . فعند ترحيلهم من براندفورت يلجأون الى دائرة المفوض الذي يحاول بمساعدة موظفيه معرفة مواطنهم الاصلية وذلك عن طريق اسمائهم . فأذا كان لاحدهم مثلا اسم (زوسا) فعليه ان يرحل الى (ترانسكي) او الى (سزكي) أو الى (بوفوتاسوانا) وهي وان كانت مواطن احدادهم غير انهم لم يسمعوا عنها ابدا .

ان هؤلاء العمال والفلاحين يعانون من قوانين البلاد التعسفية اكثر من غيرهم . فمن الصعب عليهم ترك مكان اقامتهم بسهولة من اجل ايجاد فرص عمل في مكان اخر . فهم على علم بأن مؤهلاتهم لا تمكنهم من النزوح الى المدن والعمل فيها بموجب قانون الانتقال من الريف الى المدينة فهم اميون وعمال غير فنيين وكثيرا مايؤدي هذا الى ترحيلهم الى مواطنهم الاصلية اذا ماحاولوا الانتقال الى اماكن اخرى .

لذلك فأنهم يصرون على البقاء في براندفورت او اي مكان اخر من غير ان يسجلوا انفسهم في الدائرة المدنية . ولقلة فرص العمل يبقى هؤلاء بلا عمل ومن ثم بلا مورد يوفر

لهم لقمة العيش . فلا يوجد في براندفورت سوى عشرة محلات تجارية وثلاثة محلات لبيع المشروبات الكحولية وعدد قليل من بيوت المستوطنين البيض. فكيف لنا ان نجد عملا لهؤلاء؟

ولكن على الرغم من كل هذه الصعوبات فانهم يحاولون تعبئة انفسهم كمحاولة للبقاء والاستمرار على الحياة بما لديهم . فلدينا الآن جمعية هيكتور بيترسون (لاحياء ذكرى ضحايا سويتو) الهيئة التي استطعنا عن طريقها فتح دار حضانة .

وبدأت النساء برنامج عمل تحت شعار "حسن بيتك" وهذه الوحدة تتألف من تسع نساء ينسجن الالبسة . وهناك جماعة اخرى تخيط الالبسة المدرسية لأن هذه الالبسة غالية جدا . فنحن نبيع هذه الالبسة التي يدفع الاباء ثمنها بقسطين او ثلاثة اقساط ونشتري بما نحصل عليه من ارباح اقمشة جديدة. ابتدأنا العمل في هذه الوحدة بمئة متر من القماش وماكنتين للخياطة حصلناعليها من التبرعات.

كما يوجد في براندفورت نادي للشباب وقد ابدى الان القليل من الشباب اهتمامات في الحرف والفنون مما جعلنا نفكر في فتح دورات للنسيج والخزف والبعض يقوم بطبع الاقمشة والباتيك .

غير ان تأمين المكان هو المشكلة دائما لذا فاننا نأمل بانشاء مركز للاجتماعات حيث نستطيع دمج كل هذه المشاريع مع خدمات الانعاش والمساعدات القانونية والدورات التثقيفية وهذه خطة تبقى على الورق نحلم بتنفيذها اذا لا يوجد لحد الان قانون مكافحة الاحلام !

هذه المبادرات لا تحل المشكلة الاساسية بالطبع وكما هي الحال في جميع انحاء العالم فأن نسبة الجرائم عند الاحداث تتزايد عندما يعيش الناس تحت الاضطهاد ويزداد كذلك عدد

العائلات المفككة والادمان على الكحول والمخدرات .

ان انحراف السلطة والمجتمع ادى الى بناء ماسموه حدائق البيرة التي اوجدتها البلدية والادارة المحلية البيضاء - هذه الاماكن اصبحت ملاذ اليائسين والعاطلين عن العمل - فالحرمان يدفعهم الى هذا المكان والسكر يعينهم على الهرب من واقعهم المؤلم ، والأمر كله مثير للشفقة . كما ان الشرطة تقف لهم بالمرصاد عند مغادرتهم المكان لكي تأخذهم الى المركز وغالبا مايحدث هذا ايام الجمعة وعطلة نهاية الاسبوع .

وهناك مأساة اخرى يوم دفع الرواتب التقاعدية مئات العربات التي تجرها الحمير والتي تحمل المسنين من المزارع البعيدة من الذين يأتون لاستلام صكوكهم ويقفون في طوابير منذ الساعة الرابعة صباحا .

وعند الساعة الثالثة بعد الظهر تمتلأ زنزانات مركز الشرطة بهم اذ ان الشرطة تحتجزهم بحجة السكر او اقلاق الامن في براندفورت ولانهم اي هؤلاء المسنين لا يعرفون القانون كما اعرفه انا فانهم يبقون في الحجز من غير ان يقوموا بأية مخالفة . وهذا ماجعل السجون مليئة باناس لم يقترفوا جرما او مخالفة .

والشرطة تقوم بزيارات روتينية لي ، تلك الزيارات التي لا تنتهي. والتهديدات لكل من يحاول الاقتراب مني مستمرة ايضا .

اتهموني مرة عندما كبسوا بيتي بانني متهمة بزيارة بيتي في سويتو والبقاء فيه فترة من الزمن وهذا مخالف لشروط حظري . ولهذه الزيارة قصة :

في كانون الاول ١٩٨٣ اصيبت ساقي بالتهاب حاد كان على وشك ان يؤدي بحياتي . فاعطاني الطبيب الذي استدعيته بعض

المضادات الحيوية من عيادتنا لاتعاطاها عن طريق الفم معتقدا بأن ذلك سيفيد اذ يبدو بأنه لم يقدر الحالة الخطرة التي كنت عليها .

وبعد يومين جاء المحامي السيد دي فال بالصدفة ليحمل لي برقية كانت قد جاءتني عن طريقه . لم استطع فتح الباب له. بعد دخوله رأني مرمية على الفراش واناهذي من الألم. كانت ابنتي زندزي حينذاك في جوهانزبرغ وكذلك احفادي لانني لم اعد قادرة على العناية بهم من جراء المرض، ولم تستطع زندزي المجيء لانها كانت موقوفة .

خاف المحامي دي فال واسرع لاستحضارالطبيب المحلي الذي اوصى بنقلي حالا الى المستشفى بعد ان القى نظرة سريعة علي. فاسرعت السيدة اديل زوجة المحامي دي فال بنقلي الى مستشفى الجامعة في بلوسفونتين وهي مستشفى للبيض لا يسمح لأي شخص اسود بدخولها .

اعتقد بأن السيد دي فال قام بمهمة التفاوض الصعبة مع الشرطة من اجل ادخالي الى المستشفى لأن حالتي الصحية استوجبت ذلك . وصلنا هناك الساعة الثانية بعد الظهر ولم يأتني الطبيب للمعاينة حتى الساعة الرابعة واعتقد بانهم كانوا يتناقشون في امكانية اجراء عملية طارئة مستعجلة لشخص اسود في مستشفى للبيض . كان هذا امر لا يحتمل . فكان من الافضل لي ان اموت في الغيتو من ان اقوم بتقديم التماس للسماح لي في اجراء عملية جراحية في غرفة عمليات للبيض . فانا ارفض مثل هذا الامتياز لذلك رفضت البقاء وطلبت بالحاح ارجاعي الى براندفورت على كرسي متحرك . وقدمت طلبا لمراجعة عيادة خاصة في جوهانزبرغ للعلاج .

اخبروني في اليوم التالي بأن الوزير وافق على سفري بالطائرة الى جوهانزبرغ غير ان الموافقة جاءت بعد فوات

الاوان.

كانت قوى الامن تقوم بالحراسة وانا في المستشفى ٢٤ ساعة في اليوم ولمدة ستة اسابيع. لقد انتشروا في كل مكان في المستشفى في الممرات وفي غرفة رئيسة الممرضات وحتى في غرفتي.

اخبرني الطبيب عند مغادرتي المستشفى بأن ساقي بحاجة الى رعاية صحية لمدة عشرة ايام اخرى لذلك فضلت البقاء في بيتي في (اورلاندو) غير ان الشرطة رفضت ذلك واخبروني بضرورة العودة الى براندفورت ومن ثم تقديم طلب جديد من هناك من اجل المجيء الى جوهانزبرغ بعد عشرة ايام.

كيف ينتظرون مني القيام بذلك وانا اسير على عكازين؟ كيف استطيع الطيران او السفر بالسيارة الى براندفورت من غير مرافق او شخص يستقبلني هناك؟ كيف اتمكن من ذلك وانا في مثل هذه الحالة؟ لقد فعلت ماحتمه علي وضعي الصحي وذهبت للنقاهة في بيتي في اورلاندو. كان البوليس يأتيني كل يوم بشكل طقوسي ليخبرني: " السيدة مانديلا لديك ساعة واحدة فقط للمغادرة الى براندفورت ". تجاهلت أوامرهم بالطبع لاني كنت طريحة الفراش لمدة تسعة ايام لم استطع خلالها المشي. ولكنهم كانوا في كل ليلة ينتزعوني من فراشي وانا بقميص النوم لأذهب بالعكاز الى غرفة الجلوس من اجل الاستماع الى سخافاتهم هذه والتي لم اكلف نفسي حتى الاجابة عليها. خيروني في المكوث في فندق بخمس نجوم في جوهانزبرغ بدل بيتي ولكنني تجاهلت ذلك ايضا.

عندما كنت في المستشفى تسلمت رسالة من براندفورت يقول فيها مرسلوها بأنهم اسفون لمرضي وان لي اصدقاء كثيرين في براندفورت. وبعد رجوعي الى براندفورت بدأ بعض البيض - واكثرهم ممن لم أكن قد كلمته سابقا -

الاقتراب مني . يستوقفوني احيانا في الطريق أو في دائرة البريد ليتكلموا معي ويستفسروا عن صحتي متمنين لي الشفاء العاجل. لقد تغيروا عما كانوا عليه سابقا وربما صاروا يستانسون لوجودي في مدينتهم التي صار لها مكان على الخارطة بعد ان كانت مدينة نائية غير معروفة. ربما كان هذا سبب تلك الابتسامات المسروقة والتفاخر بانهم من براندفورت . من منا لا يريد معرفة عدوه . فكلما كان الانسان قريبا من عدوه كلما كان آمنا كما يقول مانديلا . اذ انهم كما يبدو يشعرون بالارتياح والامان لانهم قريبون مني .

وقد ساءت علاقتي مع الشرطة بسبب اتهامهم لي بالاقامة في بيتي في اورلاندو في فترة مرضي التي تكلمت عنها."

قوى الامن

" على الرغم من انني كنت منذ البداية تحت المراقبة المستمرة من قبل قوى الامن غير ان مراقبتهم لي ازدادت بعد ان تعلمت اللغة المحلية " سوثو " خوفا من احتمال الاتصال مع افراد المجتمع بشكل مباشر . فالمشاغبة السياسية من سويتو - وهو الاسم الذي اطلقوه علي من اجل ابعاد الناس عني - لم يعد له مفعول بعد ان تعلمت لغتهم لانهم صاروا يتصلون بي مباشرة لا عن طريق الشرطة ولا اي مترجم اخر .

وصارت الشرطة توجه لي الاتهامات كل يوم تقريبا - اشياء سخيفة كثيرة يعتقدون بان فيها مخالفة لشروط النفي وهذا يعني بأني احال الى المحكمة كل يوم تقريبا . كان بيتي اشبه بمنطقة عمليات عسكرية وامتدادا لمركز الشرطة لأن افراد الشرطة يدخلون ويخرجون منه باستمرار .

لقد عين الشرطي كريت برنسلوو خصيصا لرصد تحركاتي وكان هذا شديد الحماس للقبض علي متلبسة بمخالفة لشروط النفي. فكان في السنة الاولى لي من النفي يأتي في منتصف الليل لتفتيش منزلي - تحت السرير وداخل الخزانة للتأكد من عدم وجود ضيف محظور عليه زيارتي . لقد تشاجرنا كثيرا وصار الان يراقبني من بعيد حيث يقف بسيارته على التل مستخدما الناظور في مراقبتي .

انا في الحظر منذ سنة ١٩٦٢ والاوامر والاحكام التي صدرت بحقي كثيرة بما فيها الاقامة الجبرية والتوقيف في عطل نهاية الاسبوع واخرها امر نفي الى هنا في ١٦ مايس ١٩٧٧ .

اتذكر بانني تركت هذه الاوامر كلها على مكتب ضابط الشرطة في بروتيا اذا لم تعد هناك حاجة الى قراءة مثل هذه الاوامر التي صرت اعرف مضمونها مقدما . لقد اصبح هذا نمط حياتي وحياة جميع المناضلين المحكوم عليهم بالحظر او النفي او السجن بت احفظ هذه الاوامر عن ظهر قلب .

حكم علي بالنفي بموجب قانون الامن الداخلي* ولا فرق في هذه القوانين كلها. فالاحكام السابقة جاءت بموجب قانون مكافحة الشيوعية وقانون الامن الداخلي اكثر صرامة من سابقه وهذا هو وجه الخلاف بينهما. فأمر النفي هذا يشبه الامر الذي سجنت بموجبه سنة ١٩٦٢. لقد اصبح القانون يتماشى مع نموذج الحكم العنصري الذي يجردنا من جميع الحقوق الانسانية. فهو قانون بغيض وقراءة تلك الاوامر الملعونة مضيعة للوقت.

---

* لقد استبدل قانون مكافحة الشيوعية لسنة ١٩٥٠ وهو احد القوانين الوحشية القاسية لأضطهاد المعارضة السياسية بقانون الامن الداخلي لسنة ١٩٧٦ الذي ينص بما تنص عليه تلك القوانين وبشكل اكثر صرامة على منع اي نشاط يدعو الى او يدافع عن او يشجع الافكار الشيوعية (الاشتراكية الماركسية) او اي نشاط يدعو الى تغيير في ميدان السياسة والمصانع والنواحي الاجتماعية والاقتصادية في جنوب افريقيا وذلك بأثارة الشعب لغرض ترسيخ نظام شيوعي للحكم. فقانون ١٩٧٦ يشترط منع اي نشاط من شأنه ان يعرض الامن العام للخطر. ويترك لوزير العدل امر تقرير النشاطات التي تروج الافكار الشيوعية وتهدد امن المنطقة. وبموجب هذا القانون يتم الحجز والتوقيف الاحترازي من دون محاكمته ويمنح الصلاحية للمنفذ اسكات اية جمعية او فرد او صحافة .

فلا يحق لي مثلا حتى الذهاب الى الكنيسة من غير ترخيص وموافقة. غير انني لن اذهب الى الحاكم من اجل الحصول على موافقة لعبادة الله لأن في ذلك تجاوز لا اقره وهو منحهم سلطة دينية يعتقدون بانهم يملكونها . كما ان محاولة الحصول على مثل هذه الموافقة تعني قبول سلطتهم وسيادتهم التي تحل محل سيادة الله . فلا ولن اطلب السماح من مخلوق للذهاب الى الكنيسة . ان هذا حق الله فقط لا غيره .

يوجد عشر كنائس في هذا المجتمع الصغير - ولعل هذا هو الشيء الوحيد الموجود بكثرة . بنايات ضخمة واكثرها حداثة هي الكنيسة الكالفينية الهولندية . ولا توجد كنائس مختلطة - وللسود كنيسة انكلكانية واحدة ليس فيها قس . لذا فأن الاب جون رشتون وهو صديق العائلة يأتي مرة في الاسبوع لمنحي القداس . ولما كان الاب جون ممنوعا من دخول بيتي - لأن امر النفي لا يجيز ذلك الا للطبيب والمحامي والاولاد - فانه يقف على مسافة من البيت ويعطيني اشارة بمنبه السيارة لكي اهرع اليه للصلاة على بونيت السيارة ، وعندما ينزل المطر يتم ذلك داخلها .

عندما ذهبنا الى بلومفونتين لتعميد حفيدتي في الكاتدرائية كان الشرطي برنسلوو يقف متكئا على الحائط لمراقبة القداس حتى انه اقترب وحشر نفسه بين الاقارب لمراقبتنا عن كثب .

اني خجلة والله من بلدي جنوب افريقيا البيضاء . فالسلطة كما يبدو لا ترى الخطأ فيما تفعل . فكل هذا هو طبيعي بالنسبة لها وقد اصبحت مثل هذه الانتهاكات الفاضحة جزء من حياتهم ! فنحن بالنسبة للسلطة ارهابيون و " اينما يتواجد الارهابيون يتواجد البوليس حتى في بيوت العبادة!"

هناك حادثة اخرى تكشف ردود الفعل الشاذة عندهم امام

السلوك الطبيعي : كانت صديقتاي هيلين جوزيف وباربارا ويت تجلبان لي بعض الاطعمة وكان هذا في بداية سنة ١٩٧٧ وكان الاب راكيل يأتي بهما ويخبرني بوصولهما. ففي احدى المرات لم يستطيع الاب راكيل المجيء معهما الامر الذي اضطرهما الى ارسال برقية لي من دائرة البريد تخبراني بوصولهما لكي اذهب للقائهما في المدينة . فكان لقاء حارا بيننا وقد سلمت على كل منهما على انفراد .ثم نقلت الاطعمة والخضروات من سيارة باربارا الى سيارتي التي اوقفتها على بعد بضعة ياردات ثم بدأ المطر يهطل . فوقفت الى جانب سيارة باربارا وبدأت الكلام معها بعد ان جلست في المقعد الخلفي من السيارة ومع هيلين التي كانت في المقعد الامامي . وبعد دقائق ظهر الشرطي كريت وقد تعلقت على رأسه بعض من اوراق الشجر وقد كان يراقبنا من وراء السياج الشجيري فلما نزل المطر اضطر الى الخروج من مكمنه ، وكان شعره مبللا . بادرني كالعادة: " لقد خالفت الاوامر وعلي ان القي القبض عليك ".

احيلت كل من باربارا وهيلين الى المحكمة وحكم عليهما بالسجن لمدة اربعة شهور لانهما رفضتا الادلاء بأية معلومات.

كنت اتصادم مع هذا الرجل كل يوم تقريبا. فأذا سمع انني كلمت احدا يقوم بجولة يستجوب بها كل من يسير في الشارع لمعرفة الشخص الذي كلمته . واذا مازرت بيتا فأنه يقوم بالقبض على الاب والام والاولاد وحتى الاحفاد واستجوابهم جميعا . لابد ان في مركز الشرطة مجلدات كبيرة من هذه الافادات .

جاءت لزيارتي مرة هيلين سوزمان *١. وعند وصولها كان البوليس يقوم باحدى غاراته التفتيشية المفاجئة لمنزلي " فرحبت باللجنة المستقبلة " هذه . وبينما كان البوليس يصادر الكتب والاوراق والوثائق - وحتى غطاء السرير لانه كان يحمل الوان حزب المؤتمر الوطني الافريقي*٢ - كنا نتحدث انا وضيفتي بشكل طبيعي متجاهلتين رجال البوليس الذين كانوا يحومون حولنا ونحن غير آبهين لوجودهم.

كان الشرطي كريت برنسلوو على علم بما كنت افعله دائما اذ كان لديه مخبرون انتشروا في كل مكان ينقلون اليه الاخبار لانهم بحاجة الى مايسد جوعهم وهذه مهمة ليس فيها اية خسارة !. فهم ينقلون الاخبار عني الى برنسلوو من اجل البقاء على قيد الحياة وهم مستمرون على ذلك غير انهم الان يقومون بنقل الاخبار مع شيء من التحيز والوفاء لي وبضمير متيقظ. حتى ان البعض منهم يأتي معتذرا عما يقوم به وقد اخبرني هؤلاء بأن الاجر الذي يتقاضونه هو ٥٠ سنتا . شعرت حينها بالاهانة ودفعني هذا الى ان اقول لبرنسلوو :" كيف تجرؤ على دفع مثل هذا المبلغ الضئيل لابناء بلدي وهل ان ثمن الاخبار عني يساوي قنينتين من البيرة !" فاحمر خجلا.

---

*١ هيلين سوزمان عضوة البرلمان منذ ١٩٥٢ وكانت عضو المعارضة الوحيدة بين سنة ١٩٦١-١٩٧٤ ويدعى هذا الحزب التقدمي الفدرالي وهي من اشهر المعارضين لنظام الفصل العنصري .

*٢ لقد ارسل اعضاء الكونغرس الامريكي ست وعشرين غطاء سرير لويني مانديلا تعويضا عن غطاء سريرها الذي صودر وكانت الاغطية المهداة بتصميم هولندي بنسلفاني يفترض ان يطرد الارواح الشريرة.

عندما تزورني هيلين تجلب لي معها شيئا من الاطعمة والخضروات والفواكه التي كنت اعطي منها للاطفال . فماذا فعل كريت برنسلوو ازاء عملي هذا ؟ ذهب الى كل طفل يحمل برتقالة والى اباء الاطفال ليخبرهم في اجتماع عام بان هذا ممنوع . ممنوع على الاطفال قبول او تسلم الفواكه والهدايا من " الشيوعية ".

كان هناك محاكمة اخرى . كنت قد قضيت اسبوعين في براندفورت وكان الطقس حينها باردا . جلب لي الشرطي برنسلوو موقدا من نوع كاليدون دوفر وكيسا من الفحم وطلب مني دفع ثمنه . غير ان الموقد لا يتسع الا لقطعتين من الفحم الذي كان كبير الحجم مما دفعني الى طلب المعونة من سيدة كنت قد التقيت بها وقد ساعدتني في امور كثيرة مثل كيفية منع الغبار من التسرب الى الدار وذلك بوضع الجرائد او القماش المبلل في شقوق الجدران او في النوافذ وكذلك اعطتني بعض الارشادات عن كيفية حفظ البيت نظيفا ومعقما. وبينما كنت اتكلم معها جاء ساعي البريد واخبرها بوصول دجاج جيد وصل للتو من المزارع (كان المزارعون يأتون بالخضر واللحوم في ايام معينة ويبيعونها في دائرة البريد) فسألته انا عن ثمن الدجاج وكان في سؤالي هذا خرق ومخالفة للقانون استوجب محاكمتي .

وكفرد منفي لم يسمح لي بالتكلم أو الاجتماع مع اكثر من شخص واحد ، غير ان كلامي مع ساعي البريد لم يكن اجتماعا وانما حالة جاءت مصادفة ولم افكر حينها على انها مخالفة . لذلك اخلي سبيلي بعد استئناف الحكم .

فكلمة " هالو " او القاء التحية هي من الممنوعات بالنسبة لبرنسلوو . كان علي ان اثقفه واشرح له اوامر النفي فعندما جاء يتهمني بخرق القانون لأنني استقبلت افراد

عائلتي اجبته بأنه لا يعرف حتى مضمون قوانينهم . ففي اي مكان اخر في العالم يكون الاستفسار عن ثمن دجاجة " ترويج للمبادىء الشيوعية " ؟.

فالقوانين التي يضعونها تصبح معقدة حتى بالنسبة لهم وهذا ليس بالغريب . فهم منشغلون على مدى اربع وعشرين ساعة في اليوم يشرعون القوانين ضد اثنين وعشرين مليون نسمة فمن اين يأتيهم الصفاء الذهني لفهم مايشرعون - هذه الشبكة المعقدة من القوانين العنصرية !

صار صديق العائلة الفنان م . ك . ميلفين ملاحق بصورة مستمرة حتى انهم طلبوا منه ترك براندفورت ثم رحلوه الى ترانزكي .

جاءوا يوما بملابس البرلمان يتشدقون بانهم استطاعوا حصد الارهاب في ليسوثو . والان جاءوا لقتلنا فوضعوا هذا الشاب الفنان في مايشبه التقفص وهو قابع فيه لا يستطيع الحركة ليرحلوه الى ترانزكي . كانت حجتهم ان اقامته في منزلي مخالف للاوامر في حين لا يوجد في امر ابعادي اية اشارة الى افراد اسرتي وكان هذا الشاب واحدا منهم . لم يسألني احد عن عدد افراد اسرتي ولهذا اهملت القضية لعدم ثبوت الادلة .

بالطبع لم يكن لأي واحد من افراد الاسرة اوراق ثبوت الشخصية من براندفورت لاننا لسنا من فري ستيت بل من جوهانزبرغ. وانا وبموجب قانون السيطرة -وهو من تشريعهم- من مقيمي جوهانزبرغ . لذا فاننا لا نستطيع حتى الذهاب الى بلومفونتين . واذا مافعلنا ذلك نساق الى التوقيف ليأتي محامينا ويخرجنا منه بعد سلسلة من المحاكمات .

في سنوات النفي الاولى ارادت ابنتي زندزي ترك براندفورت ولم تفهم حينذاك سبب عدم موافقتي على ذلك . لقد

كنت بحاجة اليها . فهي الصغيرة بين اطفالي . وعلى الرغم من انني وهبت كل شيء في حياتي الخاصة للقضية - ومن غير ندم بالطبع - ولكن الانسان لا يستطيع التخلي كليا عن الشعور بالانتهاء لافراد عائلته والى حاجته الى جو عائلي . فلم استطع في الواقع ان اتركها تنسل من بين يدي وانا اتشبث بآخر رمز للروابط العائلية . وكانت هي تتمزق بين رغبتها في البقاء وبين الدوافع التي كانت تضيق عليها بالابتعاد عن براندفورت : كيف تتركني في فري ستيت وانا بمثل هذه الحالة القلقة وانا اتعرض للخطر المستمر ولنا بيت مغلق في جوهانزبرغ وابوها في السجن !

لقد اجتازت هذه المحنة الآن . فالشيء الذي كانت ترغب فيه دائما هو دراسة القانون واعتقد بأن هذه المهنة افضل شيء بالنسبة لطفلة مثلها وستصبح بالتأكيد محامية سياسية "

عائلة دي فال

" احمل الكثير من الاحترام لعائلة بيت دي فال * . لقد عانى وعائلته الكثير لأنه كان محامي حتى انه تشاجر مع من يسمونه وزير العدل جيمي كروكر الذي قال له مرة عندما توكل دي فال عني: " لماذا لاتتركها لتجد لنفسها محاميا يهوديا - ماالذي يجبرك على التوكل عن هذه المرأة !"

كان دي فال في البداية مترددا ومضطربا بالطبع ولكنه لم يستطع رفضي كموكلة لأن في ذلك خرق لأداب المهنة

---

* ظل بيت دي فال محامي وني مانديلا حتى امد قريب .

ونستزاماتها رلاسه ايصا المحامي الوحيد في برانـدفـورت .

فلم يكن لديه اية مشكلة مع البوليس قبل مجيء الى برانـدفـورت غير انه اصبح وبصورة مستمرة من المترددين على مركزالشرطة لاطلاق سراحي بعد كل عملية توقيف كما كان يتوكل بالدفاع عني في المحكمة.ونتيجة لذلك قاطع المجتمع الابيض هذه العائلة وانا المسؤولة عن كل ذلك.

فهو يعيش مع هؤلاء الناس ويلعب معهم الكولف احيانا. وفي الوقت نفسه اصبحنا اصدقاء حميمين وليس في استطاعتي التعبير عن امتناني لهذه العائلة بالكلمات .

لقد تبدل هذا الرجل منذ مقابلته الاولى لي . مازلت اتذكر مقابلته الاولى لي في مايس ١٩٧٧ في مكتبه في شارع فوورتـريكر ! واتذكر تلك الدهشة على وجه سكرتيرته عند وصولي المكتب ! فانا متأكدة بأن تلك الدهشة كانت لأنني السوداء الوحيدة التي لم تدخل المكتب من الباب الخلفي. فتعجبت السكرتيرة ولم تعرف ماتفعل بي . ربما كانت على درجة من الحرج بحيث انها لم تطلب مني الجلوس بل ذهبت مسرعة تنادي السيد دي فال الذي كان مع احد الزبائن . فدهش هو الاخر وسقط القلم الذي كان بيده على الارض .

اما زوجته اديل فتختلف عنه تماما. فقد عرفتني بنفسها وقالت : " لابد وانك تشعرين بالوحدة في مثل هذا المكان. لماذا لا تأتين لزيارتي في البيت وتستطيعين ذلك متى شئت. وأنا متأكدة بانك ستجدين عندنا ماترغبين في قراءته من الكتب. "

لقد كان هذا هو الموقف الانساني الاول الذي يصادفني في برانـدفـورت البيضاء والسيدة الأولى التي سلكت نحوي بهذا الشكل .

وعندما علمت باننا لانستطيع الطهي لعدم توفر لوازمه احضرت

وجبة طعام ساخنة على عجل كي احملها لابنتي زندزي . وبعدها صارت تغرقنا بدعواتها كما انها تبرعت بتعليمي الحياكة والخياطة .

لقد تعلمت منها الكثير الذي لم يكن باستطاعتي تعلمه من دونها ووجودي مع سيدة افريكانية مثل السيدة دي فال في فري ستيت مكنني من التعرف على الكثير من مشاكلهم ايضا .

لقد ارسلت لي يوما رسالة مستعجلة تطلب مني فيها الذهاب الى دارها بسرعة وذهبت لارى والديها الكبيرين في السن . هناك عرفتني عليهما وقرأت الدهشة في وجهيهما . كان من الصعب التفاهم معهما لانهما من منطقة اخرى في فري ستيت - ومن الافريكانيين الاصليين . وانا لا اعرف اللغة الافريكانية - ولا حتى الان - مما اقام بيننا جدارا نفسيا . فانا لا استطيع التحية بهذه اللغة .

كانت تلك امسية جميلة قضيتها معهم وعند مغادرتي وقف الاثنان جنبا الى جنب ونطق الرجل الكبير جملة كان قد تعلمها ورددها كثيرا كما يبدو : " السيدة مانديلا نود ان نعلمك باننا لا نحمل لك اية ضغينة . "

كنت على وشك الانهيار لأنني كنت اتوقع ان اسمع العكس ! والبراءة التي ارتسمت على وجهيهما عندما نطق هذا الرجل بعبارة " لا نحمل لك اية ضغينة " . اذن لقد اسأت اليهم اية عبارة هذه ! انها تلخص وجهة نظر الافريكانيين جميعا فهي جملة مهمة ذات مدلولات مهمة ايضا . نحن في الواقع في حالة حرب معهم وعلي ان اشعر بالذنب بسبب لوني - وليس بسبب افكاري السياسية . اذن فقد اسأت اليهم بها أنا -انا واثنان وعشرون مليون نسمه لا نقول لهم مثل هذا الكلام . فهم عندما يقولون بانهم لا يحملون لي اية ضغينة يعلمون حق العلم بانهم مستوطنون اجانب يقولون لي

هذا وانا في بلدي السليب الذي اناضل من اجل استرجاعه . يتولون لي ولشعبي بانهم لا يحملون لنا حقدا او ضغينة. لقد صعقت لما قالوه. هذا مايقوله المعتدي على المعتدى عليه.

ونتيجة لصداقتي مع آديل دي فال قاطعها المجتمع وابتعد عنها الاصدقاء بحيث تجدها وحيدة في اي وقت تزورها. تشغل نفسها باشغال الابرة ونسج السجاد وهذا مايؤلمني كثيرا .

كما حدثت لها مشاكل مع ابنتها سونيا التي انقطعت عن الاكل بسبب المرض الذي كنا نحس سببه بشكل غيرمباشر والذي استمر سنتين . عندما التقت سونيا بابنتي زندزي التي كانت بسنها تقريبا حدث بينهما تبادل في الاراء والمعتقدات الأمر الذي ادى بها الى صدمة قوية لأنها كانت تجهل الكثير وهي الافريكانية المتعصبة من فري ستيت . وعندما اخبرتها زندزي بأنها في مدرسة ووترفورد وهي مدرسة مختلطة للسود والبيض في سوازيلاند اصرت سونيا على الانتقال اليها وعندما رفضت الام ذلك بسبب تقاليد العائلة الافريكانية اصيبت الفتاة بوعكة صحية تلك التي اشرت اليها .

تتسم هذه العائلة بالشجاعة . ان التقاء بيت بسيدة سوداء عدا عمال المزارع كان له اثر كبير في كشف الحقائق التي كانت غامضة عليه . لقد اخبرني بأن نضالنا يشبه الى حد ما نضال اجداده ضد الاحتلال الانكليزي .

لقد تغيرت نظرتهم للاشياء وادركوا فجأة بأن ماكان لنيلسون ان يودع السجن. لقد كانوا يجهلون بان من اسموهم شيوعين هم اناس يرغبون العيش معهم بسلام ، اناس ساهموا في بناء هذا البلد وان على الحكومات في المستقبل الاعتراف بدورهم هذا وبحقوقهم كاملة لا ان تقوم باضطهادهم والخلاص منهم . اي مجتمع ترغب فيه الحكومة اذا كانت لا تقبل حتى

بدستور الحرية ؟ اي مجتمع وهمي هذا الذي تسبب في مثل هذه النتائج المأساوية التي لا يستطيع التاريخ مسحها من صفحاته .

ان محنة هذا النموذج الافريكاني هي اكبر من محنتي فانا اعرف ماأريد - حريتي التي اناضل من اجلها من غير خوف. غير ان الافريكاني يعيش في خوف وقلق من جراء تعصبه وعنصريته، يخاف من التسلط ايا كان نوعه. فله مشاكل اكثر من مشاكلنا .

ولكن عندما يلتقي افريكاني من سلالة بيت رتيف في براندفورت مع شخص من سلالة شاكادنكان -من عائلة مانديلا- ويتعرف كل منهما على الاخر بشكل ودي ويفكران سوية في المستقبل ويتضح لهما بان مستقبل كل منهما مرتبط بالاخر اشعر بأن هناك أمل في غد افضل ."

مقتطفات من رسائل متبادلة بين نيلسون وويني ماندیلا وميري بنسون*

رسالة نيلسون الي وفي ١٩٧٩/٧/١

ماما الحبيبة

رسائلك المؤرخة ١٢ مايس و ٢٤ مايس وصلت في اليوم نفسه . لقد ارسلت لك التقرير الطبي في رسالتي الاخيرة ولا اعتقد بأن الطبيب سيعطيك معلومات جديدة اخرى . اؤكد لك ثانية بأنني بكامل صحتي ونشاطي ...

اوافقك على اقتراحك حول غلق الاضابير مع المحامي السيد دي فال والاتصال المباشر مع جوهانزبرغ ولكن عليك ان ترسلي له كتاب شكر رسمي اذا مافعلت ذلك.انها لشجاعة منه الاهتمام بامورنا في مجتمع بعيد وضيق مثل براندفورت . فالتحريض الذي يأتيه من جهات معينة ضدنا خير شاهد على ذلك.ان علاقته معنا تميزه وزوجته كعائلة لها ايمان عميق وقوة شخصية.

---

* ميري بنسون صديقة عائلة مانديلا. ولدت في جنوب افريقيا ونفيت بسبب نشاطها السياسي. تعمل الان في انكلترا كاتبة ذات نشاط للتأثير على الحكومة وتشريعاتها. كتبت عن حياة نيلسون مانديلا وعن تاريخ المؤتمر الوطني الافريقي .

مقتطفات من رسالة وني مانديلا الى ميري بنسون

رسالة وني الى ميري بنسون ١٩٧٩/٥/٢٤

بما ان المعجزات لا تتوقف فان وصول رسالتك لي عن طريق الشرطي كريت برنسلوو هي احداها . ان اول عمل سأقوم به عندما يرفع عني الحظر (اذا ماصح هذا) هو الذهاب الى الكنيسة لاشكر الله على ذلك . وصلتني رسالتك في وقت كنت افكر فيه بجميع اصدقائنا الاعزاء وكذلك اقوم بتقييم ذاتي وهذه ظاهرة اعتيادية تحدث لمن يعيش في المنفى .

كان الامر اسهل علي قبل سنتين عندما كانت ابنتي زندزي تعيش معي وتخفف عني الألم . هي الان مع هيلين تتهيأ للامتحان وللمرة الاولى اشعر بحق ماتعنيه سيبيرتيي الصغيرة التي هي منفاي . فالايام المملة تسير ببطىء ، كل يوم فيها يشبه الاخر مهما حاولت اشغال نفسي بالدراسة . فالوحدة قاتلة والبيوت التي تشبه علبة الكبريت الرمادية تبدو وكأنها من غير حياة مثل ساكنيها الذين يشكلون سلسلة بشرية من السأم والخيبة وهم يمرون من امام نافذتي .. فهم في حالة سكر شديد من الساعة التي يفتح فيها (المشرب) وحتى الثامنة مساء . والاطفال الجياع الذين يذهبون الى مايشبه المدرسة يلتقون بابائهم هناك . فهؤلاء لا يملكون الغيرة ولا يفكرون بانهم يعيشون بصورة مؤقتة في الغيتو . فهم عمال احتياط يعملون لدى المزارعين الجشعين الذين يرمون بهم بهذا الشكل عند عدم الحاجة اليهم . ان أعلى اجر يتقاضاه العامل هو خمس روبيات في الشهر للامهات المحظوظات . اما الحياة الاجتماعية فهي عبارة عن جنائز

وسرقات ليلية .

كم هي مؤلمة هذه الاشياء غير ان في المنفى مايساعد على تنقية الروح . فعندك في كل لحظة مايذكر بأن اللون الاسود وحده هو جريمة تستاهل العقاب في هذا المجتمع المريض وهذا مايبعث فيك العزيمة والقوة. فليس هناك شك في قدسية التضحية وفي اقترابنا من اهدافنا بالمفهوم التاريخي . وهل هناك اعظم من كون الانسان جزء من مثل هذه التضحية مهما صغر حجم العطاء .

بالمناسبة، كان من المفروض ان ابدأ العمل في ١ آذار ١٩٧٩ مع الدكتور كرس هاتنك في ويلكوم . فهو واحد من الافريكانيين غير انه متعاطف مع قضيتنا ومن المعجبين المتعصبين بنيلسون. وقد قام بمساعدتنا ماديا لبضعة اشهر. لقد كافحت كثيرا من اجل الحصول على موافقة للعمل معه منذ تشرين الاول من السنة الماضية. لقد اخبرني النقيب برغ كوتزي بانني حصلت على الموافقة واستطيع العمل بعد تسلم الموافقة الخطية . في هذه الفترة اخبرني الدكتور هاتنك بأنه ملاحق من قبل اربعة اشخاص في سيارة منذ ان بدأ في زيارتنا . وفي الاول من اذار وهو اليوم الذي يفترض ان ابدأ به العمل جاء ليتأكد من وصول الموافقة بعد ان قطع ستة كيلومترات وكان ذلك في الساعة الثامنة مساء . غير ان سيارته انقلبت بشكل غامض ومات على اثر ذلك . وبعد وفاته وصلتني الموافقة . قتلوه وتخلصوا منه كما فعلوا مع ستيف بيكوس غير ان قتل الدكتور هاتنك افظع من قتل بيكوس لأن العالم لا يعرف عنه شيئا . لم استطع التغلب على الصدمة ولم اكن ادري بأنني استطيع الحزن بهذا الشكل على احد من غير ابناء جنسي . ان هذه الحادثة علمتني الحب العميق لمثل هؤلاء الناس ولولا حوادث مثل هذه لظلت علاقتي معهم سطحية

وايديولوجية فقط . فحبي لمثل هؤلاء حب صادق ومتين .... هؤلاء الذين امنوا بقضيتنا .

سأقابل نيلسون في الثاني من حزيران وان الكتاب الذي يشير الى بلوغه الستين من العمر كتاب عظيم* .

---

* اشارة الى كتاب ميري بنسون عن حياة نيلسون مانديلا (المترجمة)

عندما درسني والدي التاريخ بدأت افهم.
حياة وني مع والديها ونشأتها في الريف في (بوندولاند)

" ادركت وانا صغيرة بأن البيض يشعرون بالتعالي.
وكنت ارى ثياب والدي رثة بالمقارنة مع المدرسين
البيض . لقد جرح هذا كبريائي وانا طفلة صغيرة
فكنت اقول مع نفسي: اذا خسر اجدادي حروب
الزوسا التسع فسابدأ انا من حيث انتهى هؤلاء
الزوسا وساستعيد ارضي ".

ان بوندولاند التي انا منها منطقة قبلية تماما. افراد القبيلة لازالوا يتجمعون على التلال وهم يلبسون تلك الاحزمة التقليدية . ذهبت الى مدرسة ريفية وكانت ثقافتي السياسية غامضة ومشوشة في تلك المرحلة .

كان والدي مدرسا للتاريخ في مدرسة حكومية وهو في الاصل زعيم قبيلة صغيرة غير انه رفض الزعامة (الامر الذي لم افهمه حينذاك) من اجل ان يصبح مدرسا. ولم اعرف تأريخ بلدي الا من درس التاريخ الذي درسه لنا والدي .

كانت امي تدرس التدبير المنزلي وكانت متعصبة دينيا. فعندما كنت في الثامنة من عمري كانت تحبسني مع اختي الصغرى وتجبرنا على الصلاة معها بصوت عال . وعندما يكون والدي في البيت تأخذنا الى زاوية في الحديقة مرتين او ثلاث مرات في اليوم لنصلي هناك . كانت الاعشاب عالية في تلك الزاوية من الحديقة وكافية لأن نجعل منها مكانا مخفيا عن الانظار. كنا نقوم بهذه الطقوس الدينية من غير ان نفهمها وقد رسخت هذه العادة فينا واعتقد ان

عصياني على الكنيسة وانا في المرحلة الثانوية جاء نتيجة لسلطة هذه "الحكومة النسوية" علينا. كانت تصلي لاطفالها دائما وتتمنى بجنون ان يكون لها ابن وهذا ماكانت تطلبه من الله كل يوم على مااتذكر . لقد ولدت عندي رغبتها الملحة هذه شعورا ورغبة في ان ابرهن لها بان للبنت مايجعلها في منزلة الابن عند والديها . وحدث مازعزع ايماني بالله في طفولتي . كنت ارى امي تصلي ثلاث مرات في اليوم من اجل اختي المريضة سسي فايولوا. وفي يوم من ايام الاحد رجعت من الكنيسة لتجدها تبصق دما حتى الموت. كنت اقف وراء ابي وانا في السابعة من عمري عندما غطوا اختي بشرشف ابيض وامي على ركبتيها تتضرع وتتوسل الى الله ليرسل الملائكة لانقاذها. كانت مصابة بالسل .

ومنذ ذلك الحين بدأت امي تضعف وتذبل . كانت تجلس في اماكن مظلمة من البيت تصلي بصمت . اعتقد بانها اصيبت بالسرطان لأنها كانت تموت ببطء وهي تعاني الاما شديدة . لقد انجبت الكثير كنا - تسعة - وماتت وهي في الاربعين من عمرها .

لم تتوقف امي عن الصلاة . كنت ارقب شفتيها ووجهها الذي بللته الدموع وماتت وهي ترضع طفلها الصبي الذي كان بعمر ثلاثة اشهر والذي اسموه ثاندوكسولو. تعبت كثيرا وانا اجهز له قناني الرضاعة بعد وفاتها وانا في التاسعة من عمري وبقيت ساعات طوال احاول تنويمه باعطائه الماء المحلى بالسكر .

كان علينا خدمة ورعاية انفسنا بعد وفاة امي ومعنا عمتي التي علمتنا الطاعة وكانت صلبة قاسية تعتقد بان على الاطفال ان يعتادوا على الحياة الصعبة .

كان علي ان اترك المدرسة لنصف سنه بعد وفاة امي من

اجل الاشتغال في الحقول . لقد حلبت البقر ورعيت اغنامنا ومعزنا وكان علي ان احصد ذرتنا - هذا ماكسبني هذه العضلات القوية . كان نجاحي في الصف السادس معجزة لانني كنت اقوم بكل هذه الواجبات اضافة الى واجباتي المدرسية .

كافح والدي كثيرا من اجل توفير المأكل لعائلته الكبيرة براتب المدرس "القذر" الذي لايزيد على اجرالعامل الذي يعمل في الحقل وبوسائل زراعية بدائية وحيوانات هزيلة مريضة. كنت اخذها انا الى احواض التعقيم التي وضعها الرجل الابيض بمساعدة رجال القبائل على قتل القراد.

وبدأت افهم امورا كثيرة عندما درسني ابي التاريخ . اتذكر كيف شرح لنا حروب الزوسا التسع . كان لدينا كتب منهجية كتبها البيض لتعكس وجهة نظرهم واسباب كون هذه الحروب تسعا . كان ابي يضع الكتاب جانبا ويقول : " هذا مايقوله الكتاب غير ان الحقيقة هي غير ذلك . لقد غزا البيض بلادنا وسرقوا منا الماشية فكان السود يذهبون لاسترجاعها . اي ان النزاع والصراع بين البيض والسود كان نتيجة سرقات مستمرة . هكذا كان يدرسنا التاريخ

ثم يقول بعد ذلك : " ادم كوك الذي يشيرون اليه بـ(هوتنتون) هو احد زعمائنا وقد سرقوا منه اكثر مما سرقوا من اية قبيلة صغيرة اخرى في المنطقة . لقد ذهبوا الى حد المقايضة معنا بسكاكين المائدة !" . كما حذرنا والدي وهو يصف اساليب الاهانة التي يستخدمها البيض قائلا : " عندما يذهب اباؤكم للاشتغال في المناجم يشير اليهم الاسياد (الاولاد) وعندما تشتغل امهاتكم في المدينة من اجل توفير الثقافة لكم يسمونهم (البنات) وهذه مفردات يستعملها البيض - حتى الاطفال لأهانة السود.

ولكن لم يكن حينذاك فارق بين ثقافة الابيض والاسود

لانهم كانوا جميعا يتلقون الدروس والمواد نفسها. كان هذا قبل ان تفرض علينا مناهج دراسية قذرة خاصة بالبانتو في مطلع الخمسينات، الامر الذي تسبب في هبوط المستوى الثقافي وضيق في الافاق الثقافية المحلية . لقد كان المنهج في السابق يحتم علينا جميعا دراسة مواضيع مثل اللغة اللاتينية والانكليزية والكيمياء والفيزياء والرياضيات. وكان هناك مستوى ثقافي معين يطلب سن التلاميذ جميعا الحصول عليه . ففي الجغرافية مثلا درسنا جغرافية امريكا والصين غير ان الاطفال الذين جاءوا من بعدنا يتعلمون نقط المسافة بين براندفورت وبلومفونتين ومايزرعونه محليا. فهم لا يعرفون شيئا عن العالم الخارجي ولايستطيعون التكلم بالانكليزية بشكل مقبول.

هكذا ادركت وانا صغيرة بان البيض هم اعلى منزلة منا وصرت أرى الفارق بين ملابس ابي الرثة وملابس المدرسين البيض ؛ لقد جرح ذلك كبريائي وانا طفلة وصرت اقول مع نفسي :" اذا فشل اجدادي في حروب الزوسا التسع فانا منهم وسوف ابدأ من حيث انتهى هؤلاء الزوسا واستعيد ارضي " .

كان هذا شعور الاطفال جميعا ونتيجة طبيعية لما زرعه والدي في نفوسنا .

فالغضب الذي استيقظ فينا ونحن اطفال تحول الى وعي سياسي حدد موقف الرجل الاسود .

كان والدي يدرسنا الموسيقى ايضا وكنا نحفظ نشيدا يبدأ كالاتي : " عندما اتحد زعماؤنا السود في بلومفونتين* دعا

---

* المؤتمر الذي ولد عنه المؤتمر الوطني الافريقي ١٩١٢.

هؤلاء الزعماء جموع الناس للاتحاد ومحاربة عدونا المشترك".

علمنا والدي اناشيد اخرى فيها اشارات الى تاريخ شعبنا . فهي اناشيد قبلية وموسيقاها تقليدية تراثية . وكان اخوتي ينشدون في البيت اغاني تعلموها من الكبار سكان جبال بوندولاند المكان الذي جئنا منه. فهي اغاني عن عمال المناجم تصف شعور هؤلاء العمال عندما يرحلون من اماكن اقامتهم تاركين وراءهم اطفالهم ونساءهم للذهاب بعيدا للاشتغال في المناجم بموجب عقود مع البيض . لازلت اتذكر تلك الاغاني. لقد اخطأ البيض عندما ظنوا أن القبلي الاسود تابع سهل الانقياد.

عندما كنت اتعلم في مدرسة شوبري رأيت الاطفال البيض يلبسون ملابس جميلة في حين كان ابي عاجزا عن توفير الملبس لي ولأخوتي التسعة. وكان البيض يأتون بباصات خاصة بينما كنا نحن نمشي بضعة اميال ونحن حفاة للذهاب الى المدرسة . لقد لبست حذاء للمرة الاولى وانا في المرحلة الثانوية وكان ذلك اجباريا لأن الحذاء جزء من اللباس الخاص بالمدرسة . ولم يخطر ببالي حينذاك الاستفسار من والدي عن كيفية توفير ذلك لي .

كان في المدرسة مدرس احببته كثيرا وكان له طريقة خاصة في تعليمنا موضوع نضالنا وكفاحنا . كان يمجد بسمارك كثيرا ويردد وهو في طريقه الى صفنا قاطعا الممر الطويل المؤدي الى الصف وبصوت عال : " ان اتحاد المانيا لم يتم كما رأى بسمارك عن طريق الكلمات والمناقشات البرلمانية بل بالد....م والحديد ". ويكون وهو يلفظ كلمة " د...م " قد وصل الى الصف. ثم يضيف عند وصوله "هكذا سيكون نضالنا في هذا البلد " . كان هذا مضحكا بالنسبة لنا نحن التلاميذ غير ان الأمر استحوذ عليه بشكل بحيث لا يمر امتحان واحد من غير

اشارة الى ماعلمه ايانا . كان علينا ان نردد بعده هذه الكلمات . هذا ماجعلني اؤمن بان نضالنا لا يتم الا بالدم والحديد (تضحك).

كان والدي من المعجبين بالشعب الالماني وبانجازاته وتقدمه الصناعي وهذا ماجعله يلح على تسميتي بهذا الاسم الفظيع وينفرد الذي تحول فيها بعد الى " وني " . كما انه ميال الى الاسماء المسيحية بسبب التبشير . كان يشير الى الشعب الالماني كلما يحثنا على العمل والدرس والمثابرة . كان يريد ان نصبح اقوياء مثله ويبدو بانني تشربت بروح القتال لكثرة ماسمعت عن هذا الشعب من والدي .

ولكن بعد ان اصبحت معروفة على النطاق العالمي لابد لي من الاحتفاظ باسمي الذي لم استسغه في السابق وهو على كل حال يذكرني بالاضطهاد . فاسمي الافريقي " نومزامو " يعني بلغة الزوسا المعاناة -وفيه اشارة الى هؤلاء الذين واجهوا المصاعب في حياتهم كما انه يعني بالانكليزية " المحاكمة " وفي هذا تفسير لحياتي ايضا .

مارسنا المناقشات السياسية للمرة الاولى في المرحلة الثانوية. كان البعض من مدرسينا ينتمون الى مايسمى بـ "جمعية شباب افريقيا" او "التقليديون". فكانت هذه المنظمة سياسية دينية بعيدة كل البعد عن طبقة العمال والكادحين البروليتاريا . كنا معجبين بهم على الرغم من انهم كانوا مهتمين بالناحية النظرية فقط ، اذ لم يكن لدينا حينذاك اي اتصال باية جمعية اوتنظيم سياسي اخر.

وفي سنة ١٩٥٢ سمعنا بحملة "التحدي" .عندما رفض الألاف من المواطنين في كل انحاءالبلاد اطاعة بعض قوانين الفصل العنصري .

كنت حينذاك في السنة المنتهية للمرحلة الثانوية

وكان الطلاب القرويون لا يفهمون مايجري حولهم من احداث ولم يفهموا معنى هذا التحدي وبهذا الشكل الشامل . كانوا قد تعلموا اشياء كثيرة وكان لهم وعي سياسي وعندما سمعوا بالتحدي صاروا يتحدون كل شيء حتى ادارة المدرسة والمراقبين وكنت واحدة منهم . صاروا يهتفون هتافات مثل: " لانريد السلطة - تسقط السلطة " التي اتخذوا منها شعارا. فكانت النتيجة اغلاق المدرسة من قبل السلطة . قليل منهم امتحنوا واكثر هؤلاء من طلاب الصفوف المنتهية والبقية قاطعت المدرسة والادارة .

وعندما جئت الى جوهانزبرغ في١٩٥٣ صرت احضر اجتماعات هذا المؤتمر وانا طالبة في السنة الاولى في قسم الخدمة الاجتماعية .كنا نجتمع في بنايات مهدمة في دورنفوتين اذ لم يكن يسمح للطلاب الاشتراك بشكل علني في مثل هذه النشاطات . كنا نعلم بأن نيلسون مانديلا هو ظهير هذه المدرسة وكان شعارها "اعرف نفسك" وقد اقترن هذا الشعار بنيلسون اذ ان طلاب المدن هم اكثر فهما ونضجا في الفكر السياسي حينذاك .

يضم القسم الداخلي الذي كنت اقيم فيه في شارع جيب عاملات ٩٥ بالمئة منهن عضوات في حزب المؤتمر الوطني الافريقي . اطلعت لأول مرة على بعض المطبوعات الخاصة بالمؤتمر وتعرفت على شعاراته وانا في هذا المكان .

وكان بينهن من ينتمي ايضا الى بعض اتحادات العمال وكن يجلبن معهن بعض المطبوعات والكراريس من الاجتماعات التي كن يحضرنها وهذا ماكان يجرنا الى مناقشات سياسية طوال الوقت . كن نتكلمن عن مانديلا وتامبو ونوكوي وعن قيادة حزب المؤتمر الوطني الافريقي وعن رئيسه لوتولي باستمرار .

وكانت معي في الدار آديليد تسكودو التي تزوجت بعدئذ

اوليفر تامبو . كانت تعمل ممرضة في المستشفى العمومي . اخذتني في جولة في جوهانزبرغ عند وصولي اذ كنت لا اعرف المدينة وقد كنت الطالبة الريفية الوحيدة في المدرسة . كانت آديليد حينذاك على علاقة مع تامبو وكانت تأخذني معها عندما تذهب لملاقاته . وغالبا ماكان يوصلنا الى حيث نريد بسيارته. كانت هذه بداية ثقافتي السياسية فيما يتعلق بحزب المؤتمر. وجدت نفسي متحمسة ومنجرفة نحوه بشدة.فكنت احضر الاجتماعات الكبيرة التي كانت تعقد في (تريدزهول) حيث العمال الذين نقوم باعمال الخدمة الاجتماعية لهم . فكانت هذه بداية اتصالي باتحادات العمال في جنوب افريقيا وبعد تخرجي كباحثة اجتماعية عملت في مستشفى باراكواناث وكان ذلك في ١٩٥٥ وبعدها بفترة قصيرة التقيت بنيلسون مانديلا ."

نوماويثو مبير صديقة وني مانديلا في المدرسة تتكلم عن ذكرياتها

كنا في مدرسة شوبرى الثانوية في ضواحي ترانسكي . كان علينا ان نذهب الى الكنيسة اربع مرات في اليوم ابتداءا من الساعة السادسة صباحا وكانت وني هي التي تنظم هذه الزيارات .

انتخبت وني مراقبة عامة للمدرسة من الصف الاول الى الصف الخامس . كانت حينذاك محافظة جدا ومنكمشة على نفسها غير ان زعامتها وقدرتها على القيادة بدأت تظهر منذ ذلك الحين . كان لها اسلوب في التنظيم والتهذيب والمراقبة في الاجتماعات التي تعقد للمناقشة والحوار . درجاتها في جميع

المواد الدراسية عالية ، تحب الرياضة وقد امتازت في الكرة الطائرة ونالت جوائز في المهرجانات الرياضية في اومتاتا.

كانت وني تسبقني بسنتين وكانت تساعدني مع الطالبات الاخريات في المذاكرة وتحضير واجباتنا المدرسية بشكل جعلنا نعرف اكثر مما يفرضه علينا المنهج حتى انني نلت اعجاب المدرس عندما شرحت له الفرق بين الواردات والصادرات كما شرحته لي وني غير انه قال بأن معلوماتي اكثر مما يطلبه المنهج وعلي ان لا افعل ذلك في المستقبل .

كانت تشاركنا في كل شيء . فأذا كان لديها بعض الدراهم تقوم بشراء القشطة لنأكلها سوية وقد يستمر ذلك لثلاثة اسابيع والى ان يرسل لها والدها مقدارا اخر من الدراهم . ولأنني كنت فقيرة كانت تتبادل معي الثياب والقمصان نلبسها بالتناوب لكي لا يظن الاخرون بان لدينا بدلة مدرسية واحدة .

الباحث الاجتماعي الشاب - الدكتور نثاثو موتلانا يتحدث عن وني مانديلا

" الدكتور نثاثو موتلانا صديق عائلة مانديلا منذ خمس وثلاثون سنة وهو شخصية سياسية [illegible] في سويتو يتذكر وني مانديلا ويتكلم عنها. "

عرفت وني منذ ان كانت في التاسعة عشر من عمرها اي في سنة تخرجها كباحثة اجتماعية جاءت للتدريب في العيادة التحليلية في مستشفى باراكواناث .

كانت كثيرة الاهتمام بالنابر وبدرجة عالية من الوعي .

وكثيرا ماكانت تذهب بعيدا من اجل تقديم المساعدة لهم . انا لا اقول هذا لأنني صديق للعائلة ولأنها رفيقة سياسية فما تقوم به من عطاء وخدمات شيء لايصدق -تصرف مثلا من جيبها الخاص وهي لا تملك الا النزر القليل وتقوم بجولات في المستوطنات والاحياء السوداء تفتش عن المعوزين وعن النساء من اللواتي لا يملكن ما يعينهن ولا من يهتم بامرهن . وكثيرا ماكانت توقظني من النوم في منتصف الليل لتقول لي بأن هناك في مكان ما سيدة بحاجة الى رعاية صحية . اناس عاديون قد لا يحس بوجودهم احد. فكانت وهي في التاسعة عشر من عمرها مهتمة بشؤون ورعاية الناس اكثر من اهتمامها بنفسها.

زميلة وباحثة اجتماعية شابة تتكلم عن وني مانديلا وعن تلك الايام التي عملت معها في المستشفى

كان الفارق كبيرا بين وني والباحثات الاخريات. فهنا باحثة اجتماعية تستطيع بكفاءة ان تعمل لخدمة الاخرين وتتميز ايضا عنهن في ان مكتبها يزخر بالكتب السياسية والاقتصادية . وهي بالاضافة الى ذلك قوية صلبة . حادثة اتذكرهاعن مريض مصاب بالبلاغرا (وهو مرض مزمن ناجم عن سوء التغذية) كان المفروض ان يحصل هذا المريض على اجازة مرضية لمدة ثلاثة اسابيع وكان على وني كباحثة اجتماعية ان تقوم بذلك لدى رؤسائه في العمل، هؤلاء الذين غضبوا لمرضه لأن ذلك يعني بالنسبة لهم نقص في العمل ، فكتبت رسالة شديدة اللهجة قالت فيها باقتضاب : " عليكم قبول كفاءتي واختصاصي. ان القرار لمنحهِ الاجازة سيبقى كما

هو! وهكذا اجبرتهم على قبول الاجازة بعد ان رفضوا قبولها في البداية .

نيلسون مانديلا والمؤتمر الوطني الافريقي

جاء نيلسون روهلاهلا مانديلا الى جوهانزبرغ من ترانسكي سنة ١٩٤١. ولد في امتاتا في الثامن عشر من تموز ١٩١٨ وهو من افراد الاسرة المالكة للتمبو . يمتلك شعورا فطريا بالمسؤولية وكانت طفولته ريفية تقليدية - رعى الخراف وساعد في حراثة الارض وكما ذكر في شهادته امام المحكمة سنة ١٩٦٢ تأثر بالقصص التأريخي التي رواه شيوخ القبيلة عن الايام التي سبقت مجييء الرجل الابيض وهذا مقتطف مما قاله في المحكمة :

"كان اهلنا يعيشون بسلام تحت حكم ملوكهم الديمقراطيين... كانت الارض ارضنا وهي باسمنا من حقنا . كانت ملكا لجميع القبائل . فلم يكن حينذاك طبقات ، لا فقير ولا غني ولا اضطهاد الواحد منهم للآخر . كانوا جميعا احرارا ومتساوين في الحقوق وكانت هذه القاعدة والاساس للحكم . كان مجلس الشورى ديمقراطيا بشكل يجيز لجميع افراد القبيلة الاشتراك في المشاورات . فالرئيس والمرؤوس ، المقاتل والطبيب كلهم يشتركون ويسعون في التأثير على مقرراته . قد يكون في مجتمعنا بدائية وعدم استقرار وعجز في الاستجابة لمطاليب الفترة الحاضرة غير ان بذور الديمقراطية الشورية نبتت فيه حيث لم يكن فيه عبيد وخدم ولا فقر وعوز وقلق. من هذه المباديء نستقي انا وزملائي مايعيننا في نضالنا

السياسي ".

كان نيلسون يلتقي بعدد من هؤلاء الرفاق في جوهانزبرغ. ترك الدراسة -لأنه حرم منها وهو في كلية فورت هير لاشتراكه في الاحتجاج الطلابي- وكان من بين عشرات الألاف من الذين نزحوا الى المدينة في فترة الانتعاش الصناعي في فترة الحرب. وكان نصيبه مع المواطنين الاخرين الفقر والعيش في المستوطنات المزدحمة التي خصصت لهم مع ملاحقات ومضايقات الشرطة المستمرة . بدأت ثقافته السياسية تتبلور منذ ذلك الحين وازدادت تحفزا عن طريق صديق جديد له يدعى ولتر سيسيلو - يكبره بعدة سنوات وهو على درجة من الثقافة الذاتية والخبرة اذ انه اشتغل في مناجم الذهب وعمل خادما وعاملا في المصانع .

قدمه سيسيلو الى المؤتمر الوطني الافريقي في تلك الفترة تقريبا كطالب من كلية فورت هير والتقى هناك بـ اوليفر تامبو الذي كان قد وصل مؤخرا من جوهانزبرغ ليدرس في مدرسة سان بيتر وهي مدرسة للافارقة اسسها الاب تريفور هدلستون الذي ينتمي الى جماعة " القيامة " التي تأسست عام ١٩١٢ اي قبل ان يؤسس الوطنيون الافريكانييون حزبهم. لقد تشرب حزب المؤتمر الوطني الافريقي بالمثل الانسانية وناقش بطريقة سلمية رفع الحواجز العنصرية واعتمد اسلوب العرائض والتفاوض واجتماعات الاحتجاج ودافع الشباب الثلاثة مع انتون ليمبيدي وبيتر مدا وآخرين من الوطنيين الافارقة من أجل تأسيس تحالف للشباب سنة ١٩٤٤ وذلك من اجل (غلونة) الحركة . وفي مناخ من الغليان الاجتماعي والصناعي كان هؤلاء يجتمعون ليلة بعد اخرى من اجل المناقشة والحوار والتخطيط.

وفي سنة ١٩٤٨ تسلم الافريكانيون القوميون السلطة وجاءوا بسياسة الفصل العنصري وبقوانين وحشية لعزل واذلال

مايسمونه بـ " الاغلبية غير البيضاء " ومن هذه القوانين : قانون الترحيل بموجب قانون " تجميع المناطق " وتحديد حرية التنقل وتفكيك العائلات بموجب قانون " المناطق المدينية " واقتصار الاعمال المهنية على البيض والثقافة المتدنية التي فرضت على "البانتو" الذين يشكلون اربعة اخماس نفوس البلاد - ساعدا القوى العاملة الضرورية التي رحلت نتيجة لذلك الى مواطنها وهي تشمل ١٣ بالمئة من مساحة جنوب افريقيا . لقد وصف مانديلا هذا الاجراء بأنه منهج شرس للترحيل الجماعي واضطهاد سياسي ورعب خلقه رجال البوليس.

وهكذا استطاعت الاقلية البيضاء وبأسلوب العنف المنظم بكل ثقل تسلحها وقوى امنها ان تحصل على السلطة والثراء والامتيازات.

لقد وضع تحالف الشباب منهجا للعمل واتخذ سياسة اللاعنف وولدت عن هذا التحالف " حملة التحدي " سنة ١٩٥٢ وانتخب مانديلا رئيسا مشاركا متطوعا مع سولفي كاجاليا الذي كان والده من مؤيدي غاندي عندما بدأ حملة المقاومة السلمية في جنوب افريقيا سنة ١٩٠٧ . وفي غمرة الاحتجاج ضد قوانين معينة غير عادلة قام الرجال والنساء في جميع انحاء البلاد - افارقة وهنود وعدد من البيض بالاعلان عن حالتهم المتردية في السجون متحدين قوانين التنقل والفصل العنصري . وكان عدد الذين ادخلوا السجن ٨٥٠٠ قبل تشريع قانون صارم لايقاف هذا النشاط .

كان مانديلا واحدا من عشرين من القادة الذين اتهموا بتنظيم هذه الحملة واوقفت احكام التنفيذ التي صدرت بحقهم لمدة تسعة اشهر بعد ان صرح الحاكم بتعليق مهم : " ان الشيوعية التي يعاقب عليها القانون" وهي التهمة الموجهة

هؤلاء القادة "لاعلاقة لها بالشيوعية الاعتيادية المعروفة". وقبل الشهادة على انهم كانوا ينصحون اتباعهم بالحاح بالمحافظة على الصفة السلمية لنشاطهم والابتعاد عن العنف بكل صنوفه واشكاله . وعلى الرغم من هذه التصريحات التي صدرت عن الحاكم بدأت الحكومة في ابعادهم الواحد تلو الآخر بموجب قانون مكافحة الشيوعية . ومن اجل مواصلة النضال للسنوات التالية كان على المؤتمر الوطني الافريقي فحص ومراجعة قدرته وادخال اساليب جديدة للعمل بصورة مستمرة اذ لايمكن لهذا النضال ان يسحق وينتهي . وبعد فترة قصيرة انتخب مانديلا رئيسا لمؤتمر ترانسفال في الوقت الذي منع من حضور الاجتماعات وحددت اقامته في جوهانزبرغ . وبعد مرور سنة اجبر على الاستقالة من المنظمة ومن جميع الوحدات التابعة لها . فاذا كان بالامكان اسكاته واخماد صوته فان عمله السري ونشاطه النضالي ظل مستمرا .

وفي هذه الفترة وبتشجيع من سيسولو اكمل نيلسون دراسة القانون واصبح محاميا واتخذ لنفسه مكتبا قريبا من المحاكم بالاشتراك مع اوليفر تامبو الذي كان قد ترك مهنة التعليم حينذاك. وكان قد فتح هذا المكتب تحديا للاوامر الرسمية التي طلبت نقله الى المستوطنة السوداء . وفي هذا المكتب احتشدت ضحايا النظام : وفود من القرويين الذين انتزعوا من ارضهم التي عاشوا فيها منذ عدة اجيال ، ازواج وزوجات اعتبرت السلطة عقود زواجهم غير شرعية. ففي كل محاكمة وكل زيارة للسجون شهادة على وحشية سياسة الفصل العنصري . لقد صرح مانديلا اثناء محاكمته ١٩٦٢ : " ان حياة اي مفكر افريقي عبارة عن صراع مستمر بين ضميره من جهة وبين القانون من جهة اخرى .... هذا القانون الذي هو من وجهة نطرنا غير اخلاقي وغير عادل ولا يمكن احتماله .... فنحن

نحتج عليه وعلينا مقاومته وتغييره ".

لقد وجد مانديلا نفسه وهو يزاول المحاماة في خطر : رفعت جمعية ترانسفال القانونية طلبا الى المحكمة العليا من اجل ابعاده عن ممارسة المحاماة بسبب ادانته في حملة التحدي . غير ان المحكمة حفظت الدعوى لانها لم تر في عمله مايشين وبموجب ما حصلت عليه من معلومات رأت بأنه محامي يتف مع شعبه في نضاله للحصول على حقوقه الانسانية حتى وان كان في عمله هذا خرق للقوانين .

كان مانديلا قد تزوج للمرة الاولى قبل سنوات وعاش مع زوجته ايفلين نتوكو واطفاله ، ثيمبي وماكاثو وبوملا في بيت صغير في اورلاندو قرب ولتر والبرتين سيسولو. وفي منتصف الخمسينات انفصل عن زوجته وعاش في ذلك البيت وحده يزاول عمله في تحرير سلسلة من المقالات واشترك في وضع الخطط لمؤتمر الشعب والوسائل التي بواسطتها يمكن تقوية ودعم حزب المؤتمر الوطني الافريقي من جذوره .

ان مؤتمر الشعب التأريخي في ٢٦ حزيران ١٩٥٥ في كلبتاون خارج جوهانزبرغ هو من بنات افكار الاستاذ الاكاديمي ز ك. ماثيوز. لقد منع الكثيرون من الزعماء من حضوره اما بسبب اوامر ابعادهم او نفيهم وبين هؤلاء الرئيس العام للمؤتمر الوطني الافريقي البرت لوتولي وولتر سيسولو الذي كان سكرتيرا عاما ونيلسون مانديلا . نتبنى المؤتمرون الذين بلغ عددهم الثلاثة الاف من كل الاجناس " دستور الحرية " الذي حدد مستقبل جنوب افريقيا ويبدأ بالعبارة التالية : " ان جنوب افزيقيا هي ملك لكل

الذين يعيشون فيها سود وبيض *.

اصبح هذا الدستور سياسة مؤتمر التحالف الذي انضم اليه المؤتمر الوطني الافريقي والمؤتمر الهندي لجنوب افريقيا ومؤتمر الشعوب الملونة ومؤتمر الاتحادات التجارية في جنوب افريقيا والمؤتمر الديمقراطي الابيض.

وفي كانون الاول ١٩٦٥ القي القبض على مانديلا مع (١٥٦) رجلا وامراة بتهمة الخيانة العظمى ومن بينهم زعماء مثل لوتولي وماثيوز وتامبو وسيسولو وعدد كبير من المنظمين الصغار في مؤتمر الشعب وكان جوهر القضية كما ادعت السلطة هو الاعتقاد بأن الحركة (حركة التحرير) هي امتداد من الشيوعية العالمية وغايتها الاطاحة بالحكومة عن طريق القوة والعنف . مضت اربع سنوات ونصف في محاولة اثبات مايلي : ان "دستور الحرية" ومنهج تحالف الشبيبه لسنة ١٩٤٩ هما وثائق تثبت هذه الادانة .

بدأ التحقيق التمهيدي في (درل هول) في جوهانزبرغ وكان اوليفر تامبو من بين الذين اخلي سبيلهم في المرحلة الاولى من التحقيق وبقي مانديلا ينتظر المحاكمة ويمارس المحاماة في عطلة نهاية الاسبوع واثناء فترات الاستراحة في المحكمة .

التقى وني ماديكيزيلا في احدى فترات الاستراحة في المحكمة اثناء محاكمته .

---

* راجع النص الكامل لدستور الحرية في الملحق.

الحياة معه تعني دائما العيش بعيدة عنه
كيف التقت وني بنيلسون مانديلا

" لم يكن معنا بجسده ليتسنى لنا مشاركته ذلك الحب الذي يفيض منه. كنت اعلم بأنني عندما تزوجته تزوجت النضال - تحرير شعبي. "

التقيت بنيلسون مانديلا للمرة الأولى في محكمة جوهانزبرغ المحلية . كان وكيلا عن زميلة لي اعتدى عليها البوليس . رأيت هذا الرجل الشامخ المهيب - المرعب (تضحك)عند دخوله المحكمة وسمعت الناس يهمسون باسمه .

ثم التقيته ثانية بصحبة تامبو واديليد تسكودو التي تزوجت تامبو بعدئذ . كان اوليفر من قريتي بيزانا وكنت اعرف عنه القليل . وعندما عشت مع آديليد في القسم الداخلي المسمى " نادي الايادي العاملة " اصبحنا صديقتين حميمتين . كنت في احد الايام نازلة من الباص القادم من مستشفى باراكوانات فرايتهما يوقفان السيارة الى جانبي يعرضان علي ايصالي الى القسم الداخلي . قالت آديليد ونحن في الطريق بانها جائعة وتريد ان نأكل شيئا فتوقفنا لنشتري شيئا من مكان للاكل . غير ان اوليفر اكتشف بأن ليس في جيبه نقود تكفي لشراء الاكل . وبينما كان يقول لنا ذلك رأى نيلسون في هذا المكان . فقال لنا : " اطلبوا منه ان يدفع " . فدفع نيلسون ثمن ما اشترته آديليد وخرجت برفقته من المكان نعرفني به اوليفر قائلا : " هذه وني من بيزانا " .

وبعد ذلك بفترة قصيرة تسلمت مكالمة هاتفية من نيلسون يدعوني بها للغداء قائلا بانه سيرسل من سيأخذني بالسيارة .

صعقت لذلك بالطبع لفارق السن الكبير بيننا وهو المشرف على مدرسة الخدمة الاجتماعية التي درست فيها . لقد كان بالنسبة لنا نحن التلاميذ مجرد اسم مطبوع على اوراق المدرسة الرسمية وكان بالنسبة لنا جميعا شخصية مهمة لا يمكن الاقتراب منها او التعرف عليها . فعندما تسلمت هذه المكالمة اصابني الارباك ولم يعد باستطاعتي القيام بأي عمل فيما تبقى لي من الوقت في ذلك اليوم. بدأت افحص ملابسي من اجل ان اجد مايصلح لهذه المناسبة غير انني لم اجد مايليق بها . كنا حينذاك نلبس الملابس القصيرة بكشكشات تجعل من ترتديها تبدو اصغر من سنها وربما تبدو سخيفة ايضا ! واخيرا وجدت فستانا محتشما استعرته من احدى صديقاتي .

كان ذلك يوم الاحد غير ان ايام الاسبوع بالنسبة لنيلسون متشابهة لأنه يعمل فيها . جاء اخيرا من يأخذني الى مكتبه فوجدته مختفيا بين الاضابير المكدسة حوله وفي كل زاوية من زوايا الغرفة وكان الوقت وقت الغداء تقريبا .

ذهبنا الى مطعم هندي فذقت الطعام الهندي للمرة الاولى - كانت الوجبة قرع من بوندولاند . كنت وانا في جوهانزبرغ لا اعرف عن الحياة الاجتماعية شيئا الا ماله علاقة بزملائي في العمل . لقد كان تناول هذه الوجبة مشقة كبيرة اذ لم استطع بلع الطعام المتبل بالكاري . كنت على وشك البكاء في حين كان نيلسون متلذذا به . فقال لي : " اذا كان الطعام حارا أشربي جرعة ماء تخفف حرارته ". لم يستطع نيلسون تناول ملعقة واحدة من غير أن يأتيه احد للاستشارة عن امر ما واستمر ذلك في فترة الغداء كلها وهي حالة لايمكن تصورها وشعرت من خلال لقائي الاول معه بأنني خارج هذا الاطار ولا اصلح له ابدا . استغرقت الوجبة نصف ساعة تركنا بعدها المطعم متوجهين الى السيارة ولم تمض دقائق خلال هذه

المسيرة القصيرة من غير أن يأتيه احد ممن يرغب التكلم معه عن امر ما . فهو من النوع الذي لايمكن ان يعيش بعيدا عن عامة الناس الذين يهمه امرهم . ولم اكن ادري حينذاك بأن هذا النمط من الحياة سيكون نمط حياتي انا . كنت مندهشة ومفتونة بما رأيت .

وعند وصولنا الى مكتبه رأينا حشدا كبيرا من الناس في انتظاره لذلك اخذني بالسيارة خارج المدينة ومشينا على المرج الاخضر ليخبرني عن سبب دعوته لي . سألني فيما اذا كنت استطيع جمع بعض المال من اجل هؤلاء الذين اتهموا بالخيانة العظمى . غير انه لم يسألني قط عن معتقداتي السياسية وفيما اذا كان لدي اتجاه معين . ولم استطع انا الاستفسار عن موقعي في هذا التنظيم المعقد من الاحزاب .

عند عودتنا الى السيارة انقطع رباط حذائي وانا اسير على الطريق الصخري فمشيت حافية القدمين وبصعوبة فأخذ بيدي وكأنه أب يمسك بيد ابنته الصغيرة . وعند وصولنا الى السيارة قال لي : "كان يوما جميلا" ثم التفت الي وقبلني .

جاءتني في اليوم التالي مكالمة هاتفية منه يخبرني بأنه سيأتي الي بعد انتهائي من العمل . وعند خروجي من مكان عملي كان ينتظرني بالسيارة وهو بملابس الرياضة . كان شديد الاهتمام بلياقته البدنية والصحية ومستمرا على ممارسة تمارينه الرياضية في الملعب . فأخذني في ذلك اليوم معه الى الملعب .

كان هذا نمط حياتي معه لمدة اسبوع ، يأتيني كل يوم بعد اوقات العمل ، اذهب معه الى الملعب ثم الى المكتب لأرى سلسلة من الاجتماعات والنشاطات الاخرى عن كثب ثم يأخذني ثانية الى القسم الداخلي فيما تبقى له من الوقت . فحتى في هذه المرحلة كانت الحياة معه كالحياة بعيدة عنه

فلم يحاول التظاهر بأن من حقي ان اطالب ولو بجزء قليل من وقته. فلو كنت ممن يبحث عن شيء من الرومانسية في علاقتنا هذه لما وجدت ذلك وانا معه . فعند انشغاله كان يرسل احد الرفاق ليأخذني من مكان عملي ثم يرجعني الى القسم الداخلي . وقد لا أراه احيانا اثناء مكوثي في المكتب غير ان امر ذهابي وعودتي يتم بصورة روتينية . ان اجتماعاته لا تنتهي وكذلك اعماله الاخرى . لذا لم يكن بيني وبينه فترة غزل رومانسي عابث لأن وقته لا يسمح بذلك .

اخذني للتعرف على عدد من اصدقائه وكان ذلك يتم عند عقد الاجتماعات في المستوطنات او اثناء القيام بتقديم الاستشارات في ضواحي المدينة وفي كل ليلة تقريبا . كنا رفقاء ولم يكن بيننا خلافات ونقاش . وجدت نفسي ضمن هذا الاطار اعمل ضمن اختصاصي في البحث الاجتماعي وكذلك في النشاطات التثقيفية وبعدد كبير من الجمعيات والمنظمات النسوية .

في يوم من الايام وعندما كنت معه في السيارة توقف جانبا وقال لي : " هناك سيدة خياطة اذهبي اليها لتخيط بدلة عرسك. كم وصيفة ترغبين؟. هكذا ومن غير مقدمات عرفت بأنني ساتزوجه ! لم يكن في عرضه غطرسة او تعال وانما جاء كشيء مسلم به . فسألته متى سيكون ذلك ؟ كنت انذاك احبه بجنون كما كان هو ايضا ولكن باسلوبه الخاص. كان مابيننا شعور وتفاهم متبادل لا يحتاج الى تبادل الكلام عنه .

لقد اتخذ الاستعدادات اللازمة لذهابي الى بوندولاند لاخبار عائلتي . وعند وصولي لم استطع التكلم عن ذلك لوالدي مباشرة ولمدة يوم كامل . اخبرته اخيرا بواسطة زوجته فاندهش للخبر كثيرا . كان نيلسون ذا مكانة عالية في نفوسهم لذا فان والدي لم يصدق ولم يتصور كيفية الوصول

اليه في الوقت الذي كنت اعمل فيه باحثة اجتماعية . لقد زاده الامر فخرا غير ان العائلة كانت قلقة بسبب وجود اطفال ثلاثة لنيلسون من زوجته الاولى* وقد اواجه بعض المشاكل. لم اكن اعرف متى انفصل عن زوجته الاولى ولم استطع الاستفسار عن ذلك في هذه الفترة القصيرة التي سبقت زواجنا . كما ان العائلة كانت قلقة ايضا على مستقبل نيلسون -اذ كان متهما بالخيانة العظمى وفي انتظار محاكمته. غير انهم على الرغم من ذلك يستطيعون قراءة التاريخ بشكل افضل مني . فعند التعرف على نيلسون يصبح الانسان جزءا لا يتجزأ منه الأمر الذي يجعله يشعر وبشكل الي ان مايصيب نيلسون يصيبه هو ايضا. فنيلسون يمنح الثقة والايمان بشجاعة بشكل يجعل المناضل لا يفكر بنفسه ابدا بعد ان يصبح مناضلا . فقضية النضال بالنسبة له هي الحياة وهذا يرجع الى ايام صباه . فنشأته القبلية خلقت فيه حبه والتصاقه بجذوره ووطنه فهو محب للتقاليد ومتعصب لها لا بالمعنى الضيق المتحجر بل بحبه لوطنه وتمسكه بارض اجداده . انه يفلسف موقف اجداده وكبار قبيلته - اولئك الرجال الشيب الذين يجتمعون امام النار المتقدة خارج بيوتهم دائما - يتكلم عن حكمتهم التي اعجب بها وهو طفل صغير . لقد زرع فيه اولئك الشيب عزة النفس وحبه لشعبه . فهذا الرباط القوي يجعله يرى نفسه شيئا ثانويا صغيرا امام حبه لشعبه وحبه للارض والطبيعة. في حزيران ١٩٥٨ حصل على موافقة لمغادرة جوهانزبرغ لمدة اربعة ايام لاتمام مراسيم الزواج لأنه بالاضافة الى كونه

---

* لدى نيلسون ولدان وبنت يعيشون مع امهم في جوهانزبرغ.

متهما بالخيانة العظمى فهو تحت الاقامة الاجبارية ايضا . رغبت بالحاح ان يتم زواجنا في بوندولاند لأن ذلك يسعد ابي كثيرا كما انني رغبت ان يرى نيلسون مكان نشأتي ومسقط راسي. كان زواجنا الذي لم تكتمل مراسيمه التقليدية بشكل كامل لاضطرارنا الى العودة الى جوهانزبرغ بداية لنمط الحياة التي سنحياها. ان مراسيم الزواج التقليدية تبدأ عادة في بيت والد العروس وتنتهي في بيت العريس وكان علينا ان نذهب الى بيت نيلسون بعد ان انتهينا من القسم الاول منها في بيت والدي . غير اننا اضطررنا الى العودة الى جوهانزبرغ قبل اتمامها في بيت نيلسون الأمر الذي ازعج اهلنا لأن زواجنا بالنسبة لكبار العائلة لم يتم الى هذا اليوم . لقد اضطررنا الى ان نتزوج على الطريقة التقليدية الغربية للاسباب التي ذكرتها . فقدم لي نيلسون مهرا (لوبولا) * غير انني لم اعرف مقداره لاننا لا نتكلم بلغة النقد وانما بمقدار الماشية التي يقدمها العريس. (لقد ظل هذا خافيا علينا جميعا لأن البوليس البريكاديركوتزي الذي يشغل الان مركز مدير قوى الامن لم يسلم والدي رسالة نيلسون التي يعلمه فيها عن مهري). غير ان هذا الشخص الملعون قال لي اثناء استجوابي سنة ١٩٦٩ : " مسكين نيلسون لابد وانه اصيب بضائقة مالية عندما دفع مثل هذا المهر لأمرأة مثلك ! ".

وفي اليوم الذي سيخرج به نيلسون من السجن سنكمل ماتبقى من مراسيم زواجنا التقليدية وقد احتفظت بكعكة العرس، ذلك الجزء الذي كان المفروض ان نأخذه الى بيته

---

* وهذا رمز لثمن الزوجة.

حينذاك . لقد جلبتها معي الى برانـدفورت . تفتتت قليـلا عندما نقلونا الى هنا. هي الان في بيتي في اورلانـدو تنتظر نيلسون. "

ذكريات آديليد جوزيف

آديليد وزوجها بول جوزيف من الاصدقاء المقربين لعائلة مانديلا ، عملت مع وني في المنظمة النسوية وكان بول عضو متقدم في حزب المؤتمر الهندي كما عمل مع مانديلا في "حملة التحدي " وكان من بين المتهمين بالخيانة العظمى . آديليد تتذكر تلك السنوات :

كنت اتلقى دروسا مع وني في كيفية القاء الخطب والكلمات في المناسبات العامة لاننا لم نكن نعرف كيف نقوم بذلك . فكنا نكتب ما نريد ان نقوله ونلقيه على عدد من الصديقات اللواتي يقمن بالتقييم والنقد . هكذا بدأنا . وعندما القت وني كلمتها الأولى في " المنظمة النسوية " نظم لها النسوة نشيدا وهي تلقي كلمتها لاظهار اعجابهن وبدأن بالغناء في الصالة بعد انتهائها .

كان هناك طفل معاق بحاجة الى رعاية وعلاج ، والدواء في جنوب افريقيا يحتاج الى مبالغ كبيرة من المال . غير ان وني استطاعت ان تزودنا بما نحتاجه من المستشفيات وساعدتني كثيرا في العناية بهذا الطفل . فكانت تذهب مع نيلسون من مؤسسة الى اخرى من اجل ان يجدوا مكانا لهذا الطفل فيها.

كان نيلسون يعمل اربع وعشرين ساعة في اليوم وعند عودته من اجتماعاته يأتي الينا اذا مارأى الانوار مشتعلة

في البيت ليتأكد من اننا بخير حتى وان ذلك كان في منتصف الليل.

كان مرة في السجن فطلب ان ازوره لامر هام وعندما ذهبت اليه قال لي: "انه عيد ميلاد وني. اريد منك ان تشتري لها هدية بهذه المناسبة." اتذكر بانني اشتريت لها فستانا فرحت به كثيرا لأنه من نيلسون الذي تذكر ميلادها وهو في السجن. وهذا يفسر العلاقة العاطفية بينهما.

ان شعبية عائلة مانديلا شيء لا يصدق. ففي يوم من ايام الاحد اخذنا نيلسون بسيارته في جولة في اورلاندو بينما بقت وني في البيت تحضر لنا الغداء. كان ذلك في ١٩٦٠. كان الناس يهتفون "مانديلا، مانديلا" في كل شارع وطريق سلكناه لانهم كانوا يعرفون تلك السيارة وذلك الرجل. كانت كل امرأة تلمحه تحييه بأسمه وهذا ما يفعله الاطفال ايضا. ادركت حينها بأن هذا الرجل هو الذي تحتاجه جنوب افريقيا من غير شك. غير انه ومهما علا شأنه من الناحية السياسية لم ينسى قط هؤلاء الناس المسحوقين الذين يعيشون في حضيض هذا المجتمع العنصري.

وهذا شأنها هي ايضا. وبحدود امكاناتها كباحثة اجتماعية استطاعت ان تقوم بزيارات تفقدية عديدة لعوائل السجناء من النساء والرجال من اجل ان تجمع عنهم معلومات تاريخية ترسلها الى المنظمات الاوربية من اجل الحصول على مساعدات مالية لهؤلاء الذين يعيشون من غير معيل والذين تشير اليهم على انهم اناس منسيون.

عندما كان زوجي في السجن كنت احمل له الطعام عند الزيارة. وكانت وني تقوم بهذه المهمة معي بالتناوب. كانوا يسألوني عن "تلك المرأة التي زارت زوجي البارحة - هل هي خادمة ارسلتها الى السجن لتأخذ لزوجي الطعام؟"

لم اجب على هذا السؤال بالطبع لأن وني لم تكشف عن هويتها وقد كانوا يسمعونها اثناء زيارتها لزوجي شتى انواع الاهانات حتى انهم كسروا يدها في احدى هذه الزيارات الأمر الذي دفعها الى طلب مقابلة المسؤول الذي صعق عند رؤيتها بعد ان عرفها فاضطر الى الاعتذار وقبول شكواها . "

مقتطف من رسالة نيلسون مانديلا من سجنه في روبن آيلاند الى هيلين جوزيف *

هيلين جوزيف وليليان نكوبي هما المتهمتان الوحيدتان بين النساء بالخيانة العظمى في محاكمة الخيانة التي استغرقت اربع سنوات ونصف . كثيرا ما كانت تذهب مع مانديلا الى بريتوريا لحضور محاكمات المتهمين الاخرين التي كانت تجري في محكمة هي في الاصل معبد يهودي .

---

* ولدت هيلين جوزيف في انكلترة وعملت باحثة اجتماعية في جنوب افريقيا وعضوة مؤسسة للمنظمة النسوية الافريقية المختلطة وواحدة من المنظمين لمؤتمر الشعب في كلبتاون سنة ١٩٥٥ الذي تبنى فيه وفود من جميع الاجناس " دستور الحرية " (راجع الملحق) الذي هو برنامج عمل لمجتمع جنوب افريقيا المستقبلي. كما لعبت دورا هاما في تنظيم الاحتجاج النسوي الكبير ضد قانون التنقل سنة ١٩٥٦. كانت اول من وضع تحت الاقامة الاجبارية. صداقتها مع عائلة مانديلا ترجع الى الخمسينات. هيلين الان في الثمانيين من عمرها وتبقى دائما خصما نشطا لسياسة الفصل العنصري .

عزيزتنا هيلين

١٩٨٧/١٠/١٥

نعم ، تسلمت رسالتك العظيمة . كيف تستطيعين بث العزيمة بالاخرين !

كان وقع تهنئتك وتمنياتك علي كبيرا. لقد انتزعتني من هذه الجزيرة ومن زنزانتي ووضعتني في قلب المدينة الذهبية ، في سويتو ، وفي كوولد وبرتجارد ، وعلى الطريق من والى بريتوريا وفي الكوخ الجميل في شارع فاني .

ان في ذاكرتي صورا لا يمكن ان تمحى على الرغم من السنوات العديدة التي مضت منذ ان رأيتك فيها اخر مرة . كنت حينها تقفين خارج البيت وكأنك تنتظرين ادخال الدجاج الى اماكنها في الليل .

كانت زامي (وني) وكو تتحدثان خارج باب الحديقة بانفعال وكان في بيتك شيء من الجزر البريطانية وكأنه محطة استراحة او مفترق طريق في تلك المنطقة الواسعة . كان هناك من يبدي استغرابه لوجود بيتك في هذا المكان . كنت حينذاك كثير التنقل والسفر وكنت كالملاك الحارس لزامي (وني) عندما كنت اتركها وحيدة . ان وجودك هناك على الرغم من غرابته يطمئنني كثيرا لأنني كنت واثقا من حمايتك لها . ربما كان هذا احد الاسباب في عدم نسيان تلك الصور . لم اكن اتصور ولا حتى في الحلم بانني ساسمع منك ثانية او انني ساضع صورتك في البوم العائلة . زامي (وني) والاطفال لا ينقطعون عن الكلام عنك بالطبع خصوصا بعد شهر مايس من السنة الماضية . ففي رسالتها المؤرخة في حزيران اخبرتني عن حفلة تعميد زازي (الحفيدة) وطيرانك الى بلومفونتين من اجل حضور الحفلة. لقد تركت وصف الحفلة الى زندزي

(الابنة) التي اشارت اليك بكل حب واسهاب. غير ان المفاجئة الكبيرة هي تسلمي رسالتك التي وصلت بعد اسبوعين والتي اعقبها وصول صور فوتوغرافية من موزي *.

استطعت ان اميز في الصورة امرأة طويلة منتصبة كمشير عسكري في وقفتها تحمل التحدي والعظمة وكأنها تستمتع بسنوات عمرها الثالثة والسبعين. استلمت الصور في الثلاثين من تموز وقد يهمك معرفة تاريخ وصولها الى زنزانتي الذي كان اول امس. ان اصدقائي القدامى في هذا القسم من السجن لم ينسوا تلك المرأة وقد رغبوا بالاحتفاظ بالصور لمدة قصيرة قبل ارجاعها لي. والان رجعت لي هذه الصور ثانية وهي التي تمنحني الشعور بأنني كنت حاضرا في حفلة التعميد. من المناسب جدا ان تكوني عرابة زازي وان يكون العراب الدكتورموروكا... انه توافق جميل وهائل اتمنى مخلصا ان يكون في هذا الثنائي القوة المحركة لزازي عندما تكبر. ولا عجب ان تبدو زامي (وني) "مشرقة وجميلة" في الصورة.

يؤسفني ان تعيش ابنتي زندزي بعيدة عنك . كنت اتمنى ان تعيش بقربك دائما من اجل ان تساعدي زامي (وني) في توجيهها خصوصا وهي في هذا العمر وبهذا الطموح . كانت وابنتي الكبرى زيني صغيرتين عندما افترقنا . ان نمط الحياة التي تعيشها رامي (وني) قد سبب لهما متاعب عاطفية كثيرة . اني اشجعهم دائما باللجوء اليك عندما يستطيعون ذلك . لابد وان فقدان قطتك شيء مؤلم بالنسبة اليك لانني اعرف مقدار حبك لها وتعلقك بها . اتمنى ان تكون لوليتا

---

* الامير ثسبو موزي زوج الابنة الكبرى (زيني) ابنة نيلسون ووني.

(القطة الجديدة) متعلقة بك مثل سابقتها لتستمتعي بها كالقطة القديمة . ان الكلاب الالمانية " جرمان شبرد " هي حيوانات ذكية وامينة واعتقد بأن الكلبة كواجا من هذا النوع الاصيل . ان وجود مثل هذه الرفقة معك يمنحني الاطمئنان عليك .

لم استطع الحصول على البوم بحجم ٢٤سم × ٣٠سم في كيب تاون لكي يكفي لصورة زامي (وني) لا ادري اذا كان بامكانك الاستفسار لي عن توفر مثل هذا الحجم هناك شرط ان لا تشتريه انت لأنه سوف لن يصل لي . لدي مايكفي من الدراهم لشرائه من هنا . واخيرا انتهز الفرصة لاشكرك وجميع الاصدقاء ياهيلين على رعايتك لزامي (وني) ورعاية الاطفال في غيابي. ان قيظ الصيف وبرد الشتاء لا يحتملان من دونكم جميعا . ساحفظ يدي اليمنى نظيفة دافئة لان لدي واجب مهم علي انجازه الا وهو الشد على يدك بقوة . لقد صغر عمري بمقدار النصف بتأثير تمنياتك وتهانيك . ربما لو تسلمت مقدارا اكبر منها ومن تلك التي ارسلها اسماعيل ايوب من جي.هـ.ب. (جوهانزبرغ) لشعرت بانني اصغر بكثير مما انا عليه... مع هذا فانا اشعر واتحرك بخفة من غير ان يعيقني وزني البالغ ست وسبعين كيلوغراما .

نيلسون

شارب فيل ومحاكمة المتهمين بالخيانة العظمى مانديلا يتزعم النضال

تقول وني : " استمرت حياتنا العائلية بشكل غير طبيعي كما هي الحال دائما. يذهب نيلسون كل صباح الى المحكمة في بريتوريا بينما اكون انا في اورلاندو . وغالبا مايبقى في

بريتوريا من اجل تهيئة الدفاع مع فريق كبير من المحامين. وعند رجوعه الى البيت يبدأ اجتماعاته مع اعضاء المؤتمر الوطني الافريقي ، التي ينتهي منها في وقت لايسمح له الا بأخذ حمام سريع لكي يسرع ثانية - وقد حل الصباح - الى المحكمة. لم يكن لديه الوقت حتى لتناول الطعام وغالبا ما كنت اجبره على ذلك فيضطر الى الجلوس لدقائق لتناوله . وحتى في هذه الفترة القصيرة تأتيه مكالمات تلفونية تطلب حضوره فورا من اجل اطلاق سراح احدهم بكفالة من احد مراكز الشرطة . واثناء غيابه عن البيت لا يتوقف الناس عن المجيء الى البيت وهم يطلبون مساعدته في اخراج احد افراد عائلتهم من التوقيف او كفالتهم في قضايا اخرى.

ليس بالامكان سلخ نيلسون عن الناس وعن النضال فالشعب بالنسبة اليه يأتي في المرتبة الاولى وكل شيء اخر ثانوي ويأتي بالدرجة الثانية.

لاتذكر باننا عشناحياة عائلية بالمفهوم العام او حياة عروس تجلس مع عريسها وتحلم بالمستقبل. ان عطاءه واسع وكبير وهو عطاء ينضح بالحب.فالحب الذي غمرني به مع اولادي لايمكن ان نجده في اي مكان آخر. كنا نتقاسم الايمان والثقة والحب التي يمنحها لنا مع الشعب كله وهذا ما يعطينا شعورا في الوقت نفسه باننا شيء مهم بالنسبة له. كنت اعلم جيدا بانني عندما تزوجته تزوجت النضال وتحرير شعبي . كان في الفترة القصيرة التي تضيناها سوية ودودا ومحبا وحنونا.

لم يسمح له الوقت ليسألني عن مدى نشاطي في هذا النضال ولم أر حاجة لاخذ رأيه في أمر اشتراكي في مظاهرة الاحتجاج النسوية على قانون التنقل لانني كنت أدرى بمشاكل النساء منه . لم يكن يعمل في هذه الفترة وكان ما احصل عليه من عملي لايكفي الا لتوفير المأكل . كنت اعلم بان اشتراكي في

هذه المظاهرة يعني فقداني لعملي غير انني اشتركت على الرغم من كل ذلك وكان ذلك سنة ١٩٥٨. عند رجوعه الى البيت لم يجدني فيه لأنني كنت موقوفة . كانت المحاكمة تسير ببطء وبعد اطلاق سراحي طردت من عملي في مستشفى باراكواناث وكنت الباحثة الاجتماعية السوداء الوحيدة في القطر .

تأثرت سياسيا باصدقائه الذين كنت التقيهم اكثر منه - نساء عظيمات مثل ليليان نكوبي* التي اعجبت بها كثيرا وقد وصل اعجابي بها الى حد التمجيد . كان هناك بعض الاختلافات الايديولوجية الصغيرة غير ان النساء القريبات من نيلسون واللواتي التقي بهن كل يوم تقريبا علمنني الكثير. لقد كن امتدادا لنيلسون .

ومن النساء اللواتي كن في المواقع القيادية في اتحاد جنوب افريقيا البرتين سيولو وفلورنس ماتوميلا ،وفرانسيس بارد وكيت موليل وروث مومباتي التي هي سكرتيرة زوجي وقد لعبت دورا مهما في الساحة السياسية . كنت معجبة بهن كثيرا وقد تعلمت منهن الكثير عن ماهية واهداف النضال.

والى جانب هؤلاء كانت هيلين جوزيف بالطبع تلك السيدة التي هي لي بمقام الام . كانت تعني الكثير بالنسبة لي لا فقط من الناحية السياسية بل من النواحي الانسانية العديدة.

---

* أهم واقوى زعيمة سوداء. رئيسة المنظمات النسوية في المؤتمر الوطني الافريقي وكذلك اتحاد نساء جنوب افريقيا وهي التي نظمت حملة المقاومة النسوية سنة ١٩٥٢ ومن المتهمين بالخيانة العظمى سنة ١٩٥٦-١٩٦١. وحكم عليها بالنفي وقضت احدى عشرة سنة في المنفى.

وهناك نساء عظيمات اخريات مثل هيلدا بيرنستاين*١ وروث فرست*٢ وعائلة نايدوو*٣ اللواتي كنت اشعر معهن وكأنني مع نيلسون .

عملت من نفس مواقع هؤلاء النسوة الماجدات في الاتحاد الفيدرالي لنساء جنوب افريقيا كما في الاتحاد النسوي للمؤتمر الوطني الافريقي . كنت رئيسة شعبتنا وعضوة المجلس التنفيذي المحلي والوطني . في هذا المجال وتحت هذه الراية تستطيع النساء العمل بشكل شرعي في هذه البلاد. في ١٩٥٨ قمنا بتنظيم مظاهرة احتجاج على قوانين التنقل تحت قيادة ليليان نكوبي. كنت بين الآف النساء اللواتي اعتقلن في جميع انحاء البلاد وكنت حينها حاملا ولألبرتين سيسولو الفضل في انقاذ طفلي البكر. لقد تجاوزت الكثير من العقبات في السجن من اجل رعايتي .

---

*١ هيلدا بيرنستاين عضوة نشطة في اتحاد النساء الفيدرالي. كانت في الاربعينات عضو في مجلس بلدية جوهانزبرغ لمدة ثلاث سنوات وهي العضو الشيوعي الوحيد فيه. اتهم زوجها بالخيانة العظمى في محاكمات ريفونيا.

*٢ روث فرست رئيسة تحرير جريدة راديكالية في جوهانزبرغ ومؤلفة للعديد من الكتب عن الشؤون الافريقية. شاركت في تأليف سيرة حياة اوليفر شراينر. كانت مع زوجها المحامي جو سلوفو في قلب النضال من اجل التحرير. لقيت مصرعها بعد استلامها رسالة ملغومة بينما كانت ترأس فريقا عالميا لبحث حياة العمال المهاجرين في موزنبيق .

*٣ عائلة نايدوو لعبت دورا قياديا هاما في المؤتمرالهندي منذ ايام غاندي الاولى في جنوب افريقيا .

لم يكن الاتحاد الفيدرالي لنساء جنوب افريقيا في الحظر غير انهم حكموا على جميع عضوات المجلس التنفيذي بالحظر في محاولة منهم لتحطيم التنظيم وسحقه . لقد كان لي نشاطات اخرى الى جانب نشاطي السياسي وهي نشاطات ثقافية خيرية في معهد ماركريت بولنجر للاطفال الصم والعميان .

ومع القيود المفروضة علينا بموجب اوامر الحظر اصبح من الصعوبة ان اعمل في اي مجال من مجالات الحياة .

كان زوجي يحرجني كثيرا في ايام زواجنا الاولى بروح النكتة والمزاح التي يتمتع بها وكثيرا ما كان مزاحه يدفعني الى البكاء . كان اصدقاؤه مثلا يسألون مازحين "اين وجد مانديلا هذه الصغيرة ولماذا اختارها هي بالذات ؟" كنت التقي مع هؤلاء الاصدقاء في حفلات المؤتمر التي لايحضرها نيلسون لانشغاله بامور اخرى فكان يأتي في نهاية الحفلة فقط لارجاعي الى البيت ويقول لي مازحا : " انا منقذك السياسي وقد انقذتك من هؤلاء المتعبين التقليدين ..." ومن نكاته التي لها علاقة بعملي : كنت اعمل مع المصابين بكسور العظام وضحايا الحوادث من العمال للحصول على تعويضات مادية لهم بموجب قانون تعويض العمال فقال لي مرة ومن غير ان يبدو على وجهه اثر للمزاح : "لقد وعدتني بارسال هذه القضايا لي لأنني محامي قدير وذلك مقابل زواجي منك فلماذا لم تفعلي ذلك" كان يقولها بكل جد وعلى السامع ان يكون داريا باننا نقوم بمثل هذه الاعمال مجانا لكي يرى بانه يقولها مازحا .

ومن القصص التي كان يرويها نيلسون قصته مع امرأة بيضاء توقفت سيارتها مرة بسبب خلل في شارع كومشنر وكان نيلسون خارجا لتوه من المحكمة. فتوجه لمساعدتها وذلك بدفع السيارة فاشتغلت وتحركت. اخرجت هذه السيدة من جيبها ٥ قروش واعطتها له . فاجابها شاكرا واعتذر عن اخذها .

فقفزت السيدة من سيارتها ووقفت ويداها على خصرها قائلة : "انظروا الى هذا الكافر (الكفيري)*! ربما يطمع بـ ٢٥ قرشا ولكنه سوف لن يحصل عليها مني !." لم تستطع هذه السيدة بالطبع معرفة سبب امتناعه عن قبول البقشيش بل فسرت ذلك برغبته في المزيد . كان يرغب في رواية مثل هذه القصص وبروح مزاح عالية .

وفي يوم آخر وبينما كان يمشي في شارع كومشنر رأى رجلا اسودا واقفا على باب احدى المحلات التجارية لبيع الالبسة وكان هذا الرجل يرغب الناس لدخول المحل . كان صاحب هذا المتجر يهوديا وكان من الواضح ان العامل الاسود يتقاضى عمولة عند دخول الزبائن . جر هذا الرجل نيلسون الى الداخل وحاول ان يبيعه قبعة خضراء فاقعة وحاول صاحب المحل اليهودي بيعه قبعة اخرى . فاشترى نيلسون بكل هدوء القبعة التي عرضها عليه العامل الاسود علما بانه لايلبس مثل هذه القبعات وذلك من اجل ان يحصل العامل على طبق طعام يسد به جوعه . فجاء الى البيت وهو يحمل القبعة التي اشتراها والتي رميناها وهي جديدة علما بان سعرها كان غاليا ! هذا سبب من الاسباب التي تركتنا لانملك شيئا وهو امر اعتيادي بالنسبة له فتصرفاته هذه كارثة اقتصادية لايمكن تلافيها فهو لايترك في جيبه قرشا واحدا . فاذا خرج يوما لعمله وهو الدفاع عن المتهمين في المحكمة وكان في جيبه ١٠ روبيات تراه يأخذ ابنته الصغيرة زيني ليشتري لها فستانا جميلا وهي في الثانية من عمرها - او صندوق فاكهة لانه يهتم

---

* الكافر (الكفيري) الناطق بلغة البانتو في جنوب افريقيا (المترجمة)

بالناحية الصحية بشكل مفرط ويرى بان الطعام الجيد مهم ويجب ان يحتوي على نسبة عالية من البروتين والخضار ! هذا بالاضافة الى ممارسته الرياضة كل يوم !.

لقد عشنا دائما في ظروف مادية صعبة والسبب لأنه يفكر بالناس اكثر مما يفكر بنفسه وبعائلته. وقصة كوخنا الصغير في اورلاندو الذي اختاره هي قصة طريفة: كان يشتغل في مجلس بلدية جوهانزبرغ في الاربعينات وعندما كانوا يشيدون الاكواخ والبيوت في المستوطنة. وفي يوم من الايام اخبره المدير الذي كان رئيسه بأن ينتقي لنفسه بيتا فانتخب اصغرها وهو كوخ صغير يقع في الزاوية ويحتوي على مطبخ وغرفة للنوم وغرفة امامية فقط. علما بأنه اول ساكن هناك وكان باستطاعته ان يختار البيت الذي يجاور الكوخ الذي اختاره والذي يحتوي على اربعة غرف. هذه هي عادته في مثل هذه الامور، يرغب ان يكون الاخير اذا كان في الامر اختيار وعندما تعطى له فرصة الاختيار الاولى يختار لنفسه الأقل والاسوأ.

ليس هناك مرحلة في حياتنا عشنا فيها لوحدنا مع الاطفال. قد يأتي مثلا بعد حضور المحاكمات ليقول لي: "حبيبتي جئت مع بعض الاصدقاء ليذوقوا طبخك اللذيذ". واذا به يدخل ومعه عشرة اشخاص من غير ان يكون عندنا في الثلاجة قطعة لحم واحدة.

كثيرا مايؤدي بي هذا الى البكاء غير انه يخرج ضاحكا يفتش عن علبة سمك من المحلات التجارية القريبة حلا للمشكلة. ليس لديه حساب في البنك ولا يمكن ان يكون له ذلك ابداً

لقد اصبحنا جميعا كتلة متماسكة واحدة من الزملاء والرفاق ولم تبقى هناك حاجة الى اخباري باجتماعاته لأنها

شيء مسلم به. قد يأتي هو الى البيت بعد اجتماعاته ومجالسه التنفيذية ليرى بأنني خارجة لاقوم باجتماعات انا ايضا. فلا هو يسأل ولا أنا استفسر. كان هذا هو نمط الحياة في ذلك البيت.

تعتبر سنة ١٩٦٠ السنة الافريقية في الامم المتحدة مع الاحتفال بالموافقة العالمية لمبدأ استقلال افريقيا بعد تاريخ طويل من الاستعمار. طالب الرئيس لوتولي - المدير العام للمؤتمر الوطني الافريقي بالمقاطعة العالمية لبضائع جنوب افريقيا.

وفي جنوب افريقيا كانت هذه سنة شاربفيل، عندما اطلق البوليس النار على حشد اعزل من الرجال والنساء والاطفال الذين خرجوا احتجاجا ضد قوانين التنقل فقتل ٦٩ منهم وجرح ١٧٦ فارتفعت اصوات الغضب والاستنكار في العالم كله وخرجت مظاهرات ضخمة هزت جنوب افريقيا واعلنت الحكومة حالة الطوارىء والقت قوى الشرطة والجيش القبض على الفين من القادة والمنظمين والآف اخرى من عناصر مختلفة من الناس والغي المؤتمر الوطني الافريقي وحلت جميع اتحادات الاحزاب الافريقية التي دعت الى مظاهرة الاحتجاج الاساسي ضد قوانين التنقل بزعامة روبرت سوبكوي. وكان المؤتمر الوطني العام هو آخر نشاط شرعي للمؤتمر الوطني الافريقي قبل الغائه، من اجل المطالبة بوضع اسس لاتحاد شعوب جنوب افريقيا جميعا، ذلك الطلب الذي تبنته المعارضة البرلمانية بعد مضي عشرين عاما.

لقد شجب مجلس الامن في الامم المتحدة بتسعة اصوات مقابل لاشيء مع امتناع بريطانيا وفرنسا عن التصويت سياسة حكومة جنوب افريقيا وفتح النار على العزل. وطالب المجلس اقرار الانسجام العنصري الذي يعتمد على المساواة

كان نيلسون مع التسع وعشرين متهما الذين سجنوا في بريتوريا وقد اطلق سراحه بكفالة اثناء المحاكمة التي استمرت سنوات طويلة . وانسحب فريق الدفاع الذي يتألف من عدد من المحامين الكبار في جنوب افريقيا تسيبها بأنه من غير الممكن ممارسة عمله في محاكمة سياسية والبلاد في حالة طوارىء . واثناء غياب فريق المحامين تولى مانديلا والمحامي دوساكوي الدفاع عن المتهمين واستعد وهو في السجن للدفاع عن المتهمين الاخرين في القضية . كما ان مانديلا حضر كشاهد وأستجوب من قبل الادعاء. وسأله الحاكم فيما اذا كان في حرية جنوب افريقيا خطر مباشر للاوربيين، فكان جوابه : " نحن لا نعادي البيض غير اننا نقف ضد التسلط الابيض ونكافح من اجل ازالته بالدينا بين الافارقة البيض من يؤيدنا ... وقد اعلن المؤتمر الوطني الافريقي باستمرار كما هو واضح سياسة الانسجام العرقي وشجب سياسة التمييز العنصري والطرف الذي يمارسه. وقد طالب المؤتمر الحصول على الحقوق الدستورية للافارقة السود وحق الانتخاب. وسيكون سلاحنا بالضغوط الاقتصادية وحملات الاحتجاج والاعتصام بالبيوت والامتناع عن العمل الى ان تستعد الحكومة للحوار والكلام . "

بعد خمسة شهور قضاها في السجن اطلق سراح نيلسون واصبح باستطاعته العودة الى وني وابنتهم الصغيرة زيناني. وفي كانون الاول ولدت ابنتهم الثانية زندزسوا. وعند بداية محاكمة الخيانة التي استمرت بعد انقطاع استأنف مانديلا سفراته الطويلة كل يوم من والى المحكمة.

كان المتهمون الثلاثون ينتظرون الحكم بتاريخ ٢٩ آذار ١٩٦١ فتكلم الحاكم قائلا : " بعد التحقيق وتقصي الحقائق لم تستطع السلطة اثبات سياسة العنف لدى المتهمين على الرغم

من وجود " ميول للجناح اليساري " بشكل واضح . كما لم تتمكن السلطة من اثبات شيوعية المؤتمر الوطني الافريقي أو ان دستور الحرية هو دستور شيوعي . لذا تعلن المحكمة براءتكم وباستطاعتكم الان الخروج من هنا . "

كان امر تحديد اقامة مانديلا قد انتهى قبل اسبوعين من هذا التاريخ ولم يجدد . ولأول مرة منذ تسع سنوات اطلق سراحه واصبح باستطاعته حضور الاجتماعات والتكلم بحرية .

كانت جنوب افريقيا على وشك ان تصبح حكومة جمهورية " حكومة بورية بيضاء " كما يسميها الافارقة . ولانهم لا يعاملون كمواطنين لم يستشر منهم احد . فعقد اجتماع عام لجميع المنظمات الافريقية في بيتر مارتزبرغ حضره ١٤٠٠ مندوب من جميع انحاء البلاد . وظهر مانديلا بشكل غير متوقع لالقاء الخطاب الرئيسي وكان له وقع صاعق . ثم انتخب نيلسون مانديلا لتنظيم احتجاجات ضد الجمهورية البيضاء والمطالبة بمؤتمر وطني . وفي حالة عدم استجابة الحكومة سيعلن الاضراب العام .

فقامت الحكومة نتيجة لذلك بحملة جديدة من المطاردة والسجن .

" كنت دائما بانتظار تلك الطرقة المقدسة "
الحياة في الخفاء

" لقد كانت هذه من اكثر الفترات اثارة والهاما - لقد عاش مع الناس بشكل كامل . هؤلاء الذين ضحى بحياته من اجلهم . لقد عاش بينهم وكان وجوده معهم مشجعا لنا جميعا . "

تقول وني : " عاد نيلسون الى البيت في نهاية محاكمة سنة ١٩٦١ مع دوما نوكوي وعدد آخر من زعماء المؤتمر الوطني الافريقي المنحل وقال لي ببساطة : " جهزي لي ياحبيبتي بعض الملابس في حقيبة ." كان يقف خارج باب الحديقة ولم استطع الاقتراب منه لوجود حشد كبير من الناس جاءوا لتوديعه - وكان الجميع منفعلين . حضرت الحقيبة واخذتها الى الباب غير انه كان قد اختفى . ثم جاء من يأخذها مني بعد ساعة من ذهابه .

ثم قرأت في الصحف المسائية بانه ظهر فجأة في بيترمارتزبرغ وخطب في المؤتمر الذي لم اكن اعرف عنه شيئا ولا حتى عن امر الحظر على نيلسون الذي كان قد انتهى .

كانت هذه آخر مرة ارى فيها زوجي نيلسون وهو يعيش معنا كرب اسرة بشكل قانوني . ولم يتسع الوقت في هذه الفترة لمناقشة قراره حول التفرغ كليا للتضحية .

اعتقد بانه وجد هذا امرا صعبا فهو على الرغم من صلابته وقوته وطاقاته الهائلة عاطفي رقيق في مثل هذه الامور . لذا فانه لم يخبرني بقراره غير انني لاحظت بانه كان صامتا وغارقا في التفكير في الاسابيع الاخيرة واتذكر بأنني سألته

عما يقلقه غير انه لم يخبرني بشيء . ولكنني وجدت في جيب احد قمصانه عندما اخذته للغسيل ايصالا لايجار البيت لمدة ستة اشهر - وهذا امر غريب - واعتقد بأنه فعل ذلك من اجل تخفيف اعباء الحياة التي ستجابهني في غيابه . كما انه قام بتصليح السيارة التي كانت عاطلة وتركها لي جاهزة في المأرب .

كان هذا هو اليوم الذي اختفى فيه وبدأ العمل في الخفاء والذي اعقبته ايام صعبة للغاية .

لم يكن لدي الوقت الكافي حتى لحبه ، هذا الحب الذي ظل طريا خلال سنوات الفراق. انا لا اريد القول بانه كان ملاكا ، ربما لو كان لدي الوقت الكافي لاكتشفت فيه اخطاء كثيرة غير ان المدة القصيرة التي قضيتها معه كانت مليئة بالحب والشوق اليه والى عودته الى البيت في كل مرة يخرج فيها .

رأيته مرارا بعد اختفائه وقد عشنا في هذه الفترة حياة درامية . كان يأتي لزيارتنا في الخفاء وكنت انا انتظر تلك الطرقة المقدسة على النافذة في ساعات الصباح الباكر لانني لم أكن اعرف متى سيأتي ولم يكن هناك مواعيد معينة لذلك . كان في البداية يمكث معنا ما يقارب الساعة وذلك يتوقف على المناخ السياسي العام . غير ان السلطة بدأت بالمراقبة - مراقبة البيت في الاربع وعشرين ساعة من ساعات اليوم. كنت اتسلل خفية من حصار البوليس للذهاب اليه وكان ذلك يتم بالطريقة التالية :

يأتيني شخص ويأمرني بان اتبعه بالسيارة وبعد ان نبتعد بمقدار كيلو متر عن البيت نلتقي بسيارة اخرى ننتقل اليها لنتركها ثانية بخفة الى سيارة ثالثة وهكذا أكون قد ركبت ما يقرب العشر سيارات عند وصولي اليه لم اعرف المكان الذي اصله لأن اماكن اختفائه منتشرة على طول البلاد

يعرضها .

كان معظم الذين ينظمون لي هذه الزيارات من البيض ولم اعرف هويتهم الى هذا اليوم . كنت اجد نفسي في نهاية الرحلة في بيت عائلة بيضاء يخليه اصحابه من اجل ايتاح الفرصة لنا للبقاء وحدنا انا ونيلسون . "

اللقاء السري

سالي موتلانا الصديقة القديمة للعائلة والتي لها نشاطات في منظمات سياسية لسنوات طويلة تصف بعضا من هذه اللقاءات :

"استلمت مكالمة تلفونية بان ضيفا سيأتي لزيارتي . ضرب جرس الباب في الثامنة مساء وعندما فتحته كنت على وشك الاغماء اذ رايت نيلسون واقفا امامي وقال لي في الحال : "اريد منك خدمة. اذهبي واحضري لي وني. " فاسرعت اليها ولكنني قلت لها : "عليك ان تبدي جميلة فهناك شخص مهم يرغب في رؤيتك ." ذهبنا سوية في السيارة وعند وصولنا اخذتها الى غرفة بعيدة في نهاية المنزل فقالت لي مازحة : "هل جئت بي الى هنا لقتلي ؟" تركتها معه وسمعتهما يضحكان وبعد المقابلة اوصلت نيلسون الى المدينة في منتصف الليل تقريبا .

ومانديلا الشخصية المهمة المعروفة التي يحفظ لها البوليس اضبارة كبيرة ،الرجل الضخم لايمكن ان يظهر في اي مكان من غير ان ينتبه له احد . ولانه كان يجول البلاد وينظم لاضراب الاحتجاج القادم ضد الجمهورية الجديدة لابد له ولكل

من له صلة به ان يتخذ اساليب جديدة في ممارسة النشاط السياسي .

وفي رسالة مفتوحة ارسلها الى الصحف شرح نيلسون بان الاختفاء هو الاسلوب الوحيد الذي بقي لديه على الرغم من الصعوبات الناجمة عنه وقال شارحا : كان علي ان افترق عن زوجتي الحبيبة واطفالي ؛ عن امي واخواتي واعيش مشردا هاربا من العدالة في بلدي . كان علي ان اترك عملي واعيش الفقر كما يفعل غيري من الناس لأن النضال والكفاح هما عملي وحياتي "

وعندما طالب بمؤتمر وطني لم يكتب لرئيس الوزراءفحسب وانما الى زعيم المعارضة البرلمانية ايضا طالبا منه تأييد هذا المطلب الذي لم يستجب . وكتب للدكتور فيرورد مستنكرا التجاوز الوحشي على حقوق الافارقة والظروف المعيشية التي يعيشونها في ظل الحكومة التي اشتهرت امام العالم كله بسياساتها البغيضة . واوضح كذلك "بان الحالة الخطرة قابلة للاصلاح فقط في حالة الدعوة الى هذا المؤتمر من اجل وضع دستور ديمقراطي لا عرقي . وما لم يتم ذلك قبل العيد الوطني الجمهوري في ٣١ مايس ١٩٦١ فسيعلن الاضراب العمالي الشامل وسيبقى العمال في بيوتهم وسوف لن تمنعه التهديدات في استخدام القوة والعنف " .

تبع هذا التصريح حملة اعتقالات ووضعت قوى الجيش والشرطة في الانذار ودوهمت المستوطنات والمجمعات السكنية للافارقة وهدد ارباب العمل عمالهم المضربين بالطرد . ولكن على الرغم من كل هذا وفي يوم ٢٩مايس كان ٦٠٪ من العمال الافارقة في جوهانزبرغ وبريتوريا قد استجابوا للاضراب . وكانت نسبة العمال المضربين في بورت اليزابيث (٧٥٪) . وفي اليوم التالي اجريت لمانديلا مقابلات صحفية في الخفاء

وسئل فيما اذا كان الاضراب فاشلا فاجاب: "على ضوء الخطوات التي اتخذتها الحكومة فان الاضراب ناجح." مشيرا الى شجاعة المئات بل الالاف من الرجال والنساء الذين اظهروا مثل هذا التحدي لقوى الجيش والشرطة . واستطرد في القول : "اذا كانت سياسة الحكومة مقابلة النضال السلمي وتدميره بالقوة فعلينا ان نعيد النظر بجد في نهج سياساتنا . اننا كما يبدو سنطوى صفحة سياسة اللاعنف . "

بقي مانديلا متخفيا يعمل بالخفاء . وكان يبقى احيانا في مزرعة في ريفونيا وهي ضاحية من ضواحي مدينة جوهانزبرغ .

تقول وني :

" في ليليز ليف في ريفونيا استطعت ان اطبخ لنيلسون وللاطفال واشعر للمرة الاولى بحياة عائلية . كان هذا المكان مركز المنظمة الرئيسي. كانت المزرعة مقسمة غير اننا كنا في هذا الجزء منها في الاقل نحظى بحياة عائلية لسويعات قليلة . كان نيلسون يأخذ الاطفال للمشي في الحديقة المتعرشة المهملة . ضنت ابنتي الصغيرة بان هذا المكان هو بيتنا لانه المكان الوحيد الذي كانت ترى فيه والدها وتقضي معه بعض الوقت وتلعب معه . ظلت هكذا لسنوات طويلة وهي تحلم بالذهاب الى ذلك المكان معتقدة بانه بيتها الحقيقي. كانت تقول عندما تريد رؤية والدها: " متى نذهب ياماما لبيتنا ونرى بابا ."

ان زواجها من موزي والبيئة التي عاشت فيها في سوازيلاند اعادت الى ذهنها بعضا من صور تلك الايام . فبالدراهم القليلة التي جمعتها مع زوجها استطاعت ان تشتري بيتا ريفيا يشبه الى حد ما ليليز ليف . ولم يغب عن ذهنها بان ذلك المكان هو بيتنا الحقيقي .

كان البوليس يضع لنا العوائق في طريقنا في الذهاب والاياب الى ذلك المكان . وقد ساعدتني قوتي البدنية على ازالتها . كانوا مثلا يقطعون الطريق بصخور كبيرة لمنع السير عليها . كنت مرة مع طبيب واخذني بسيارة تحمل علامة الصليب الاحمر وكانت هذه المرة الاولى التي راينا فيها هذه الصخور . فقفزت الى المقعد الخلفي وتظاهرت بالآم الوضع وقد ساعدني في ذلك كبر حجمي حيث كنت حينذاك ممتلئة القوام . فعندما رأوا بان الطبيب كان يتولى القيادة سمحوا لنا بالمرور ظنا منهم بان في السيارة حالة وضع .

وفي مناسبة اخرى جاءني شخص من الذين كنت اعمل معهم واخبرني بان اخذ سيارتي الى منعطف معين . كانت هذه السيارة القديمة التي تركها لي نيلسون قبل اختفائه وبدأت تسبب لي متاعب كثيرة. فأخذتها كما طلب مني وعند وصولي المكان جاءني رجل طويل ببدلة عمل زرقاء وسترة سائق بيضاء وقبعة . فتح الباب وطلب مني ان اخلي مقعد القيادة واجلس في الجانب الاخر . فعندما فعلت جلس هذا الشخص وسار بالسيارة . كان ذلك الشخص نيلسون . كانت لديه اساليب كثيرة في التنكر وباستطاعته اخفاء هويته بهذا الشكل. حتى انه عندما سار نحو السيارة لم استطع تمييزه. ثم سار بي في وضح النهار الى الكراج واشترى لي سيارة بعد ان سلم السيارة القديمة لتغطية قسم من ثمن السيارة الجديدة ثم ارجعني الى مركز مدينة جوهانزبرغ وفي زحمة شارع سوير ثم خرج من السيارة بعد ان ودعني واختفى في الزحام . هذا هو نمط الحياة التي كنا نعيشها .

كنا نتبادل الرسائل عندما قام بجولات في افريقيا واثناء زيارته الى لندن ولا ادري كيف كان يوصل هذه الرسائل لي . كان في جولاته هذه مع الشعب الذي ضحى بحياته من اجله.

لقد عاش بين الناس ووجوده معهم شيء مشجع للغاية حتى بالنسبة لي. "

في كانون الاول ١٩٦١ وبعد ستة اشهر من اعلان مانديلا عن انتهاء فترة اللاعنف بدأت سلسلة من الاعمال التخريبية في المرافق الحكومية والتي كانت اشارة لبداية "امكهونتو وي سزوي " وتعني " رمح الشعب " . وكما ذكر مانديلا فيما بعد بأن العنف جاء كردة فعل لسياسة ونظام العنف الذي تتبعه الحكومة ثم اضاف قائلا : " لقد رفضت الحكومة مطاليب الشعب السلمية من اجل حصوله على حريته وحقوقه وكان جوابها له القوة والعنف. لقد حان الاوان -كما في حياة الشعوب الاخرى- عندما يبقى للشعب خياران فقط. الاستسلام او القتال "(وكما جاء في مقدمة البيان العام لحقوق الانسان الذي يفيد : اذا لجأ الانسان الى الثورة ضد الظلم والاضطهاد كحل اخير من غير ان يرغم على ذلك فمن الواجب حماية حقوقه الانسانية بحكم القانون) . "

ان الاعتراف العالمي بالمؤتمر الوطني الافريقي وسياسة اللاعنف التي اتصف بها طوال نصف قرن جاء بشكل تلقائي عندما منح الرئيس البرت لوتولي جائزة نوبل للسلام .

وفي هذا الوقت اصبح مانديلا الرجل المطارد الاول في جنوب افريقيا واستمر في التخفي عن انظار البوليس واستطاع في بداية ١٩٦٢ ان يتسلل خفية لالقاء كلمته في اتحاد التضامن الافريقي PAC في اديس ابابا قبل التقائه برؤوساء الدول في عدد من الاقطار الافريقية . ثم ذهب بعدها الى لندن واجتمع برؤوساء احزاب العمال والليبراليين ثم عرج الى الجزائر من اجل التدريب على بعض الامور العسكرية .

وصرح اثناء جولته هذه بانه يعيش حرا لأول مرة في حياته : " يعيش بحرية من الاضطهاد الابيض ومن جنون سياسة

الفصل العنصري ومن التعصب العرقي ومن ملاحقات البوليس ومن الاهانة والذل. لقد عوملت كانسان اينما ذهبت ورأيت السود والبيض في بعض الاقطار الافريقية يعيشون ويمتزجون بسعادة وسلام، في الفنادق والسينمات وفي الاعمال التجارية. يركبون وسائط نقل واحدة ويسكنون في احياء واحدة مختلطة."

رجع مانديلا متخفيا الى جنوب افريقيا وقد استمرت اعمال التخريب في غيابه فقدم تقريرا عن جولته الى المجلس الوطني الاعلى لـ (امكهونتو) وبعدها اتجه الى ناتال لتقديم تقرير الى القيادة الاقليمية وعند عودته من هناك في ٥ آب ١٩٦ القي القبض عليه بعد ان استطاع احد الجواسيس رصده والاخبار عنه .

تقول وني : " رأيت نيلسون مرة واحدة فقط بعد عودته من الخارج وكانت مقابلة سريعة - دقائق اخيرة من حياتنا سوية.

تلقيت خبر القاء القبض عليه وقد كنت اعمل في مركز انعاش الطفل . وبينما كنت نازلة في المصعد وقبل مغادرته التقيت احد اصدقاء نيلسون وكان في حالة مرعبة ! كان شاحب اللون وقد وقف شعر رأسه الاشعث ولم يكن قد حلق ذقنه الأمر الذي اوحى لي بان هناك كارثة وقعت . كان هذا الشخص من هؤلاء الاصدقاء البيض الذين كانوا يقومون بايصالي الى مكان مانديلا عندما كان متخفيا .

لذلك لم اتردد من سؤاله " هل هو بخير ؟ " كنت اتوقع ان يكون نيلسون قد اصيب عندما اراد اجتياز الصخور الموضوعة في الطريق مما ادى الى فتح النار عليه. فاجابني: "كلا غير اننا نعتقد بانه سيظهر في [illegible] غدا."

كان جوابه هذا كافيا لمعرفة الحقيقة . كان في ذلك خيبة للاحلام وانتكاسة سياسية . لم يكن الأمر في تلك اللحظة صدمة لي وحدي وانما هو صدمة الكفاح ولقضية الشعب - ومتى! في

الوقت الذي كان فيه نيلسون في قمة عمله السياسي .

لا ادري كيف وصلت البيت . اتذكر فقط بانني رميت بالاضابير التي كانت بيدي على المقعد الخلفي في السيارة واسرعت الى البيت . من حسن الحظ كانت اختي هناك وكنت انا عند وصولي قد تجاوزت الصدمة وعلمت بان هذا يعني نهاية الحياة العائلية بالنسبة لنا كما هي حالة الملايين من شعبنا - فلست انا حالة استثنائية .

وهكذا ذهب جزء مهم من روحي معه الى السجن . "

احيل مانديلا للمحاكمة بتهمة تحريض الافارقة على الاضراب في مايس ١٩٦١ وكذلك لمغادرته البلاد من غير اوراق رسمية . وعند توليه الدفاع عن نفسه استغل الفرصة والمكان لمهاجمة الحكومة والناخبين البيض وطرح حقائق تاريخية عن حياة شعبه وعن نضالهم الطويل . قال في دفاعه : " لقد اعلنت الحكومة رفضها للتفاوض معنا والالتفات الينا وصورتنا بأننا ثوريون متوحشون وخطرون غايتنا الفوضى والشغب ولا يمكن التعامل معنا أو اسكاتنا الا باستخدام قوى ساحقة ووسائل قمع قانونية او غير قانونية . " وعند صدور الحكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات مع الاشغال الشاقة أقسم مانديلا بأنه سيستأنف النضال حال خروجه من السجن من اجل محاربة الممارسات القمعية وازاحة الظلم نهائيا . "

حضرت وني مانديلا المحاكمة مع عمة نيلسون وعدد من اقربائه من ترانزسكي فكان تعليقها : " سوف استمر بالكفاح كما فعلت سابقا وبكل الوسائل والاساليب " .

انتشرت في هذه الفترة اعمال التخريب في طول البلاد وعرضها ضد مؤسسات البانتو ودوائرهاالتي اصبحت رمزا لسياسة الفصل العنصري . ان سياسة العنف الجديدة " امكهونتو " والعمل على شل الاقتصاد واعاقة الاستثمارات الاجنبية - لم يتحقق . غير ان انتقام السلطة كشف عن خوفها وقلقها الكبيرين تجاه من وصفتهم بالمخربين . فوضع وزير العدل الجديد بي - جي فورستر " قانون التسعين يوما " الذي منح قوى الامن صلاحية توقيف الناس من غير تهمة في زنزانات انفرادية لمدة تسعين يوما متعاقبة من اجل استجوابهم الى ان تحصل على اجوبة "مرضية". ونتيجة لذلك اوقف الآلاف من الناس واتضح بأن البوليس استخدم التعذيب اثناء الاستجواب وقد تأكد ذلك بعد ان تسربت معلومات عن وفاة احد الموقوفين نتيجة للتعذيب .

وفي ١٢ تموز ١٩٦٣ قام البوليس بضربة موفقة عندما استطاع القاء القبض على وولتر سيسولو وستة من رجال ليليزفارم* . وعندما بدأت المحاكمة في بريتوريا في ٩ تشرين الاول١٩٦٣ احاطت قوى الشرطة المسلحة مبنى المحكمة ودار العدل . وكان دينيس كولدبرغ وغيره من منظمي "الامكهونتو" من بين المتهمين وكذلك احمد كاثرادا وهو عضو

---

* المكان السري لنشاط المؤتمر الوطني الافريقي المحظور (المترجمة).

نشط من المؤتمر الهندي منذ ايام المدرسة وبعض قادة المؤتمر الوطني الافريقي مثل سيسولو وكوفان مبيكي من شرقي الكيب .

وعندما نودي على المتهم رقم (١) وهو نيلسون مانديلا للاجابة على التهمة الموجهة اليه قال :" يجب ان تقف الحكومة في قفص الاتهام لا انا . انا بريء ." وهكذا كان جواب جميع المتهمين في هذه القضية .

اعتمد حكم التجريم على اعداد كبيرة من الوثائق التي عثرت عليها السلطة في ليليزفارم مع شهادات عدد من المرتدين والمنحرفين والتي لم تأخذ بها هيئة المحكمة . وحذرت هيئة الدفاع المتهمين بانهم قد يدانون بتهمة محاولة قلب نظام الحكم وعقوبة ذلك الاعدام . وقد اوضح المتهمون بانهم في مجابهة سياسية مع نظام الحكم ولا يهمهم امر الاتهام والمحاكمة القانونية . وقد اعترفوا بأن البعض منهم اشترك في حملة التخريب التي كان هدفه اسقاط الحكومة وقد اتخذت الاجراءات والاستعدادات لحرب العصابات التي هي نتيجة حتمية كما انهم رفضوا تهمة التآمر لصالح غزو اجنبي .

وانعكس غضب العالم اجمع في الامم المتحدة بشكل لم يسبق له مثيل وبتصويت اجماعي بـ (١٠٦) صوتا طالبوا اطلاق سراح رجال ريفونيا وجميع السجناء السياسيين في جنوب افريقيا فورا .

وفي يوم الاثنين المصادف ٢٣ نيسان ١٩٦٤ ازدحمت المحكمة بحشود الناس وكانت وني بينهم ترافقها والدة نيلسون التي قدمت من ترانزسكي . واعلن رئيس هيئة الدفاع السيد برام فشر Q.C بأن الدفاع سيبدأ بتقرير نيلسون مانديلا من قفص الاتهام وهو احد المشتركين في حملة العنف " امكهونتو " وسيوضح للمحكمة ظروف وبداية هذه الحملة .

بدأ مانديلا قراءة تقريره :

" اود ان اوضح اولا ان كفاحنا في جنوب افريقيا جاء بايعاز اجنبي او شيوعي غير صحيح . لقد قمت انا شخصيا بالعمل كفرد وكقائد لشعبي معتمدا على خبرتي وعلى ظروف حياتي في جنوب افريقيا وما امدني به اصلي الافريقي الذي افخر به وليس نتيجة لوقوعي تحت تأثير خارجي واجنبي .

" تأسست منظمة "امكهونتو" لاننا نعتقد بأن سياسة العنف اصبحت ضرورية نتيجة للسياسة التي تنتهجها الحكومة. ومن غير قيادة حكيمة وملتزمة للضبط والسيطرة على غضب الشعب وعواطفه سيحل الارهاب الذي سيؤدي بدوره الى الكراهية والحقد بين الاجناس المختلفة في هذه البلاد وهذا اشد خطورة عليها من الحرب .

ان التخريب الذي هو اسلوب العمل المختار لا يعني القتل وهدر الدماء بل يعطي الامل في اقرار السلام والاخوة بين الاجناس. لقد صدرت اوامر مشددة لاعضاء "امكهونتو" بتجنب هدر الدماء لأي سبب -وهذه اوامر ايدها شهود من قبل السلطة.

اما فيما يخص ادعاء السلطة بأن اهداف المؤتمر الوطني الافريقي هي اهداف شيوعية فأن هذا غير صحيح لأن اهداف المؤتمر هي دائما اهداف قومية افريقية . اما اذا كان هنالك تعاون بين الحزب الشيوعي والمؤتمر الوطني الافريقي فأن هذا يتلخص بما يلي : لدى الحزبين هدف مشترك واحد الا وهو ازالة لتسلط الابيض . لقد كان الشيوعيون الجهة السياسية الوحيدة على مدى عدة عقود التي دعت الى المساواة بين الافارقة والاجناس الاخرى. وكانت الجهة الوحيدة التي تتعامل مع الافارقة كبشر وعلى استعداد لمساعدتهم في كفاحهم من اجل الحصول على حقوق سياسية ومكانة اجتماعية على

النطاق المحلي والعالمي . لقد تلقينا المساعدة من الاقطار الشيوعية التي ساندت مطاليبنا وغالبا ماكان تعاطفهم معنا يفوق مالمسناه من بعض اقطار القوى الغربية ."

قدم مانديلا بعد ذلك نسخة خطية لمطاليب الشعب الافريقي وختم تقريره بما يلي : " اننا نطالب بحقوق سياسية وبدونها لا يمكن القضاء على عجزنا. انا واثق بأن هذا المطلب سيكون ثوريا بالنسبة للبيض لأن اغلب الناخبين ٥ سيكونون من الافارقة. وهذا مايجعلهم يخشون الديمقراطية . غير ان هذا الخوف لا يمكن ان يكون حائلا بيننا وبين الحل الوحيد الذي يؤمن التكافؤ بين الاجناس والحرية للجميع . ان منح حق الاقتراع سوف لن يؤدي الى سيطرة عرقيه لأن التجزئة السياسية التي تعتمد على اللون هي شيء غير طبيعي . ان الغاء هذه التجزئة واختفاء الفروق اللونية والعرقية ستؤدي بالضرورة الى سيطرة فئة على اخرى. لقد حارب المؤتمر الوطني الافريقي وعلى مدى نصف قرن العنصرية والعرقية وسوف لن يحيد عن سياسته هذه اذ مانجح وانتصر."

وصفت البرتين سيسولو التي حضرت المحاكمة ما جرى في تلك اللحظة التي انهى بها نيلسون مانديلا تقريره: " لقد خيم السكون على قاعة المحكمة وبعدها جاءت النهاية. نظر مانديلا الى الحاكم وقال بهدوء :" لقد نذرت نفسي وحياتي كلها لنضال الشعب الافريقي هذا. كافحت ضد التسلط الابيض وضد التسلط الاسود وتمكست بمبادىء الديمقراطية للمجتمع الحر حيث يعيش الجميع سواسية بتآلف ومحبة. هذه المبادىء التي اتمنى ان اعيش من اجل تحقيقها. ولكن اذا اضطر الأمر فانا مستعد للموت من اجلها." ومع الجملة الاخيرة حلت الظلمة لأن مانديلا هو بالنسبة لنا نحن الافارقة كل شيء ".

وفي حزيران ١٩٦٤ صدر حكم ادانة مانديلا وسبعة من رفاقه

وكان الثامن ليونيل برنستاين وهو الوحيد الذي اطلق سراحه. واعلن الحكم عليهم جميعا بالسجن المؤبد في ١٢ حزيران١٩٦٤.

وصف احد المراسلين الصحفيين السيدة مانديلا وهي خارجة من المحكمة قائلا : " توقعت ان ارى السيدة مانديلا منهارة." ولكن لا. ظهرت على السلم وهي تبتسم باشراقة مبهرة. لقد كان تأثير الحكم عليها عظيما وكأنه انتصار ملأ قلوب حشود الافارقة الذين تجمعوا في قلب عاصمة الافريكانيين في ساحة الكنيسة في لحظة محنة وألم وقد توسطهم تمثال بول كروكر وهم مبتهجون . كانت الجموع تهتف ولعلها المرة الاولى التي كان للافارقة الشجاعة للهتاف في ذلك المكان." *

وعلقت جريدة النيويورك تايمس : " ان رجال ريفونيا ابطال يقاتلون من اجل الحرية . فهم نماذج من جورج واشنطن وبن فرانكلين في جنوب افريقيا." وكان تعليق التايمس اللندنية : " ان الصورة التي ظهرت هي لرجال لقوا من العذاب مالا يحتمل ... ان حكم التاريخ سيشير ان المجرم الوحيد في هذه القضية هي الحكومة وهذا هو حكم العالم كله."

---

* آلستر سباركس ، جريدة الاوبزرفر في ٢٠ آذار ١٩٨٣.

كان دعامة قوة لي في وحدتي

تقول وني : "انتظرنا خارج المحكمة في المكان الذي سينقل منه السجناء الى سجن بريتوريا من اجل ان نلوح اليهم بايدينا ونودعهم لآخر مرة . كنا في وسط حشد كبير . كنت امسك بيد ابنتي زيني واحمل باليد الثانية زندزي عندما امسك بكتفي احدهم. التفت لارى شرطيا ضخما يقول لي . "تذكري رخصتك! عليك ان تعودي الى جوهانزبرغ في الساعة الثانية عشرة. " *

كان الجو في المحكمة نضاليا ونفسياتنا عالية في اليوم الاخير من محاكمة ريفونيا . كان هناك بالطبع بكاء ودموع غير انها كانت دموع نضالية لا دموع خيبة ويأس. كانت تسمع اناشيد الحرية وهتاف بشعارات مثل: "سنبقى مع قادتنا... تسقط العنصرية " اتذكر ما قاله الن بيتون عن تخفيف الحكم وهو زميل ورفيق سياسي لايمكن ان انسى ما فعله من اجلنا .

كنا نتوقع مثل هذا الحكم لاننا كنا نعرف القوانين . فالسلطة لاتستطيع اعدامهم لأن في ذلك مجازفة سياسية . لقد كانت النفوس ثائرة اضافة الى الضغوط الدولية التي كانت تعمل بجد . فلو حكمت عليهم بالاعدام لاحترقت البلاد كلها .

---

* حضرت وني مانديلا المحاكمة بترخيص خاص يسمح لها حضور المحاكمة (المترجمة).

غير ان الحكم عليهم بالسجن المؤبد احدث بالطبع شعورا بالخيبة. فبعد غياب قادتنا بتنا نشعر اننا سنواجه صعوبة اعادة التنظيم والكفاح. وعندما يكون الكفاح سريا لابد من نمط حياة جديد ومفاهيم جديدة ونظرة سياسية جديدة واسلوب تفكير جديد. وهذا امر صعب في مثل تلك الظروف. كنا ندرك بان امامنا فترة صعبة من العمل والنضال.

ومن الاشياء التي لا تنسى اناشيد الحرية التي كانت الحشود تنشدها وكذلك النشيد الوطني الذي ودعت به الجماهير القادة وكان لهذا التوديع اثره الكبير في نفوس القادة الذي ظلوا على مدى سنوات طوال يؤكدون على مدى تأثير ذلك عليهم. فعندما يسجن المناضل فانه يستمد القوة والمعنوية العالية من ذكرى الاشياء التي تركها خلفه. ظلت صورة الجموع المودعة في ذاكرتهم الى هذا اليوم تمدهم بالعزم والقوة على الصمود. ان يوم النصر لقادم ومهما جابهتنا من المصاعب فاننا سننال حريتنا. وما هذه الا اشياء زائلة ومؤقتة علينا الصمود امامها. انني اعترف بانها عائق كبير في مسيرتنا النضالية. دخلنا المحكمة مستسلمين لاننا كنا على يقين اننا سنتركها من دون ازواجنا واخوتنا ورفاقنا في النضال.

كانت كلمة مانديلا التي القاها في المحكمة خلاصة لمعاناتنا على مدى ٤٠٠ سنة ونبوءة مروعة لما نتوقع حدوثه من اراقة للدماء وهي امر لابد منه كما شاهدنا ذلك سنة ١٩٧٦. فهي نبوءة مظلمة لما ستكون عليه حالتنا اذا ما اضطر الشعب كمحاولة نضالية اخيرة الى اعمال عنف وتخريب من غير قيادة او ارشاد - هذه الامور التي حاول قادتنا تجنبها والحؤول دون وقوعها. ولكنها وقعت على الرغم من كل المحاولات. لذلك كان اليوم كئيبا لمن يستطيع النظر بعيدا،

كان اشبه بيوم كنائسي توديعي .

كانت ابنتي زيني في الخامسة من عمرها وزندزي في الرابعة كنا نقف خارج المحكمة لتوديع والدهما والسجناء الآخرين الوداع الاخير قبل نقلهم الى سجن بريتوريا المركزي. كان هناك الالاف من الناس احتشدوا في الساحة لتوديع هؤلاء الرجال ولم يستطع اقرباء المحكومين وعوائلهم الاقتراب منهم من كثرة الزحام. صار الناس يدفعوننا الى الامام لكي نستطيع ان نلمس ايديهم على الاقل عند التوديع ولكن من غير جدوى. كنت في وسط تلك الحشود وانا احمل زندزي بيد وامسك زيني باليد الاخرى عندما مسك شرطي ضخم من قوى الامن كتفي وقال لي : " تذكري رخصتك ! عليك ان تعودي الى جوهانزبرغ في الثانية عشرة !" تصوري ! انا اقف هنا مع شعبي ننشد النشيد الوطني بينما يأتيني هذا الشرطي ليقول لي بان علي الرجوع الى جوهانزبرغ ؛ كل ما فعلت هو رفسة برجلي وتجاهل ماقاله لي .. في اخر يوم لنا مع هؤلاء القادة: لقد حكم على زوجي ورفاقه بالسجن المؤبد وعلي ان افكر بالرخصة وبالساعة التي يجب ان اعود فيها .

رأيت نيلسون مرة واحدة قبل نقله الى جزيرة روبن. كان لقاءا مؤلما حقا غير انه يمتلك القدرة والاسلوب لمنح الثقة وتبديد المخاوف . مجرد رؤيته كانت تكفي لأعادة تنظيم العواطف واسترجاع الثقة التي كانت على وشك ان تفقد مني. لقد بث في ما اعانني على مواجهة الحياة الصعبة التي كانت بانتظاري .

وكان كل ماحدث لي في العشرين سنة منذ ان اودع السجن اشياء تنبأ بها وحذرني من وقوعها . قال لي مثلا بانهم سيشهرون بسمعتي وسيقولون أنني كنت السبب في دخوله السجن وأن حياة زوجة شابة مثلي تعيش بعيدة عن زوجها ستكون

مليئة بالمصاعب والاهانات والذل. غير انه اخبرني في الوقت ذاته بثقته الكبيرة في وانني سأكون قادرة على مواجهة كل هذه المصاعب وسأكون دائما عند حسن ظنه. كان في كل مرة اراه فيها يقوم بمنحي مافقد مني من ثقة وصبر ويحقن اعماق نفسي بالحياة والقوة .

هناك حادثة وقعت قبل يومين من صدور الحكم على نيلسون . جاء الي عدد من المسنين الافارقة وطلبوا مني وضع شيء في حذائي قبل دخولي المحكمة من اجل طرد الشر عن نيلسون وابعاد ماقد يحدث له من سوء. كنت حينذاك في صراع عاطفي! لقد تعودت ان احترم الكبار غير ان نشأتي وثقافتي لا تسمحان بمثل هذه الخرافات وان امر التحايل عليهم لم يكن بالامر الهين ايضا. كان ماعطوه لي قنينة صغيرة فيها سائل دهني بني اللون وفيه مايشبه الشعر . كنت حينها صغيرة لا ادرك أن تسلمها منهم قد لا يقدم او يؤخر شيئا. على الاقل كنت بعملي ذلك اشعرهم بالاطمئنان والراحة. غير انني لم افعل لأنني كنت واثقة ان مثل هذه الامور سوف لن تبعد عن نيلسون ماحدث له. انه يرغب في الكفاح ونيل الحرية لا عن طريق مثل هذه الحشائش. وعند صدور الحكم قال هؤلاء الشيوخ: " ارايتم ! بنت صغيرة مثلها تسببت في سجنه ! كانوا مقتنعين تماما بانني تسببت في سجنه وبيعه للرجل الابيض لأنني رفضت حمل التعويذة ورفضت التمسك بالعادات والتقاليد !

كنت في السنوات الأولى نسخة كاربونية عن نيلسون ولم تكن لي شخصية مستقلة. وكان يشار الى ماقوم به وما اقوله بأنه " ماقامت به او ما قالته زوجة نيلسون ". ولكن بعد غيابه عن مسرح السياسة (ولو انني لا ارغب بالكلام عن نفسي) صار الناس ينظرون الي بشكل آخر لا مجرد نسخة اخرى من

نيلسون . فلدي ارائي وافكاري التي تجعل مني شخصا مستقلا له عقيدته وموقعه وليس فقط زينة سياسية في عنق نيلسون.

فالمرأة ضمن كفاحها العام تواجه امورا كثيرة لا فقط من الزاوية السياسية . فعليها اولا التخلص من سيطرة الرجل التقليدية كما ان امامها الجانب التراثي الذي لا يقر تعاطيها السياسية ولا الدخول في معترك النضال . فالتقاليد لا تستوعب الفكرة وفي اصولها رواسب تحتم ان يكون مكان المرأة البيت ! وهذا بالطبع شيء عام نجده في اقطار اخرى في العالم . ولكن هنا نخضع لهذه التقاليد بحكم القانون. واشتراك المرأة في النشاط السياسي امر لا يجيزه القانون. وموقعها ثانوي بحكم هذا القانون . فلو قرأت سجلات المحكمة لرأيت الكثير من التجريح المنظم والافتراء وتشويه السمعة: علاقات مشبوهة نسبت لي مع كل من عملت او كان لي اتصالات معه.

قضى المصور بيتر ماكوبين مدة طويلة في السجن لأنه قدم المساعدة لاطفال نيلسون . لم يكن بيتر من المحظور عليهم غير انه اتصل بنا وقدم المساعدة فاصبح طعما للسلطة .

لقد فسروا علاقته معي علاقة سياسية من اجل انزال العقوبة عليه ، هذه العقوبة التي سببت لنا المشاكل بشكل غير مباشر . هذا ماحدث لكل من قام لمساعدتنا . حتى هيلين جوزيف التي كانت لي اما عطوفا هوجمت بشكل وحشي عندما بدأت علاقتنا تتوطد معها . وقد ازدادت هذه الهجمات وحشية كلما اقتربت منا . وعانت الكثير من اجلنا . فهي نموذج واحد من النماذج الكثيرة .

وكما ذكرت جاء اتهام بيتر من قبل المحكمة بسبب اتصاله بنا غير ان السلطة البست الاتهام ثوبا رخيصا عندما نشرت صحفها المأجورة عناوين مثل : " العثور على رجل في منزل

مانديلا . " وذلك من اجل وضع الصورة باطار مشوه غير سياسي .

لقد استخدموا مراسلين قذرين مستعدين لرسم الصور ووضع الاخبار بشكل مزيف من اجل تحويل الرأي العام ضدنا . هناك مثلا مراسل يدعى كامبي يعمل في صحيفة (بوست) لسنوات عديدة ويكتب مقالات عفنة تحمل بين سطورها الافتراء والتشويه. كانوا يتعمدون أخذ الصحيفة الى زنزانة نيلسون ويدخلونها له من تحت الباب لكي يطلع على افتراءاتهم وهم يجهلون ان ليس هناك شيء من الاشياء التي كتبوها عني لا يعرف نيلسون حقيقته وهو الذي حذرني من هذه الاشياء عند دخوله السجن . هذا ماحصل وما يحصل على مدى سنوات فكل مقالة تحمل مثل هذه الافتراءات تجد طريقها اليه من تحت الباب . وقد اخبرني ان رسالة قديمة كنت قد كتبتها الى صديق لي وجدت طريقها اليه ايضا . وفارق السن بيني وبينه جعل الجميع يعتقد بأنني سوف لن استطيع الصمود امام مشاق الحياة لوحدي . ظنوا ان السنوات الطويلة ستضعفني وانهم سيستطيعون اذلالي وانني سارجع الى والدي بعد الفشل والاعتراف بالعجز .

كانت الاسابيع الأولى بعد غياب نيلسون جحيما . فالوحدة والعزلة اشياء افظع من الخوف - فهي اكثر الامراض المـا اذا ما تعرض لها الجسم والعقل. وجدت نفسي وقد خسرت كل شيء عندما سلبوا مني فجأة رجلا عظيما كنت اقف الى جانبه كالطيف . لقد كان دعامة قوة لي فصرت اتلمس طريقي في محاولة للبقاء والتأقلم . كان الامر في غاية الصعوبة غير ان رسائله اللطيفة منحتني العون والقوة والصبر. لم استطع رؤيته بعد سجنه لمدة ستة اشهر ولم يسمح له الا برسالة واحدة طوال تلك الفترة . ظلت رسالته الاولى معي اعيد قراءتها حتى انتهاء الستة اشهر ووصول رسالة اخرى

منه .

كنت احلم عندما تزوجته بحياة زوجية وفي بيت يضمنا في المستقبل وبقيت احلم بالحب الذي لم اتمتع به وانتظر . فأنا المرأة المتزوجة التي لم تعش مع زوجها - احلم باليوم . حتى وان كان يوما واحدا ، اتمتع به بحياة زوجية مع زوجي . سأكون شاكرة لو تسنى لي ذلك .

فهو ايضا يفتقد تلك الايام التي قضاها معنا - عندما كان يمارس رياضة الركض في ساعات الصباح الباكر . كان يستيقظ في الساعة الرابعة صباحا من اجل ذلك . وكنت انتظره وبيدي قدح من عصير الفواكه ودهان ادلك به جسده بعد الحمام . اشياء انسانية حميمة تؤلم عندما يتذكرها الانسان وتثير الشجون .

أن أول شيء يرغب فيه عند خروجه من السجن هو الذهاب الى الريف لرؤية اهله والاستمتاع بالجبال واستنشاق الهواء النقي . ان حبه لبلاده ولتراثه وتقاليده حب صادق ومتين . فهو يناضل من اجل تحرير شعبه ووطنه الذي احبه . لايزال يتذكر اصحاب الدكاكين الصغيرة الذين كان يشتري منهم حاجاته عندما كان صغيرا ويتذكر ترانسكي والنهر الكبير الموغل المسمى (كي) حيث كان يجلس مع الشيوخ للتأمل على ضفافه - انه يحن الى هذه الصور ويتألم . فتحرير بلاده هو تحقيق لحلم يعيش معه وعودة الى الاشياء التي عاشها واحبها في طفولته .

لقد سمحوا له بزرع حديقة في سجن الجزيرة - الشيء الوحيد الذي يستطيع مزاولته باسترخاء ومن غير ضغوط . لقد كتب لي مرة يصف لي غصن نبتة كان قد زرعها. انه يستطيع ان يكتب كتابا في وصفها والتحدث عنها . وكذلك عن شتلات الطماطم وعن احدى تلك الشتلات التي ماتت. لقد كتب رسالتين

في وصف هذه الاشياء (لم يكن يسمح له بأكثر من ٥٠٠ كلمة في الرسالة الواحدة) كيف نمت وكبرت وكيف استطاع ان يمنحها الحياة وعن شعوره عندما ماتت احداها . لقد سحب تلك الشتلة من الارض وغسل جذورها الميتة وصار ينظر اليها بألم - تلك النبتة التي كانت تتمتع بالحياة قبل فترة .

ولانه لا يستطيع الكتابة عن السياسة فأن وصفه لمثل هذا الاشياء يعكس طريقة تفكيره بالامور الكبيرة. فهو بلاشك يرى الشبه بين النبته والطفل الذي تربيه وتمنحه الحياة في مثل هذه الظروف السياسية ليأتي الوقت وتحصده ظروف لا سيطرة لك عليها - ماذا يكون شعور الاباء ؟ يستطيع الانسان ان يرى الشبه بين موت النبتة وحصاد المئات من الاطفال في حوادث ١٩٧٦ . فلو انه تكلم عن ذلك بصراحة في رسالته لما وصلتني الرسالة .

ان الذي ساعدني في الاوقات العصيبة،قسيس ضعيف البنية ولكنه يمتلك شخصية قوية كحجر الصوان يدعى الاب ليو راكيل من الكنيسة الانكلكانية. لقد انتشلني من حالة التمزق التي كنت عليها . قضى معي ساعات طويلة في البيت واجبرني على ممارسة الرياضة الروحية في دير روز تينفيل حيث استطعت بمساعدته اعادة اكتشاف اهمية الروح بالنسبة الى عقيدتي الدينية والى قضية شعبي .

لقد اعانني هذا الايمان فيما بعد على تحمل السجن الانفرادي لمدة سبعة عشر شهرا في سجن بريتوريا المركزي كما ساعدتني تعاليمه وارشاداته على الصمود كلما وصلت بي الحال الى حالة اكتئاب قاسية.

لقد اصبح قريبا من نفسي بحيث صرت اشعر وانا معه بانه فرد من افراد العائلة حتى عينه نيلسون احد اولياء امور اولادنا مع اخوالي والدكتور نثاثوموتلانا .

كان الاب ليو راكيل أول من زارني بعد الافراج عني في محكمة بريتوريا واستمر في رعايته وارشاداته الدينية عندما كنت في براند فورت والى حين وفاته .

والصديق الحميم الاخر هو الاب جون رشتون من بلومفونتين كان وبشكل غير مباشر مع الاب كروس والاسقف آموور بدلاءعن الاب راكيل . يوجد مع هؤلاء صديق حميم لزوجي يدعى احمد كاثرادا وهو من الذين تعتبرهم السلطة شيوعين عنيفين وقد لعب دورا هاما في منحي الثقة والشجاعة والعزيمة قبل القاء القبض عليه في ريفونيا .

من الصعب ان اجد نفسي فجأة تحت الاضواء، لم أكن مهيأة لمثل هذا الدور . كنت على استعداد لأنوب عن نيلسون . كنت في السابق احاول ان يكون لي كيان خاص ولكن الافكار التي كنت اطرحها في الاجتماعات كانت في تصور الجميع هي افكار مانديلا . وفجأة اختفى مانديلا واصبح من الضروري ان اعمل وافكر بحذر قبل ان اتفوه باية كلمة لأنني انوب عنه - لم اكن حذرة بسبب امر الحظر وانما بسبب المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقي.

وأول أمر بالحظر علي كان سنة ١٩٦٢ وعلى اثر القاء خطاب في المؤتمر الهندي للشباب الذي دعاني الى ذلك. بعد سنوات سألت ضابط الأمن جوهان كوتزي الذي هو برتبة لواء وكان حينئذ ضابطا شابا عن سبب الحظر علي فاجابني: "هناك مثل عند الافريكانيين . لو كان لديك حقل فيه قرعات كثيرة وكان بينها واحدة كبيرة فان القرعة الكبيرة ستأكل القرعات الصغيرة . " بهذه العقلية الضعيفة حكم علي بالحظر طوال العشرين سنة الماضية ! لم يكن لديهم شيء ضدي عدا كوني زوجة نيلسون .

وعن اوامر الحضر هذه لدي قصص كثيرة . لقد حرم علي

بموجب أمر الحظر ارتداء ملابسي الوطنية. كنا نحن النساء نلبسها لأنها تبعث في الناس الروح الوطنية وتثير فيهم الحماس . وعندما تقدمت بطلب للسماح لي بحضور محاكمات ريفونيا حصلت على الموافقة بشرط ان لا ارتدي الملابس الوطنية . فرغبتي الشديدة في حضور المحاكمة ادت بي الى الاستسلام والطاعة . فلا نستطيع ان نعبر عن تقاليدنا بطريقتنا الخاصة بل بما يملى علينا وبالاسلوب الذي يرغبون . اعتقد انني المرأة الافريقية الوحيدة في هذه البلاد التي حرمت من ارتداء ملابسها الوطنية لذلك بدأت في ارتداء ملابس بالوان المؤتمر الوطني الافريقي التقليدية الأمر الذي عرضني الى المشاكل ايضا . ففي محاكمتي سنة ١٩٧٧ سألني الادعاء : " هل لك ياسيدة مانديلا ان تذكري للمحكمة سبب ارتدائك الوان المؤتمر الوطني الافريقي الملغى ؟ " فاجبته وانا في قفص الاتهام: " السيد المدعي العام - من الحقوق المتبقية لي في هذه البلاد حق اختياري الملابس التي ارتديها. فاكتفى بهذا القدر وقال " ليس لدي اسئلة اخرى. "

انا لانلتمس تخفيف الحكم علينا في المحاكم البيضاء مهما كانت التهمة صغيرة أو ملفقة لأن في ذلك تأثير سلبي على معنويات الناس . وفي كل الاحوال لايستطيع الفرد الالتماس لأنه يعرف منذ البداية بانه بريء وان الاتهام يأتي اعتباطا من المجرمين الحقيقيين .

ان الحالة افضل في المحاكم العليا . ففي المحاكم البدائية يصعب علينا كسب اية قضية وهذا ما يجعلني اشعر بالاسى . لأنني اتوقع دائما ان يصدر الحكم ضدي وان زفير الحقد الحار ينفث من مناخير القاضي الذي يحرقك وانت في قفص الاتهام . لا اتذكر بان محكمة صغيرة من هذه المحاكم

برأتني عدا حادثة اعتدائي على العريف فوري عندما دخل بيتي وغرفة نومي من غير استئذان . فمن السخرية ان يخلى سبيلي عندما اقترف ذنبا ويحكم علي عندما أكون بريئة . فمهاجمة هذا العريف هو الذنب الوحيد الذي اقترفته في حياتي والذي برأتني المحكمة منه على الرغم من ان الادلة كلها اشارت بانني ضربته واوقعته ارضا .

وهذه الحادثة تتلخص في ان العريف فوري جاء الى بيتي في اورلاندو في يوم من الايام ودخل من غير ان يطرق الباب ووضع يده على كتفي وصار يتكلم بطريقة سخيفة وغير مؤدبة باللغة الافريكانية التي لم أكن اجيدها حينذاك . صحيح ان الانسان لايخطط للقتل غير انني قد لا اتردد في قتله لو كان بيدي سلاح استطيع استخدامه وهو يدخل علي بتلك الصورة. لقد كنت في غرفة النوم وكنت ارتدي ملابسي عندما رايته يدخل الغرفة - ياالهي ! لم يعتذر او يتراجع بل استمر بالمشي حتى وصل الي وكأنني قطعة اثاث في تلك الغرفة! ثم وضع يده على كتفي! لاادري كيف دفعته وكيف سقط على الارض وهو يصرخ باعلى صوته وقد سقطت عليه منضدة التواليت وتسببت في كسر رقبته (وقد شفي منه) . لم اكن ادري بان هناك جيشا من البوليس خارج المنزل . حملني ستة منهم الى السيارة - وانا البس جوارب واحدة وحذاءا واحدا . اخذوني الى السجن ولم أكن قد انتهيت من لبس ملابسي !

وهناك قالوا لي بانني قاومت أمر التوقيف . قال لي محامينا جورج بيزوز وهو شخص اطيعه كما اطيع ابي وله من السلطة علينا كما لنيلسون - قال لي قبل دخولنا المحكمة: "زامي اطلب منك ان تتصرفي كسيدة لا كمتوحشة امازونية!" وهذا يشبه ما كان نيلسون يقوله لي دائما : " زامي انك متوحشة وبحاجة الى ترويض ! " لا اعتقد انني غير مهذبة

ومتوحشة غير ان على الانسان ان يستعمل اللغة التي يفهمونها : ومن إجل ان تعيش بسلام عليك ان تستعمل العنف.

لقد دخلت معارك كثيرة مع البوليس لا اتذكرها لأنها كثيرة . وكان في ذهابنا الى المحاكم بصورة متكررة احراج للطرفين . فانا لااستطيع الاستئناف ضد اوامر الحظر لان القانون لايمنحني هذا الحق .

ان ما يؤلمني كثيرا هو عدم استطاعتي الالتقاء بمدرسي اطفالي . كان علي ان ارسلهم مع احد الاقرباء عند تسجيلهم في المدرسة لأنني ممنوعة من الدخول الى اية مؤسسة ثقافية. لقد جرت العادة . وهو شرط - ان ترافق الأم اطفالها في اليوم الأول من المدرسة لما في ذلك من تأثير كبير على الام وعلى الاطفال. غير انني لم استطع ممارسة هذا الحق . وانا الام الحريصة على اطفالها ! لقد سجلوا في مدارس عديدة لأن ادارة المدرسة تطردهم حال اكتشاف هويتهم وهم صغار لايفقهون سر طردهم . كان الكل خائفا حتى اصبح امر الحصول على من يأخذهم الى المدرسة في غاية الصعوبة لأن ذلك الشخص سيكون موضع شبهة وسيفتح له ملف في ساحة جون فورستر* وهذا ما حدث بالفعل للذين اصطحبوا اطفالي الى المدارس فاوقفتهم السلطة واجرت معهم تحقيقا قاسيا .

والمدرسة الاخيرة التي طردوا منها كانت مدرسة للافارقة فقط سجلتهم فيها بعد ان اصابني اليأس . كانت احدى قريبات نيلسون هي الشخص الوحيد الذي وجدته لاخذ اطفالي الى هذه

---

* المركز العام لقوى الامن والسجن. هناك يتم الاستجواب والتحقيق مع الموقوفين والمتهمين .

المدرسة وتسجيلهم باسمها والا فان الادارة ترفضهم اذا ما عرفت بانهم بنات نيلسون مانديلا بموجب القوانين الوطنية. فطردوا من هذه المدرسة ايضا بعد اكتشاف هويتهم واوقف مدير المدرسة بسبب ذلك . كانت زيني في الثامنة من العمر وزندزي في السابعة . هذا ما اضطرني الى ارسالهم الى سوازيلاند سنة ١٩٦٧ وقد قامت السيدة الينور برلي* وهي صديقة لي باتمام الاجراءات اللازمة بمساعدة هيلين جوزيف . وقد ساعدتني هذه السيدة كثيرا في الفترة التي كنت عاجزة فيها عن القيام باي شيء . كنت حينذاك من غير عمل لأن اوامر توقيفي منعتني من القيام بدوري كأم وولية امر اطفالي . ولولا جهود هاتين السيدتين لما استطعت تسجيل بناتي في مدرسة ووتر فورد . وكثيرا ما كانت البنتان تأتيان الى البيت في ايام العطل لتجدا الباب مقفولا فتهرعان الى قراءة الصحف لمعرفة السبب ولتقرآ خبر توقيفي . وكثيرا ما كانت المديرة تخفف عنهما وتقول : " لاتنزعجا اذا ما سمعتما خبر احتجاز او توقيف امكما مرة ثانية." لم يتسنى لي حتى التعرف على المدرسين الذين قاموا بجهد كبير في تعليم بناتي .

كنت احاول ان امنحهم ما في وسعي من الرعاية والاهتمام وربما بشكل مبالغ فيه عندما التقي بهم كتعويض لحرمان الاطفال من حب وحنان الأب والأم في وقت هم بامس الحاجة الى ذلك ومن اجل اخفاء هذه الحقيقة عنهم وازالة الشعور بالحرمان الذي كان عالقا في اذهانهم . لم يكن بالأمر

---

* زوجة السر روبرت برلي مدير كلية ايتون السابق واستاذ زائر في التربية في جامعة وت ووترساند.

الهين على أم تعيش في حرب مستمرة مع السلطة . فلم استطع منحهم الأمان وبيتنا امتداد لمركز الشرطة التي كانت تخيف الاطفال وترعبهم بزياراتها المتكررة كل يوم . فلم استطع تبديد مخاوفهم لأنني كنت من غير حماية. لقد قالت لي زندزي مرة : "هل انت حقا أمنا ؟ أو انك مربية استأجرك لنا والدي لرعايتنا ؟" انها غير ملامة في تفكيرها وقد لاحظت فارق السن بيننا. فوالدها كما تراه في الصور رجل كبير مهيب وانا بنت صغيرة لاتجد فيها صورة للام الحقيقية .

لقد كبر الاطفال بعيدين عنا، كبروا مع الاصدقاء. كانوا يعلمون اننا نحبهم ونعبر عن حبنا واهتمامنا بهم بالتفويض وعن طريق الاصدقاء . فلم يكن وفي اي وقت او مرحلة من حياتهم ما يؤكد بانهم سيعيشون مع احد الابوين او مع كلاهما.

وعلى الرغم من انني لم ادخل السجن باختياري غير ان ذلك لايقلل من شعوري بالذنب بأنني لم اقم بواجبي كأم . ويبقى السؤال يتكرر في الذهن ايهما يأتي بالدرجة الاولى الاطفال ام النضال من اجل الشعب ؟ لقد اخترنا الشعب .

ضيعت فرص عمل كثيرة وتنقلت في العمل من مكان الى اخر من محل لبيع الاثاث الى محل التنظيف الجاف الى مكان تصليح الاحذية... الى غير ذلك من المحلات. كانت فرص العمل كثيرة غير ان البوليس يذهب الى المحلات لمنعها من تشغيلي بالتهديد والتخويف . لقد قال لي صاحب احدى المحلات : "ان في استطاعتك البقاء في عملك مدى الحياة اذا طلقت زوجك ." هذا ما كان البوليس يطلبه منهم ومني .

لقد حفظت على ظهر قلب جميع الاسئلة والاستفسارات التي يلقيها علي ارباب العمل وآخرها: "ماذا عن نشاطك السياسي؟" فيكون جوابهم المتوقع لي : "متأسفين انك اهل للعمل غير ان

مواقفك السياسية لاتسمح بتوظيفك . "

لذلك كان من المستحيل الاحتفاظ باي عمل لأنني كنت اواجه دائما خطر التوقيف والسجن . كما كان من الصعب علي مراعاة اوامر الحظر وهذا ما يؤدي الى الاحكام المؤجلة التي هي اصعب من الاحكام الاعتيادية . ففي سنة ١٩٦٧ مثلا صدر بحقي حكم مؤجل لمدة ١٢ شهرا وقد تم توقيفي مرة اخرى بنفس التهمة خلال هذه المدة وهكذا .

كنت في الستينات غارقة في النشاط السياسي على الرغم من انني لم اقم بذلك بشكل علني . كنا نقوم بتوعية الشباب وكنا نلقي عليهم - وقد قسمناهم الى مجاميع صغيرة - محاضرات في التاريخ من اجل تثقيف الشباب بالفكر السياسي الحديث ومن اجل البقاء على اتصال دائم معهم .

البنتان زندزسوا وزيناني (مانديلا)

تقول زندزي البنت الصغرى : "لدي ذكريات مدهشة عن طفولتي . عندما تغيب امي عن البيت يقوم خالي او احد اخوالها برعايتنا والبقاء معنا لمنحنا الأمان واضفاء شعور عائلي . وعندما تكون امي معنا تعطينا الكثير من الرعاية والحب الى حد الافساد. ربما لأنها تشعر بالذنب لغياب والدي وغيابها هي وتريد بذلك التعويض عن دور الأب والأم. اتذكر تهويدات الزوسا التي كانت تغنيها لنا في المساء . فهي أم واخت وصديقة. عندما كبرنا كانت تجلس معنا وتناقشنا بمشاكلنا بشكل يعكس تفهمها لمشاكلنا. لهذا ارى بانها باحثة اجتماعية ممتازة. كما انها تلعب مع اطفالنا دور جدة رائعة. فهي تلعب معهم وتتمرغ على العشب

وترمي بهم في الهواء. لأمي مبادىء كثيرة ولا أدري من اين ابدأ. وليس لها معايير ثنائية بل تعمل بموجب مبدأ واحد وصريح. لقد رمت بدواء القلب الذي وصفه لها الطبيب بالمرحاض لأنها تؤمن بالرياضة والطعام الصحي. فهي تهتم بصحتها ولاتأكل الا ما هو مفيد . ولهذا استطاعت ان تحتفظ بشبابها. تفخر بلباسها الشعبي لاسباب خاصة خصوصا عندما تظهر في المحكمة! اما في البيت فانها تلبس القميص القطني (تي شرت)وبنطلون الجينز . وهي كذلك تهوى البزة العسكرية . فلديها بدلة خاكي مع بيري وجزمة رجالية . اعتقد انني ساهديها مسدس اطفال و زمزمية كالتي يحملها الجنود ليكتمل الزي العسكري من اجل ان تظهر فيه في المحكمة !

انها لطيفة ورقيقة غير انها تصبح امرأة مختلفة عندما تدخل في عارك مع البوليس ويصبح مزاجها حادا وشرسا . كانت تبعث فينا العزيمة والقوة . اتذكر انني بكيت مرة عندما حكم عليها بالسجن في ١٩٧١ فلما خرجت قالت لي "عليك ان تكفي عن البكاء لانك تريحيهم عندما تفعلين ذلك." لو عاش انسان مع شخص مثل امي لتعلم كيف يحيا من غير خوف فانا اجد نفسي قوية ومحصنة تماما امام هؤلاء الاشرار وامام تهديداتهم وساستمر على نشاطي وما اقوم به .

سمح لها مرة لزيارتنا في اورلاندو في عطلة نهاية الاسبوع فجاءت قوى الامن للتأكد بانها تركت اورلاندو الى براندفورت في الوقت المحدد. فاقتحموا البيت بشكل مفاجىء فهاجمهم كلبنا وبدأوا يطلقون النار غير انني تجاهلتهم واستمريت بنشر الملابس التي كنت قد بدأت بنشرها قبل وصولهم . اصبحوا الآن يطرقون الباب بجلبة كبيرة أو يرمون الحجارة على سقف البيت قبل اقتحامه . وعندما يهددون او

يسمعوننا اشياء شائنة عن طريق الهاتف اغلقه بوجههم بكل هدوء. تقول الابنة زيني معقبة: كثيرا ما كانوا يتصلون بي في المدرسة في سوازيلاند يخبروني بانهم القوا القبض على امي. فاجبهم " لايهم "كان ذلك من اصعب الامور عندما كنا اطفالا. كان اصدقاؤنا يخافون زيارتنا في اورلاندو اذ انهم القوا القبض على بعض من هؤلاء الاصدقاء بعد ان قاموا بزيارتنا. كان زوجي احد هؤلاء الذين كانوا يزوروننا من غير خوف وقد ساعدني ذلك كثيرا."

عندما قالت وني مانديلا بان لاطفالها الحرية في اختيار الكفاح كانت على ثقة بانهم سيختارون هذا الطريق. تقول زندزي بهذا الصدد: " لقد عانيت كغيري من الاطفال السود لذا فانا أرى بأن علي واجب اقوم به في مجتمعي ولا علاقة لذلك في كوني ابنة مانديلا. لا افهم كيف يستطيع اي فرد اسود يعرف مصدر معاناته ويقف متفرجا على مايجري. انا على استعداد للكفاح من اجل نيل حقوقي."

زندزي فخورة بكونها ابنة مانديلا. وقد ساعدها ذلك احيانا وانقذها من مآزق كثيرة. تقول زندزي: " قد يتعرض الفرد في سويتو الى بعض المخاطر في الليل. فعندما يرى الشباب بنتا يقومون بمعاكستها كأن يقولون لها " انت ... تعالي هنا " فعندما اكشف لهم عن هويتي يتغير الموقف ويعتذرون لي عما قاموا به بكل احترام. ركبت مرة سيارة اجرة ولم يكن معي ما يكفي من الدراهم لدفع الاجرة فعندما اخبرت السائق عن ذلك وبعد ان عرفني امتنع عن اخذ الأجرة واستفسر عن والدي ووالدتي واشاد بها وبقوتها على احتمال ما تتعرض له.

اعتقد بان باستطاعة امي المقاومة لان لديها أمل كبير وعزيمة اقوى وهي تعلم جيدا بأنها ليست وحيدة، فالناس

مازالوا يؤمنون بانها زعيمة قادرة ويأتون الى براندفورت من جوهانزبرغ لمشورتها . فهي تمتلك القدرة على جمع الاطراف المشتتة . وبمثل هذه الصفات ستحصل على حريتها وهي واثقة بان الشعب معها وانا فخورة بها ."

مقتطفات من رسائل* نيلسون مانديلا
من سجن روبن آيلاند

من رسالته الى وني مانديلا ١٩٧٦/٤/١٥

عندما استيقظت صباح يوم ٢٥ شباط افتقدك والاطفال كثيرا كالعادة . فانا كثير التفكير بك في هذه الايام كزوجة وحبيبة وام وصديقة ومستشارة . والشيء الذي لايمكنك تصوره هو كيف انني ارسم لك صورة ذهنية مادية وروحية - اتذكر تلك الملاحظات التي كنت اسمعها يوميا والاسلوب الذي تتبعينه في وجه المضايقات وتجاهلها - تلك المضايقات الكثيرة الكافية لاحباط اية امرأة اخرى وشل عزيمتها . انها لتجربة فذة . . اتذكر تلك الدقائق الثمينة التي قضيتها معك ياحبيبتي ، اتذكر حتى اليوم الذي كنت فيه تحاولين بصعوبة قص اظافر رجلك وانت حامل بزندزي . اتذكر هذه الحوادث

---

* لقد حدد حجم الرسائل التي يكتبها ويتلقاها كل السجناء السياسيين بـ (٥٠٠) كلمة على ان تكون مقتصرة على الامور العائلية.

بشيء من الخجل لأنني لم اقم بمساعدتك. كنت ارى حينذاك بان مشاكل الحمل امور عليك مواجهتها لوحدك . وعزائي وانا اتذكر هذه الامور هو ان مسؤولياتي انذاك لم تترك لي الوقت الكافي لمساعدتك ولا حتى التفكير بها . كيف ستكون عليه الحال عندما اعود اليكم ؟ اعتقد بانها ستكون افضل وانت بقربهم ، هؤلاء الذين يكنون لك الحب... بنت رائعة ! واخيرا رجعت الى يونيسا* ماهي مواضيعك ؟ هل تذكرين بانك كنت في نفس الجامعة عندما التقيت بك للمرة الاولى قبل ثماني عشر سنة ؟ ارجو ان يعجبك الكورس ولكن تذكري انني انتظر منك تفوقا انت اهل له. ولكنني قلق عليك وانت تذهبين سياقة بالسيارة في المساء الى المكتبة العامة. كيف تقدمين على مثل هذه المجازفة ؟ هل نسيت بانك تعيشين في سويتو وان مركز المدينة ليس آمنا ؟ لقد كنت على مدى عقدين من الزمن هدفا لمحاولات جبانة على حياتك عندما كانوا يحاولون استدراجك الى خارج البيت ليعتدوا عليك. كيف تمنحيهم الآن مثل هذه الفرصة للتعرض عليك. ان حياتك وحياة الاطفال هي اهم بكثير من الشهادة التي ستحصلين عليها. ارجو ان اسمع برسالتك القادمة بانك تركت موضوع الدراسة وانك ترجعين الى البيت بعد انتهاء ساعات عملك وتبقين مع زيني والآخرين حتى صباح اليوم التالي. ان لجامعة يونيسا ومكتبة الدولة خدمات متنقلة للمراجع والكتب وتستطعين الافادة من هذه الخدمات من غير ان تضطري الى الخروج ليلا من البيت .

---

* جامعة بالمراسلة في بريتوريا.

لايشترط بالمكاسب العظيمة ان تكون معروفة متى ما كانت موجودة وقائمة لدي اصحابها . غير ان هناك جروحا تترك اثارا حتى بعد التئامها . فاذا عدت ولم اجدك في البيت نسوف ابحث عنك لأزف لك البشرى لأن هذا شرف لك وحدك .

ان صورتك معلقة على مسافة قدمين في كتفي الايسر وانا اكتب لك هذه الرسالة . وعندما ازيل عنها الغبار كل يوم اشعر وانا اقوم بذلك انني اضمك الي كما كنت افعل في الايام الماضية . حتى انني المس انفك لاسترد ذلك التيار الكهربائي الذي كان يسري في دمي كلما كنت افعل ذلك. صورة نيوليثا على المنضدة امامي. كيف اكتئب وانا انعم باهتمام مثل هؤلاء النسوة العظيمات ...

احبك بتفاني يا (داليبانكا)

رسالة من نيلسون الى ابنته زندزي

١٩٧٧/٩/٤

ان خيبتك برسائلي القصيرة امر متوقع ومفهوم لأن شعورك يشبه شعوري انا عندما اتسلم رسائل قصيرة أو عندما لااتسلم شيئا من الذين احبهم . فرحت لانك تتلقين دروسا في قيادة السيارة وارجو ان تكوني سائقة يقظة كأمك . ثيمبي* كان يقود الاولدزموبيل الضخمة وهو في العاشرة من عمره غير انك

* الابن الاكبر لمانديلا .

بعد ان تحصلي على اجازة السوق ستكونين احسن مني ومن امك. كانت امك في السادسة والعشرين وانا في الثالثة والثلاثين عندما حصلنا على اجازات السوق . تمنياتي لك ياحبيبتي !

كما انني سعيد بانك محررة عمود " الحب الحقيقي "وانك استلمت الصك الاول من اجرك . ليس هذا بالانجاز البسيط لواحدة في مثل سنك وان اعطاءك مثل هذه الفرصة لفضل كبير من جي .ب ان الكتابة مهنة رفيعة تضع صاحبها في قلب العالم وتبقيه في منزلة عالية . عليك ان تعملي بجد وبهدف واضح وموضوع اصيل مع البساطة في التعبير واستخدام مفردات لايمكن استبدالها او تغييرها . لديك اصدقاء قادرون على مساعدتك في هذا المجال ومنهم بنجي*١ .ان قصيدتك*٢ تبشر بكفاءة وفيها مؤشرات جيدة في هذا الحقل .

كيف اصبحت براندفورت مكانا لطيفا !! لااستطيع تصديق ذلك وبعد ان فقدت امك كل شيء تقريبا. سوف لن تحصل على عمل هناك عدا الخدمة المنزلية او العمل في الحقل او غسل الملابس وسوف تقضي ايامها كلها في الفاقة والفقر. لقد وصفت البيت الذي تعيشون فيه والمرافق الصحية فيه وموارد الماء الذي تستعملونه . اخاف ان اسألها عن المبالغ التي صرفتها من اجل ان تجعل من هذا المكان بيتا لائقا. لا اعتقد بانكم ستستطيعون الحصول على المأكل والملبس كما اعتدتم عليه في جوها نزبرغ وسوف لن تستطيعوا اقتناء تلفزيون او

---

*١ بنجامين بوكر وند رئيس تحرير القسم الاجنبي في صحيفة (راند ديلي ميل).

*٢ نشرت زندزي ديوان شعر بعنوان " سوداء كما انا " في كاليفورنيا.

رؤية فلم سينمائي جيد او الذهاب الى المسرح او اقتناء هاتف .

ونكن مع كل هذا يسعدني ان اسمع ياحبيبتي بانكم استطعتم التأقلم والعيش في هذا المكان بسعادة على الرغم من كل شيء وسررت جدا وانا اقرا عبارة " مكان جميل على الرغم من كل شيء " . وما دامت لديكم العزيمة الحديدية ياحبيبتي تستطيعون الان ان تقلبوا المصاعب الى اشياء مفيدة كما تقولين انت. والا لتحطمت امك لكثرة ما واجهت من مصاعب .

(وعن صديقك) : ان مثل هذه العلاقات الحميمة لا يمكن التحدث عنها او مناقشتها بالرسائل لسبب واحد هو عدم توفر المعلومات التي احتاج اليها لكي ابدي لك النصيحة الصحيحة . ولكن في مثل ظروفنا الراهنة يصعب تجنب مناقشتها بهذا الشكل . يكفي يا عزيزتي ان يحب الاثنان بعضهما باخلاص والبقية عبارة عن تفهم وتعاطف وتأثير كل منهما على الاخر . فالمناقشات الصريحة واللبقة قد تساعد في حل المشاكل الحساسة . دعيني اروي لك هذه الحادثة :

في يوم من ايام السبت وكان ذلك قبل ان نتزوج انا وامك. جاءت امك في الساعة الواحدة بعد الظهر الى مكتبي بصحبة بعض الاصدقاء فوجدتني بانتظار سكرتيرة احد المسؤولين السياسين الكبار الاجانب التي كنت على موعد معها . كانت جميلة جدا مثل امك وبنفس السن تقريبا . لم تكن امك قد تعرفت عليها قبل ذلك. فغضبت امك بشكل عدائي غريب ومسكت برقبتي من الخلف واخرجتني من الغرفة بالقوة علما بانني كنت على درجة من اللياقة البدنية لانني كنت امارس الرياضة بشكل منتظم. ولم ار تلك السيدة مرة ثانية في حياتي ...

والان اصبحت امك الراعية التي تمتلك الصبر والحكمة والروح العالية في تسيير شؤون العائلة وقد صيرت مني رجلا.
فاذا شعرت بعدم وجود اي تحسن حقيقي في علاقتكما فعليك ان تضعي نهاية لها من دون تردد. والشيء الذي عليك التمسك به هو عدم السماح لأي كان ومهما بلغ حبك له استضعافك. وسأصاب بخيبة أمل كبيرة اذا ما حدث ذلك.
لاتذكر انني اتخذت مثل هذا الموقف تجاه امك او تجاه اي من اولادي. كنا نتكلم عن مشاكلنا من مواقع متساوية لذلك لا احتمل اي شخص يتنمر عليك. هل يخفف كلامي هذا من ثقل مشاكلك قليلا ؟
وقد تنهار امك لو تزوجت الان لأنك القشة الاخيرة التي تتمسك بها وهي في خضم بحر من المشاكل. كما ان سعادتك هي في يديك انت. اكرر بان الاولوية رقم (١) هي لدراستك فعليك الحصول على الشهادة الانكليزية مهما كان الثمن. وهذا مانريده لك انا وامك.
هناك لحظات في الحياة ينسى بها الناس مواهبهم الثمينة كبشر وكذلك الفضائل التي تجعلهم يتألقون اينما حلوا ومهما كبرت مشاكلهم فيبدأ هؤلاء بالتردد في اتخاذ موقف معين وهم يشعرون بان عبقريتهم تبدو اقل من المتوسط وان شيئا في داخلهم ينهار فيحول القوى الديناميكية الى مادة ناعمة رخوة كالجلاتين المحصور في علبة. هذا هو المقصود بما يقال بان الحياة ليست بحديقة ازهار.

نيلسون

" لا يمكن ان يتحمل الانسان مثل تلك الاهانات من غير ان يرد عليها "

في السجن

تقول وني : " صرت اكثر تحررا وانا في السجن لأن الانسان يشعر بالرضا وهو يرى التشابه بينه وبين معتقداته التي يتكلم عنها من على المنابر . انا لا اقصد بان من الافضل ان يسجن الانسان غير ان ظروفنا الراهنة تثير الاستفسار : ايهما افضل السجن الخارجي الكبير ام السجن الداخلي الذي نحن فيه . ان الانسان الاسود سجين في بلده من غير ان يقترف ذنبا عدا جريمة اللون والعرق وانه عندما يسجن يدرك في الاقل سبب وجوده في السجن كما يدركه هؤلاء الذين اتوا به الى السجن . فمن الافضل ان يسجن الانسان بسبب ارائه وعقيدته من ان يبقى حرا في سجنه الكبير يتكلم عنها من على المنابر . "

الحجز والمحاكمة - ١٩٦٩

في مايس ١٩٦٩ احتجزت السلطة وني مانديلا ومعها واحد وعشرين رجلا وامرأة في حملة شاملة شنتها الحكومة بموجب قانون مكافحة الارهاب . بقت في الحجز لمدة ٤٩١

يوما قضتها في حجز انفرادي وحكم عليها وعلى جميع المحتجزين بتهمة ترويج اهداف ومبادىء منظمات محظورة بموجب قانون مكافحة الشيوعية وادعت السلطة بان المتهمين عملوا معا وبهدف واحد لأعادة تنظيم وبناء المؤتمر الوطني الافريقي وهم يعلمون بان الهدف الاساسي للحزب هو الاطاحة المسلحة بالسلطة الحاكمة. ومن بين التهم التي وصل عددها ٩٩ تهمة السلام الوطني الخاص بالحزب والاناشيد الوطنية وتنظيم اعضاء جدد وحيازة مطبوعات والعمل على افساد الشباب بمبادىء الحزب .

لم تكن افادات الشهود الذين اتت بهم السلطة مقنعة اذ كان من الواضح بانهم تعرضوا للتعذيب من اجل الحصول على شهادات التجريم . لقد سحبت السلطة جميع الاتهامات وصدر الحكم في ١٦ شباط ١٩٧٠ باطلاق سراح وني مانديلا وجميع المتهمين معها .

وبينما كانوا يتهيأون لمغادرة المحكمة احتجزوا مرة اخرى بموجب الفقرة ٦ من قانون الارهاب . ولم يطلق سراحها وال ١٩ متهما الا في حزيران بعد حملات احتجاج كبيرة. كانت التهم الموجهة اليهم هذه المرة هي تكرار لتلك التي اتهموا بها من قبل تبرئتهم في ١٦ شباط ١٩٧٠ ومرة اخرى وفي ايلول ١٩٧٠ صدر الحكم ببرائتهم .

وبظرف اسبوعين صدر امر الحظر على وني مانديلا لمدة خمس سنوات وحددت اقامتها في الجانب الغربي من اورلاندو وبالاقامة الاجبارية في بيتها في الليل وفي عطلة نهاية الاسبوع والعطل العامة . لقد جاء التبليغ بالحظر في الوقت الذي كانت تتهيأ فيه

لزيارة زوجها في سجن روبن أيلاند بعد انقطاع سنتين عن زيارته .

تعرضت في السنوات اللاحقة الى اعتداءات متكررة على حياتها وممتلكاتها : اقتحم احد المسلحين فناء الدار وفي مناسبة اخرى القيت على البيت قنبلة نفطية من النافذة وفي اخرى قتل كلبها بالسم . كما اقتحم رجال ثلاثة بيتها بالقوة وحاولوا خنقها . لقد ناشدت ابنتها زندزي الامم المتحدة وطلبت الايعاز الى حكومة جنوب افريقيا بالمحافظة على حياة امها .

في السجن

تقول وني :

" اوقفت في ١٢ مايس ١٩٦٩ والتوقيف يعني طرقة على الباب في منتصف الليل عندما يكون كل شيء من حولك ساكنا . كما انه يعني تسليط الاضواء الكشافة من نوافذ البيت ومن جميع جهاته في نفس اللحظة التي يقتحم بهاالباب بالرفس . ويعني ايضا صلاحية رجال الامن بقراءة كل رسالة في البيت وتصفح كل كتاب على الرفوف وكذلك رفع السجاجيد وتفتيش الاسرة وما تحتها ويعني ايضا ايقاظ الاطفال من النوم لتفتيش اسرتهم وما تحت الشراشف، ويعني ايضا تذوق السكر والطحين وكل التوابل في المطبخ كما يعني تفتيش الملابس وجيوبها ومن ثم القاء القبض علي في الفجر تاركين الاطفال المتشبثين بي يصرخون ويتوسلون ان يترك هؤلاء الرجال امهم.

كنا أول السجناء الذين سجنوا بموجب الفقرة ٦ من قانون

الارهاب*. وكان ذلك في سجن بريتوريا المركزي . في زنزانتي حاجز من القضبان الحديدية وباب في الوسط وحاجز آخر من القضبان خارج الزنزانة . وبموجب ما سمعت وما قرأت ادركت بانها زنزانة الموت . لم أكن اعرف انني سجينة مع عدد آخر من السجناء في المبنى نفسه . كنت اظن انني هنا وحدي ولمدة اشهر طويلة غير انني علمت بعدئذ بان الشعب كله قد حبس هنا! كنت اسمع من بعيد صوت سعال بين الفينة والاخرى او صوت خافت عند فتح او قفل الابواب.

ان ايام السجن الاولى اصعب من اي شيء في حياة الانسان عندما تنتابه حالة من الشك وفقدان الأمان والشعور بالخيبة والنهاية. لقد خططوا كل شيء من اجل تحطيم السجين جسميا ومعنويا وهو يعلم بانهم قادرون على ابقائه في هذا المكان لخمس سنوات وهو معزول تماما عن العالم وليس في الزنزانة الا دلو يستخدم بدل المرحاض وقنينة بلاستيكية فيها ما يكفي لثلاثة اقداح من الماء وقدح للشرب .

قد يأتون احيانا بدلو بلاستيكي من الماء للاغتسال غير انهم لا يوفرون الماء لغسل الثياب . والاواني التي ينقلون الماء فيها هي نفس الاواني التي تستخدم كمرحاض لأن

---

* ان قانون مكافحة الارهاب رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٧ يمنح البوليس في جنوب افريقيا صلاحية توقيف اي شخص يشتبه انه يقوم باعمال تعرض القانون والنظام للخطر او التآمر أو التحريض على القيام بمثل هذه الاعمال. لقد وضع النظام وبشكل يعرض كل معارض لنظام الحكم في جنوب افريقيا للحبس. فيحتجز للاستجواب في سجن انفرادي من غير ان يسمح له بالاتصال بمحامي او قريب لمدة غيرمحددة ولايستثنى الاطفال من ذلك.

رائحتها كريهة جدا . فهم لايغسلونها جيدا قبل نقل الماء بها لذلك كنت استعمل ماء الشرب في القنينة البلاستيكية لغسل وجهي كما استعمل لباسي الداخلي لغسل جسدي لعدم توفر غير ذلك . ولم يكن لدينا غير اوراق التواليت نستعملهااثناء الحيض واذا ما طلبنا لفائف صحية يكون جوابهم : " استعملوا اياديكم القذرة. " توجد حصيرة للنوم وثلاث بطانيات قذرة كنت الف احداها واستخدمها بدل الوسادة واترك الاثنين للنوم وللغطاء .

طالت علي الايام والليالي حتى صرت اكلم نفسي لأن الصمت مميت وقاتل - وفيه وحده عذاب . اذ لا يعرف الانسان ماذا يفعل بنفسه . يجلس تارة ويقف تارة اخرى ثم يسير قليلا بما تسمح به تلك المساحة الصغيرة للزنزانة . ينام على بطنه؛ وعلى ظهره وعلى جانبيه فيؤلمه النوم لأنه غير معتاد على النوم على الارض الاسمنتية القاسية . ساعدتني التمارين الرياضية على الاستمرار. تلك التمارين الخاصة بالقوة الجوية الكندية للنساء التي تعلمتها وبت لا استطيع العيش بدونها .

فرحت كثيرا عندما وجدت نملتين وانا افتش عن شيء داخل الزنزانة وقضيت ساعات النهار كلها معهما اضعهما على راحة يدي وهما تجريان بين اصابعي وحزنت عندما اطفأت السجانة الضوء عند حلول الليل . ولأن بناء السجن قديم جدا فان الظلام يخيم عليه في الليل والنهار . ولعدم وجود شيء اخر افعله بدأت بفتق البطانيات وسحب خيوطها وعمل حبال صغيرة منها افتلها ثم افتحها ثم افتلها ثانية وهكذا . بعدها فتقت حافة ثوبي لاشغال نفسي بشيء مهما كان ذلك الشيء .

لم استطع النوم بسبب الارق الذي اعاني منه لسنوات

طويلة. حتى ان سوانبول* الذي قام باستجوابي مرة طوال ساعات الليل اشار الى هذا الارق قائلا : " نحن نحاول ان نوفر لك رفقة تتلهين بها لانقاذك من الارق وانت غير راضية ولا شاكرة ".

والتفتيش يجري كل يوم . تدخل سجانتان وتأمرانك بالوقوف ثم تقومان بخلع ملابسك قطعة قطعة ثم تفتشان الاحذية وانت امامهما عارية تماما . ثم تفتشان الملابس الداخلية وقطع الملابس الاخرى ولاتتركان اي خيط او درزة فيها من غير تفتيش . وبعدها تفتشان الشعر والمناطق الاخرى في الجسم وقد ذهبوا مع غيري من السجينات الى حد فحص المناطق الحساسة كالمهبل ولكنهم لم ينجحوا في ذلك معي او مع الرفيقات اللواتي كن سجينات معي ايضا . وقد يستغرق التفتيش ضعف المدة عندما يسمحون لي بتسلم غيارات الملابس من بعض الاقرباء .. ان في هذا اذلال كبير الى جانب الوحدة التي عانيت منها في السجن الانفرادي .

غضبت كثيرا وفكرت في وضع نهاية لحياتي احتجاجا على ذلك غير انني ادركت انني انما اقوم بعمل تجاه فئة من البشر لا ضمير لها ولا تعير اهتماما لمثل هذه الاحتجاجات

بدأ التحقيق معي يوم الاثنين وارجعوني الى زنزانتي مساء يوم السبت اي انهم استمروا بالتحقيق معي على مدى خمسة ايام بلياليها . واتذكر انني في الليلة الخامسة اصبت بحالة من الاعياء والاغماء ولعل هذا ما انقذني. ادركت

---

* واحد من اعنف المحققين في قوى الامن. وقد صرح احد الموقوفين الذي استجوب من قبله بأنه تعرض للتعذيب .

حينها وللمرة الاولى بان للطبيعة احكام ووسائل تعين الجسم عن طريقها في التعويض عما يسببه الارهاق . لقد ارجعوني الى زنزانتي في الفترة التي كنت فيها فاقدة الوعي . لقد تورم جسمي وبدأت انزف . هناك اوقات معينة يسمح لنا فيها استخدام المراحيض لفترة قصيرة جدا على ان ترافقنا السجانة داخل المرحاض .

انهم يعطوننا ما نأكل غير ان الانسان لا يستطيع الأكل تحت هذه الظروف كما ان الاكل ليس بالشيء المهم . كانت هذه تجربة قاسية لانني تركت خلفي اطفالا وهم نيام في اسرتهم ولا ادري ما صار من امرهم .

كان التحقيق والاستجواب عن نشاطات المؤتمر الوطني الافريقي المحظور وعن الاتصالات الشيوعية الخارجية التي يدعون باننا نمارسها . كنا نقوم بالطبع بنشاطات هي من حق المواطنين في البلدان الديمقراطية كالاجتماعات التثقيفية غير الرسمية التي هي من الاشياء المسموح بها في جميع بلدان العالم وليس فيها شيء يخالف القانون . لقد قاموا باستجوابي واستجواب ريتا ندزانكا بعد ان فرغوا من استجواب الاخرين من الموقوفين . ولما كنت وريتا قد حكم علينا بالحظر فان مثل هذه الاتصالات والنشاطات امر مخالف لاوامر الحظر . استمر الاستجواب لساعات طويلة عن بعض السيدات اللواتي قدمن المساعدة في نشاطاتنا وكلهن عضوات في اتحاد نساء جنوب افريقيا وقد اودعن السجن منذ ١٩٦٠ ولم يسمح لهن باستقبال الزوار من الاهل والاصدقاء وهذا تكتيك قديم يتبعونه حيث يودع الناس السجن من غير ان تعرف عوائلهم اسم ومكان سجنهم .

ومن الاشياء التي كنا نقوم بها هو محاولة معرفة مكان السجن لكي نرسل للسجينات بعض الضروريات كالصابون ومعجون

الاسنان واوراق التواليت - كلها اشياء تخفف بعض الشيء من قسوة السجن الى جانب الاشياء الصغيرة الاخرى التي افتقدتها منذ سنوات. كنا نرسل هذه الاشياء مع من يدعي بانه قريب وعندما تستحيل المقابلة كنا نرسل لهم رزم بريدية بأسم احد اقربائهن . وبمساعدة الكنيسة الانكليكية جمعنا التبرعات لعوائلهن لدفع اجور مساكنهن طوال فترة السجن . ان مثل هذه الخدمات المجانية اشياء طبيعية وشرعية في بلدان اخرى. غير انها في هذا المجتمع المجنون تتم بسرية. وقد اصر المحقق على انها اشياء مستوحاة من الشيوعية وعلى اننا كنا نمرر بواسطتها رسائل وتوجيهات سرية . لقد تعرضت ريتا للتعذيب الشديد وكانت على وشك الموت .

عندما استجوبني سوانبول ذكر لي اشياء فظيعة مثل : "لقد انتهى امرك وانت الان ممزقة ومنهارة . يعتقد الناس بان نيلسون رجل عظيم . يعتقدون بانه أدخل السجن بسبب التضحيات التي قام بها من اجلهم . فلو كان لي زوجة مثلك لفعلت ما فعله نيلسون - ادخل السجن لحماية نفسي منك . لقد هرب نيلسون منك انت . فاي صنف من النساء يعقد اجتماعات حتى الساعة الرابعة صباحا مع ازواج الاخريات من النساء ؟ انك المرأة الوحيدة التي تقوم بمثل هذه الاعمال الشائنة. "

ثم يريني شهادات يزعم ان بعض هؤلاء الازواج افاد بها تتهمني بعقد اجتماعات مع خمسة او ستة رجال مرة واحدة في غرفة نوم نيلسون .

كانت تلك الايام عصيبة لا اريد ان اتذكرها . كما انني كنت مريضة عندما ادخلوني السجن وكنت مصابة بالأرق الذي استمر معي وانا في السجن وقد يمر يوم كامل بنهاره وليله لاانام فيه ابدا . ومن الاشياء التي كنت اشغل نفسي بها قشط

الدهان من الحائط باظافري . وقد فوجئت مرة وانا افعل ذلك بعبارة مكتوبة تحت الدهان استطعت قراءتها : " السيدة مانديلا خائنة "

ثم يسألني سوانبول : " ماذا تقاومين وانت عارية سياسيا ؟ " ويعني بانني وحيدة وقد جردت من رفاق النضال. ثم اردف يقول: " لقد نجحنا في افهام الناس بانك تعملين لحسابنا وسيان عندنا ان فعلت ذلك أو لم تفعلي . هل ترغبين في ذلك لكي نستطيع اخلاء سبيلك ؟ "

كنت استطيع ان اخرج من السجن في الشهرالأول من الاشهر السبعة عشر التي قضيتها في السجن الانفرادي لو قبلت بهذه العروض التافهة . لقد عرضوا علي ان اتعاون معهم واذيع لقوات المؤتمر الوطني الافريقي التي ترابط على الحدود نداءات بالتراجع ونزع السلاح والتفاوض مع الحكومة وكان هذا شرطا للافراج عني . كما انهم وعدوا بأخذي بطائرة عمودية الى نيلسون مع رجال أمن برتب عالية من اجل التفاوض السري معه وبعدها سينقل بعيدا عن السجناء الآخرين الى الكوخ الذي أقام فيه روبرت سوبكوي على هذه الجزيرة حيث سيعيش في ظروف مريحة . غير انني اعلم ان زوجي سيعاني كثيرا في هذه الظروف (المريحة). وظلوا طوال مدة التوقيف يحاولون معي طارحين مثل هذه الاغراءات التي تفسر ضيق افقهم وتفكيرهم . بعد ان قضينا احلى سنين حياتنا في النضال لا زالوا يتصورون ان مبادئنا هي للبيع ! حتى وان لم يبق احد في هذا البلد ممن يدافع عن الحق سيبقى النضال قدري كما هو قدر غالبية السود في هذه الارض . الكثيرون يسجنون بلا ذنب : يحتجز الآلاف منهم كل يوم لا لشيء الا لأنهم يرغبون العيش سوية كعائلة واحدة . فانا محظوظة لأن لدي محامي دفاع يعملون المستحيل من اجل

اثبات برائتي في المحكمة.

نسيت ان اذكر ان لدي انجيل سمحوا لي به لأنه وثيقة غير مهمة في مثل تلك الظروف ! قرأته اربع مرات ولم أكن اتصور ان بالامكان قراءته من البداية حتى النهاية .

ان الطريقة التي حصلت فيها على الانجيل من المفارقات الساخرة التي تحدث كل يوم . كلنا يعلم مدى تعصب الافريكانيين الديني لقد جاء احد رجال البوليس يوما ، دفع الباب ووقف عنده ثم رمى الانجيل الذي سقط بالقرب من قدمي قائلا بسخرية: "توسلي الى الله ان ينقذك من السجن !"

فالانجيل حتى بالنسبة لغير المتعصبين دينيا شيء يوحي بالاحترام والتقديس . وهذا الرجل الذي ينتمي الى اناس معروفين بتعصبهم الديني يسخر من الله الذي اختارهم كما يعتقدون ليكونوا حكام هذه البلاد ويسمون انفسهم بشعب الله المختار فهم عندما يضطهدوننا يفعلون ذلك باسم الله وباسمه رمى لي هذا الشرطي الانجيل بهذا الشكل وهو نفسه الذي يقف على منبر الوعظ كل يوم أحد ليعظ الناس باشياء لايؤمن بها . ان رجال الشرطة هنا بشر من صنف معين . فلا بد ان يحملوا حقدا وكراهية للسود بشكل متميز والا كيف يستطيعون تعذيب الناس الى حد الموت من اجل خلافات ايديولوجية ؟ كيف يستطيع اي منهم توجيه بندقية رشاشة على رأس طفل في السابعة من العمر من غير ان يكون في قلبه ما يدفعه الى ذلك ؟ لا بد ان يكون هؤلاء من صنف معين ، صنف اعرفه جيدا صنف جعل الحياة مستحيلة وعلمني الحقد والكراهية!

هذا لاينطبق على كل افريكاني وانما على تلك الفئة التي تضطهد شعبي . انهم يخافون من الرجل الاسود واصبحوا من شدة خوفهم سجناء ذاتهم . فالسجانات مثلا سجينات اكثر منا وهن

بلباسهن الرسمي القذر يقمن بمراقبتنا ساعات طويلة من الليل الى النهار فأي نوع من البشر يصلح لمثل هذه الوظائف ؟ وعندما تحاول التحاور معهن باللغة الانكليزية تثير ثائرتهن لانهن لا يعرفن كلمة انكليزية واحدة ولا حتى التحية. وقد لا تجد بين السجينات السياسيات سجينة واحدة تتكلم الافريكانية الأمر الذي جعل الاتصال معهن امرا مستحيلا وهذا قد يؤدي الى الانهيار التام بالنسبة للسجينات .

لم يسمحوا للحارسات الافريقيات الاقتراب منا لأن هذا يقتصر على الافريكانيات فقط .

عندما يجلبون لنا فطورنا الذي يتكون من العصيدة نعرف حينها ان الصباح قد حل . فهم يجمعون دلاء الكنيف الصحية ويرجعونها بعد تفريغ محتوياتها من غير غسل او تعقيم . يقلبون غطاءها ويضعون فوقه صحن العصيدة . فالسجينة لا ترى الا ساقا بيضاء تدفع الدلو (المرحاض) وعلى غطائه صحن الطعام الى الداخل .

هذا بالاضافة الى ان الطعام يوضع خارج الزنزانات لفترة من الزمن وعند وصوله الينا يكون قد تزين ببراز الطيور والعصافير. كيف يمكن ان ياكل الانسان مثل هذا الطعام ! نحن لانحصل على الطعام المخصص للملونين الاخرين والهنود. فهؤلاء يعطون الشاي والقهوة والخبز والسكر.اما نحن البانتو فنعطى العصيدة من غير سكر وشراب اسود مليء بالكتل والعقد هي القهوة كما يدعون . والمفروض ان يكون طعام الغداء افضل من الافطار غير ان الخضر كالسبانخ والجزر تأتينا وكأنها جاءت توأ من الحقل قذرة وغير مغسولة ومن الصعب بلعها . اما طعام العشاء فيتكون من العصيدة التي تأتينا سابحة بالدم ربما لأنهم استخدموا القدر المخصص لغلي اللحم قبل طبخ العصيدة .هذا ما دفعنا

الى الاضراب عن الطعام لمدة اسبوع وقد تم ذلك بواسطة الضرب والقرع على الجدران واحداث ضجة لأننا لم نستطع الاتصال مع بعضنا من اجل الاتفاق على مثل هذا الاضراب .

حاولنا تقديم الشكوى عن طريق الاطباء الذين يأتون لزيارتنا بين الحين والآخر غير ان زيارتهم تتم بشكل لا يمكننا من ايصال شكوانا لهم . فهم يفتحون الباب ويلقون نظرة سريعة خاطفة ويسألون: " اي شكوى! " ثم يغلقون الباب ثانية من غير ان ينتظروا الجواب من السجين. واذا ما بادرت بالاجابة بسرعة يكون الطبيب على بعد عشرة خطوات من باب الزنزانة .

لقد عانيت كثيرا من سوء التغذية فشحب وجهي واصبت بنزف في اللثة من قلة الفيتامينات. فخارت قواي ولم يعد باستطاعتي الوقوف واصبت بالحمى وفقدان الوعي . ولم استطع الحضور الى المحكمة في تشرين الأول الأمر الذي اجبرهم على نقلي الى مستشفى السجن .

لقد تحسنت الظروف قليلا بعد ان رفع محامو الدفاع شكوانا الى المحكمة . طلب المحامي جورج بيزوز من المحكمة توفير الحمام لنا في السجن اذ اننا بقينا من غير حمام او اية وسيلة اخرى لغسل اجسامنا طوال مدة السجن .

لم يحصل تحسن في الأكل نتيجة اضرابنا عن الطعام غير انهم سمحوا لنا بتسلم الأكل من الاهل والاقرباء . واستمرت ادارة السجن في اذلالنا ومن غير توقف.اروى لك هذه الحادثة: قبل ذهابي الى المحكمة جلب لي بعض الاقرباء بعض الملابس والحاجيات الضرورية الاخرى التي تركتها في الزنزانة عند ذهابي الى المحكمة . وعند رجوعي وجدت الحقيبة قد افرغت من محتوياتها وقد فتحت فوهات معجون الاسنان والمواد الصحية الاخرى كدهان الوجه وافرغت

محتوياتها على الملابس التي كانت مبعثرة على الارض وبالطبع لم يكن باستطاعتي ازالة هذه المواد عن الملابس اذ لا مجال لغسلها او كويها .فوقفت عند الباب انظر بحزن الى ما فعلوه . وبعد دقائق بدأت حملة التفتيش والتعرية الاعتيادية . فما ان رأيت المسؤولة عن ذلك الا وشعرت بالدم يغلي في عروقي واصابني شعور كالذي اصابني عندما دخل علي الشرطي وانا في غرفة نومي . فهجمت عليها ولا أدري كيف استطاعت الافلات والهرب مني . لا أحد يستطيع التعرض الى مثل هذه الاهانات والاذلال من غير ان يرد عليها بشكل او بأخر .

لم يعد بمقدورهم الاستمرار على تحمل اعمال التخويف واهانة من هم مثلي . ففي سنة ١٩٧٤ وعندما حكم علي بالسجن لمدة ستة اشهر في سجن كرونستاد التقيت بسيدة وهي واحدة من رموز المقاومة تدعى دوروثي نيمبي* وهي صديقة حميمة لنيلسون .ان وجودي في السجن مع سيدة حكم عليها بالسجن لمدة خمس عشرة سنة وهي بمثل هذه الشجاعة تجربة فريدة بالنسبة لي. فهي مسيحية تقية ورعة تمتلك العزيمة واية عزيمة ! لقد كانت عندما التقيت بها قد تجاوزت الخمسين من عمرها فوجدتها دعامة قوية . كانت في السجن منذ سنة ١٩٦٨ اي قبل ست سنوات ولكنها كانت لاتزال تحتفظ بعزيمة قوية لم تؤثر فيها سنوات السجن و لاتزال تحمل الروح العالية التي

---

* السجينة الافريقية السياسية التي قضت في السجن اطول مدة قضتها سيدة حكم عليها بالسجن لايوائها فدائيين من (امكهونتو وي سيزوي) اخلي سبيلها في ٢٦ اذار في ١٩٨٤.

جاءت بها الى السجن . فهي من الابطال الكبار وامرأة عظيمة كان لها الاثر في تحويلي الى ماانا عليه.

صرت اكثر تحررا وانا في السجن لان الانسان يشعر بالرضا وهو يرى التشابه بينه وبين معتقداته التي يتكلم عنها من على المنابر . لا اقصد ان من الافضل ان يسجن الانسان غير ان ظروفنا الراهنة تثير الاستفسار :ايهما افضل السجن الخارجي الكبير ام السجن الداخلي الذي نحن فيه . ان الانسان الاسود سجين في بلده من غير ان يقترف ذنبا عدا جريمة اللون والعرق. وانه عندما يسجن يدرك في الاقل سبب وجوده في السجن كما يدركه هؤلاء الذين اتوا به الى السجن . فمن الافضل ان يسجن الانسان بسبب ارائه وعقيدته من ان يبقى حرا في سجنه الكبير يتكلم عنها من على المنابر. "

رفيقة سجينة تتكلم عن وني مانديلا

اودعت ريتا ندزانكا سجن بريتوريا المركزي سنة ١٩٦٩ وهي معروفة بنشاطاتها السياسية في المنظمات النسوية واتحادات العمال لسنوات طويلة تقول. ريتا :

" لم أكن اعلم ان وني مانديلا سجينة ايضا الا عند وصولي الى السجن . كنت اظن انهم القوا القبض علي وعلى زوجي فقط. علمت بذلك عندما قرأت عبارة نشاط وني مانديلا على خزانة كبيرة لحفظ الملفات.

كنا نعاني من سوء المعاملة والضرب . فالمسؤولات يحملن لنا جميعا وخاصة وني البغض والكراهية . كانت وني تقف بوجه ادارة السجن ولا تسمح بضرب السجينات وقد كتبت تقارير

عن ذلك وسلمتها الى محامينا .

في يوم من الايام كان احد الضباط برتبة عميد يحاول الاعتداء بالضرب على احدى السجينات تدعى مارثا دلاميني وهي امرأة كبيرة قد تجاوزت الخمسين من عمرها . فانقضت عليه وني وقالت له: "حاول ان تتجرأ وتلمس هذه المرأة ثانية . تجرأ والمسها ثانية !" قالتها بجرأة وتحد مما جعل الرجل يولي هاربا ومتوعدا وني بالعقاب. اجبته انا حينذاك وقلت له :"عليك الاعتذار من وني لأنها زوجة قائدنا ". لم استطع السكوت عما يحدث وادع اي كان يتكلم مع زوجة نيلسون بمثل هذا الاسلوب . غير ان هذا اثار المسؤولات فجاءت ثلاثة منهن يهددن وني بالعصي :" اذا تكلمت بهذا الشكل مرة ثانية ستنالين منا الضرب "فاجابتهن وني :" حاولن ذلك ايتها البقرات اللعينات !"

ان وني شجاعة وصريحة لا تخاف احدا. شخصية عظيمة ! فهي ومن غير ان تعتمد على مكانة زوجها قيادية بحق وحقيقة.وعلى الرغم من ابعادها الى براندفورت فانها ما زالت تعيش مع الشعب وفي قلبه."

مطاردة ، نفي ، سجن
اتهامات ومحاكمات وني مانديلا للسنوات ١٩٥٨-١٩٨٥

١٩٥٨ اوقفت لاشتراكها في مظاهرة نسوية في جوها نزبرغ احتجاجا على قانون التجوال الحر للنساء . سجنت لمدة اسبوعين .

١٩٦٢ الحظر عليها لمدة سنتين بموجب قانون مكافحة الشيوعية وتحديد اقامتها في جوها نزبرغ .

١٩٦٣ اوقفت لحضورها اجتماع (وهذا مخالف لأوامر الحظر) واطلق سراحها بعد التأكد من براءتها .

١٩٦٥ الحكم بالحظر الشديد عليها لمدة خمس سنوات وتحديد اقامتها في المستوطنة السوداء في اورلاندو. كان نتيجة ذلك فصلها من عملها في مركز رعاية الطفل.

١٩٦٦ فرض قيود اضافية عليها ومنعها من كتابة او تجميع او نشر او طبع او توزيع اية وثيقة او كتاب او كراس او سجل بياني او ملصق او صورة ...الخ.
اتهمت ايضا بمخالفتها اوامر الحظر عند زيارتها لزوجها السجين في روبن آيلاند وذلك لأنها سافرت بالطائرة بدلا من السفر بالقطار لكي تستطيع زيارته قبل انتهاء المدة المرخصة لها.

١٩٦٧ اوقفت بتهمة مقاومة التوقيف الذي نتج عنه كسر في رقبة الشرطي الذي جاء لتوقيفها (لم تكن الاصابة مميتة) واخلي سبيلها لبراءتها .

١٩٦٧ اتهامها بمخالفة اوامر الحظر وذلك لا متناعها عن اعطاء اسمها وعنوانها للشرطة في كيب تاون .

١٩٦٩ الحجز عليها (مع ٢١شخص) بموجب قانون مكافحة الشيوعية واتهامها بترويج مبادىء واهداف المؤتمر الوطني الافريقي. طردت من عملها نتيجة لذلك ثم اعلنت براءتها في شباط ١٩٧٠.

١٩٧٠ وقبل تركها المحكمة بعد براءتها من التهمة المذكورة اعلاه القي القبض عليها مرة ثانية واودعت في سجن انفرادي بموجب الفقرة ٦ من قانون مكافحة الارهاب وبنفس التهمة اعلاه. اطلق سراحها في ايلول ١٩٧٠ وبقيت من غير حظر لمدة اسبوعين.

١٩٧٠ تجديد أمر الحظر عليها لمدة خمس سنوات مع

الاقامة الاجبارية في البيت في الليل وفي عطلة نهاية الاسبوع وفي الاعياد ومنعت من استقبال الضيوف .

١٩٧٠ حكم عليها بالسجن لمدة ستة شهور مع وقف التنفيذ لمدة ثلاث سنوات لمخالفتها اوامر الحظر وذلك لاستقبالها ضيوفا من افراد العائلة (اثنان منهم اطفال دون الخامسة). نقض الحكم بعدالتميز.

١٩٧١ حكم عليها بالسجن لمدة اثني عشر شهرا مع تأجيل التنفيذ لاتصالها بشخص محظور عليه في بيتها ويدعى بيتر ماكوبين. الغاء التهمة والحكم بعد التميز.

١٩٧٣ حكم عليها بالسجن لمدة اثني عشر سنة مع تأجيل التنفيذ لمدة ثلاث سنوات لمخالفتها أمر الحظر وتناولها الطعام مع اطفالها في كومبي بحضور شخص محظور عليه يدعى بيترماكوبين .

١٩٧٤ بعد تميز الحكم المذكور اعلاه في تشرين الأول خفف الحكم الى ستة شهور قضتها في سجن كرونستاد.

١٩٧٥ انتهى امر الحظر الثالث وتمتعت بعشرة شهور من "الحرية" (بعد ثلاث عشرة سنة من الحظر).

١٩٧٦ القى القبض عليها بتأريخ ١٢ آب بموجب الفقرة ٦ من قانون الأمن الداخلي بعد حوادث سويتو . سجنت في (الحصن) في جوها نزبزغ حتى كانون الاول ١٩٧٦.

١٩٧٧ تجديد أمر الحظر عليها لمدة خمس سنوات .

١٩٧٧ ابعادها الى برانـدفورت في اورنج فري ستيت في ١٧ مايس.

٧٧-٧٩ توقيفها مرة او مرتين في اليوم بحجة مخالفتها اوامر الحظر . لم تحفظ لذلك سجلا لانها تعتبره

موقفا خسيسا من السلطة .

١٩٧٨ محاكمتها عن تهمة التحريض على احداث سويتو . اطلاق سراحها ومنحها تعويض عن تشوية السمعة والافتراء .

١٩٨٠ اتهمت بالاعتداء والتطاول على شرطي عند وجودها في جوهانزبرغ. اطلق سراحها بعد تبرئتها من التهمة.

١٩٨٠ اتهمت بمخالفة امر الحظر بايوائها صديق للعائلة في بيتها في براندفورت . اجلت الدعوة.

١٩٨٢ تجديد أمر الحظر لمدة خمس سنوات اخرى .

٨٢- ٨٥ اتهامات عديدة ذات علاقة بمخالفة اوامر الحظر احيل البعض منها الى المحكمة .

كان على وني مانديلا بموجب امر الحظر الصادر بحقها من قبل وزير العدل للمرة الاولى سنة ١٩٦٢ وبموجب الفقرة ١٠ (١) (أ) من نشاط قانون مكافحة الشيوعية رقم ٤٤ لسنة ١٩٥٠ الامتناع عن اي نشاط من شأنه ترويج مبادىء "شيوعية" في جنوب افريقيا. ان استقبال " الضيوف " أو "النشاطات الاجتماعية" هي جزء من قائمة الممنوعات في امر الحظر وذلك لمنعها من اية فرصة للتعاون السري او الاشتراك بنشاط " شيوعي ".

وتحتاج كل قضية وتهمة الى اعداد من المعاجم لتفسير بعض مفردات الكلمات المستعملة مثل "زائر"و "اجتماع" و"حديث"وغيرها من الاشياء التي يسمح بها القانون أو التي هي "غير قانونية ".

وامثلة قليلة من سجلات المحكمة توضح سخف بعض هذه الحالات واوامر الحظر . كانت اكثر هذه التهم تهمل عند الاستئناف والتميز .

ففي المحكمة المحلية في جوهانزبرغ اتهمت وني مانديلا باستقبالها خمسة ضيوف في ٢ تشرين الأول ١٩٧٠ وهؤلاء هم : اختها نوبانتو منيكي وزوجها وطفليهما وكذلك اخو زوجها جلبرت زابا الذي جاء مصادفة لتسلم قائمة الحاجيات التي كانت تريد منه شراءها وكان ذلك في بيتها المرقم ٨١٥ في اورلاندو . كان الحكم الصادر :حبس وني مانديلا لمدة ستة اشهر وهي -الانثى البالغة من البانتو- مع وقف التنفيذ لمدة ثلاث سنوات.

ويقتضي الحكم الصادر بحقها بالاقامة الاجبارية في دارها بموجب قانون مكافحة الشيوعية وعدم "استقبال الضيوف" عدا طبيبها واطفالها. وعند استئناف الدعوة ناقش المدعي العام الموضوع وطلب اعطاء الكلمات "يستقبل" و "زائر" و معانيها الاعتيادية والادبية والنحوية . واصر محامي الدفاع جورج بيزوس على ضرورة تحديد معنى هذه الكلمات كما في المحاكم السابقة . فالمعنى الذي اعطي سابقا لكلمه "يستقبل"هو "ايواء" او "اخفاء" ولكلمة "زائر"الشخص الذي يمكث مع شخص آخر لمدة من الزمن كضيف . ثم أكد الدفاع بأن افراد العائلة الذين يترددون باوقات غير متفق عليها لبيت المستأنفة لم يصنفوا "كزوار" اذا كانت مدة مكوثهم قصيرة وغير مهمة كما في حالة زابا ومنيكي . وبموجب المنطق فان زيارة العمال الرسمية كموزع الحليب وساعي البريد وعامل القمامة وقارىء عداد النور والماء وكذلك الزيارة التي قام بها زابا تقع خارج نطاق هذه الممنوعات والا فان زيارة البوليس الذي يأتي لرصد تحركات وني داخل وخارج البيت تصبح ممنوعة وغير قانونية .

وارذف بيزوس قائلا " بان تفسير القانون يجب ان يتم على اساس الغاية الاصلية التي وضع من اجلها مثل الفقرة

التي تشير الى عزل المتهمة لمنعها من التعاون السري لتشجيع وترويج "النشاطات الشيوعية". فلا يمكن ان نذهب في تصورنا الى امكانية تعريض الأمن للخطر عند استقبال طفلين احدهما في الثانية والنصف من العمر وآخر عمره تسعة اشهر ولا ان يكون لهذين الطفلين نشاط في منظمة غير قانونية. وليس هناك ما يثبت بان السيدة مينكي قد تكلمت الى المتهمة عند مكوثها في البيت وان المتهمة مكثت مع الزوار في نفس الغرفة طوال الوقت.

اهملت الدعوة عند التميز.

ان تفسير الحالات التي يكون فيها الشخص مؤيدا او مروجا او مشجعا او مدافعا عن اي هدف "شيوعي" يتوضح في المحاكمة التالية:

في ٩ تموز ١٩٦٧ لم تخبر المتهمة وني مانديلا قوى الامن عن وصولها الى كيب تاون ولم تزود الرقيب سيكام من شرطة جنوب افريقيا باسمها وعنوانها وفي هذا خطأ وخرق للقانون.

وبموجب سجلات المحكمة تلخص القصة كالاتي:

بعد ان قامت المدعية وني بزيارة زوجها في روبن آيلاند رجعت بالزورق حوالي الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر. وعند نزولها من الزورق سألها الرقيب سيكام عن اقامتها في كيب تاون وادعى بانها اجابته بحدة قائلة: "لماذا؟ من المفروض ان تعرف مكان اقامة السيدة مانديلا اذا كنت حقا من البوليس فانا لااعطي عنواني للغرباء". وعند طلب العنوان مرة اخرى اجابت: "عليك ان تفتش عنه. اتركني ولاتقف في طريقي." ثم سارت بعد ذلك نحو السيارة واتجهت نحو كيب تاون. ووصفها هذا الرقيب بانها كانت في غاية الانفعال والعصبية.

وعلى الرغم من ان سيكام أكد لها بانه من رجال البوليس غير انها تصورت بانه مخبر صحفي . لقد اقتنع الحاكم بشهادة سيكام وحكم على السيدة مانديلا بالحبس لمدة اثني عشر شهرا مع وقف التنفيذ وتأجيله لمدة ثلاث سنوات علما بانها قضت اربعة ايام في السجن . وعند تمييز القضية افاد الدفاع بان بقاء السيدة مانديلا يومين فقط في كيب تاون وفي عنوان وفي نيانكا لايمكن اعتباره عنوانا ثابتا . والعنوان كما يفسره قاموس ويبستر الطبعة الثالثة : "هو المكان الذي يتواجد فيه الشخص بحيث يمكن الاتصال به عن طريقه في الحالات الضرورية." ولعدم قناعتها بان هذا المكان هو عنوان ثابت لها رفضت عن قصد اعطاءه للرقيب. وكانت النتيجة رفض التمييز والمصادقة على الحكم .

انتهاك آخر لاوامر الحظر انتهى بسجنها لمدة ستة شهور هو اتصالها بشخص محظور عليه يدعى بيتر ماكوبين في ١٠مايس ١٩٧٣. كما حكم على كل منهما بالسجن لمدة اثني عشر شهرا بسبب هذه الحادثة .

قام بيتر ماكوبين باخذ بنتي السيدة مانديلا في عربة الى مكان قريب من محل عملها من اجل ان تراهما وقد كانتا قد قدمتا من المدرسة الداخلية في سوازيلاند ولم يتسنى للسيدة مانديلا رؤيتهما الا في فرصة الغذاء .

وقد طرح السؤال عن ماهية هذا اللقاء بين ماكوبين والسيدة مانديلا . هل هو اتصال مباشر غير قانوني ام جاء بسبب البنتين الصغيرتين ؟ ام انهما اتصلا ببعضهما عن طريق البنتين اللتين استخدمتا كوسيطتين لهذا الغرض ؟ لأن الاتصال بالنسبة للسلطة يعني "انتقال الافكار مهما كانت عديمة الاهمية من شخص الى آخر." وبعد ان ملأت المناقشة

صفحات عديدة في سجلات المحكمة اقتنع حاكم التميز بانه من الممكن ان تكون البنتان قد طلبتا من ماكوين اخذهما الى اماكن متعددة لغرض الالتقاء بامهما . وخفض الحكم من اثني عشر شهرا الى ستة شهور لكل منهما . قضت السيدة ماندبلا مدة السجن في سجن كرونستاد

انتفاضة سويتو ١٩٧٦
" لم نستطع الوقوف بوجه اطفالنا "

" كانت العزيمة والتعطش الى الحرية قد وصلتا في قلوب الاطفال الصغار الى درجة الغليان حتى اصبحوا على استعداد لمواجهة الرصاص بالحجارة. هذا ماحدث بالفعل عندما ارادوا كسر قيود الاضطهاد اذ لم يعد يهمهم شيء. "

نبذة تاريخية

في صباح يوم الاربعاء المصادف ١٦حزيران ١٩٧٦ سار عشرون الف طفل احتجاجا على القرار الذي اتخذته الحكومة في استعمال اللغة الافريكانية في المدارس الثانوية السوداء. وحملوا شعارات ولافتات كتب عليها: " تسقط اللغة الافريكانية "! " لسنا بوريين "! " اذا كان علينا ان ندرس الافريكانية، فعلى فورستر ان يتعلم الزولو ". هرعت سيارات الشرطة الى المكان وعندما حاولوا ايقاف المسيرة تصدى لهم الطلاب. فمنهم من قال بانهم بدأوا برشق الشرطة بالحجارة ومنهم من قال بأنهم بدأوا الرشق بعد ان اطلقت الشرطة عليهم النار. والأمر الذي لايمكن نفيه هو ان الشرطة اطلقت النار على طفل في الثالثة عشرة من عمره ومن الخلف ويدعى هيكتور بيترسون كما انها اطلقت النار وقتلت اطفالا اخرين. فانتشرت الفوضى في سويتو ودخلت قوى الامن بكامل اسلحتها واستعداداتها وتضاعف عدد القتلى وقام الافارقة السود بانتفاضة في جميع انحـ

البلاد للتعبير عن غضبهم وسخطهم فاحرقوا المدارس ومباني دوائر البانتو وبيوت الشرطة السود وقوطعت المدارس في جميع انحاء البلاد .

ان هذه الانتفاضة هي امتداد للحركة السياسية التي بدأت في مستهل السبعينات من قبل طلاب الجامعة بقيادة (ستيف بيكو)* وهي من الحركات التي تعبر عن الوعي الاسود . لقد ملأت هذه الحركة الفراغ السياسي الذي اعقب الغاء المؤتمر الوطني الافريقي وكذلك مؤتمر الوحدة الافريقية . فالتحرر النفسي والاعتزاز باللون الاسود ضروريان لهذه الحركة التي اشعلت شرارة الاحتجاج في ١٩٧٦ واصبحت اللغة الافريكانية هي نواة المرارة المتمكنة في النفوس والتي جاءت اسبابها متدفقة منها التهجير القسري ، الثقافة المتردية ، ازمة السكن ، الخوف والرعب الذي تسببه قوى الامن ، والحرمان من الحقوق السياسية .

لم يعرف بالضبط عدد الذين قتلوا في هذه الانتفاضة وقد قدر معهد العلاقات العرقية في جنوب افريقيا العدد بـ ٦١٨ قتيلا و ١٥٠٠ جريحا - اكثرهم من الطلاب غير ان عدد القتلى والجرحى اعلى بكثير بموجب التقارير الصحفية . وقد بلغ عدد المتهمين حتى حزيران ١٩٧٧ (٢١,٥٤٣) وكانت التهم مختلفة مثل ممارسة العنف ، التظاهر والتخريب والتحريض واحراق الممتلكات . وقد صدرت احكام بحق ١٣,٥٥٣ منهم وكان من بينهم ٥٠٠٠ دون الثامنة عشرة من العمر . وهرب من البلاد عدد غير

---

* في ايلول ١٩٧٠ كان بيكو من بين اربعين سجينا لقوا حتفهم اثناء التحقيق في مراكز البوليس .

معروف من اجل التدريب العسكري او للدراسة وانتسب معظمهم الى المؤتمر الوطني الافريقي وهم في الاغتراب. اوليفر تامبو الذي ترك جنوب افريقيا بعد حوادث شارب فيل سنة ١٩٦٠ من اجل انشاء قواعد للتدريب ومراكز للنشاط السياسي خارج القطر هو الان رئيس عام للمؤتمر الوطني الافريقي .
ان اعمال التخريب ومهاجمة مراكز البوليس وانشاء مراكز دفاعية من قبل كادرات اومكهونتو وجه جديد من اوجه النضال .

انتفاضة سويتو

نول وني :

" في حزيران ١٩٧٦ وصل الغضب الاسود بين الاطفال والشباب في جنوب افريقيا ضد الحكم الجائر درجة الغليان.

خرج عشرون الف طفل في مسيرة يحملون الشعارات التي تندد بثقافة البانتو ومطالبين اطلاق سراح مانديلا وسيسولو وغيرهم من السجناء السياسين . ففي هذه الاحداث دروس وعبر للجميع . فهنا اطفال كان المفروض ان ينظروا الى مانديلا على انه اسطورة تنتمي الى الماضي ، غير انهم خرجوا ينشدون له ولجميع قادتنا من السجناء في روبن آيلاند. فهم بذلك يكشفون للعالم ادراكهم بان لهم قادة قيدتهم السلطة ورمتهم في السجون قبل ما يقارب العشرين سنة.

ان انتفاضة سويتو في حزيران ١٩٧٦ جاءت بشكل طبيعي وتلقائي ولم ينظمها احد. فالانفجار الذي حدث في ١٦ حزيران جاء نتيجة غليان اسابيع عديدة . ففي مايس كان الاطفال يتكلمون علنا بانهم سيقومون باحتجاج ضد السياسة الثقافية

التي فرضت عليهم اللغة الافريكانية وكانت هذه السياسة قد اثارت غضبهم .

كنت معهم وشاهدت ما حدث. حمل هؤلاء الاطفال الحجارة واغطية صفائح القمامة للاحتماء بها وساروا نحو فوهات البنادق والرشاشات الموجهة نحوهم . ساروا بثبات وهم يعلمون ما يبيته لهم الرجل الابيض - ساروا نحو النار والموت . فانتشرت رائحة البارود في كل مكان وتساقط الاطفال في الشوارع بينما استمرت المسيرة نحو البنادق والكل يعلم قوة العدو الذي تدجج بالسلاح . غير ان عطش هؤلاء الاطفال الى الحرية الذي ملأ قلوبهم وقوى عزيمتهم، وصل الى درجة جعلتهم يواجهون نيران البنادق بالحجارة. هذا ما يحدث عندما يصمم الانسان على نيل حريته وتحطيم قيود الاضطهاد ،والعبودية اذ لا شيء يهم بعد ذلك .

لم نستطع منع اطفالنا وابعادهم عن الشوارع . في ١٧ حزيران وبعد ان قتل المئات منهم في سويتو اسسنا جمعية الآباء السود . لقد وجدنا انفسنا في وسط هذا الصراع عندما اوكل الينا الطلاب امر التفاوض مع كروكر الذي كان وزيرا للشرطة حينذاك . قال لنا الطلاب :"اذا اردتم ان نتوقف اذهبوا الى كروكر واخبروه عن مشاكلنا وهمومنا ."

فرحت عندما رفض كروكر مقابلتنا اذ انه برفضه هذا انقذنا من الحرج . ففي مثل هذا الغليان العاطفي لا يمكن التفاوض او النقاش مع السلطة . فلو رفضنا طلب اولادنا في التفاوض لظنوا باننا نخذلهم ولم نكن نرغب في الوقت ذاته ازهاق ارواح اطفالنا ووضعهم طعماً لمدافع العدو وبنادقه . كنا سنفقد ثقة اولادنا فيما لو جاء الرفض من قبلنا . لقد انقذنا كروكر برفضه مقابلتنا والتفاوض معنا .

كان بين اعضاء جمعية الآباء السود اناس من مدارس فكرية متعددة . بينهم قادة دينيون وباحثون اجتماعيون وآخرون يحملون وجهات نظر تختلف عما نحمله نحن . عملت عن كثب مع الدكتور موتلانا والدكتور ماثلير والاسقف بوثيليزي الذي كان رئيسا للجمعية .

وعلى الرغم من ان اعمال الجمعية هي بالدرجة الأولى تقديم الخدمات الاجتماعية غير انها اصبحت بالنسبة للطلاب الناطق باسمهم واعتبرتها السلطة ممثلة عنهم . جمعنا التبرعات وقمنا باعمال دفن القتلى الجماعي اذ ان هناك المئات من الاسر التي لاتملك ما يعينها على العيش . كان علينا ان نطعمهم ونرعى الايتام الذين تركوا في رعاية جداتهم اللواتي لايملكن ما يساعدهن على رعاية الاطفال اليتامى. من المؤلم ان تقدم السلطة معونة بمقدار ١٩٤,٠٠٠ روبية مساعدة للضحايا لانه مبلغ ضئيل جدا .

ذهبنا الى مركز شرطة بريتوريا -وهي المرة الاولى التي راينا فيها من ينوب عن السلطة على الجانب الآخر - نلتمس عدم اطلاق النار على الاطفال المتظاهرين . وعند دخولنا بادرنا الرائد فسر بقوله: " انكم تنظمون المظاهرات وتاتون الان الينا بعد ان تصعب السيطرة عليها . وانت يا وني مانديلا : هل تعلمين بانك مسؤولة عما وقع ؟" فثارت ثائرتي كالعادة. حاولت ان اتماسك واسيطر على اعصابي لكن الامر كان صعبا. لا اعتقد بان الاسقف بوثيليزي شهد مثل هذه الثورة في حياته.

لم يكن من واجبنا ان ننظم او نشارك في نشاطات الطلاب. ولكن عندما بدأنا العمل في جمعية الآباء السود في مايس تطرقت الى موضوع اللغة الافريكانية وقلت: "يجب ان لا ندع اطفالنا يقاتلون من اجلنا وعلينا مساندتهم . فما يتعلمه

الاطفال في المدارس هو من مسؤوليتنا. فاذا خذلانهم الان فسوف يبصقون على قبورنا في يوم ما ."

لهذا اعتقدت السلطة بانني كنت اقوم بتنظيم نشاطات الطلاب في نضالهم. ان ما تزعمه السلطة انتقاص سياسي بحق المناضلين . فهي تريد ان تبين بان المؤتمر الوطني الافريقي هو رأس الحربة في هذه الانتفاضة -القصة القديمة نفسها وهي ان الحزب هو دائما الداعي الى اثارة الشغب.!"

الدكتور نثاثو يتكلم عن جمعية الاباء السود وعن دور وني في هذه الجمعية

لقد حصل انشقاق بين مؤتمر الوحدة الافريقية وبين حركة الوعي الاسود وبين المؤتمر الوطني الافريقي. كنا بحاجة الى تشكيل منظمة لازالة هذا الانشقاق فولد عن ذلك جمعية الاباء السود .

كان الشباب واكثرهم من حركة الوعي الاسود أو من الذين تأثروا بها ينتمون الى وني مانديلا. لم يكن لديهم مشاكل بقبول رئاسة وني . لقد تجاوزت وني الخلافات القائمة واصبح الجميع يلجأ اليها من جميع الاطراف والأماكن. كنا في جمعية الاباء السود بحاجة الى من يلعب مثل هذا الدور الذي تمكنت منه وني بقدرتها على ازالة الخلافات بين الكبار والصغار وبين الاطراف الايديولوجية المختلفة.

كانت المرأة الوحيدة في المجلس التنفيذي غير انها فاقت الرجال بما قدمته . فهي قوية وأمينة وشجاعة. لها اعصاب لا املكها ولا غيري من الرجال. لديها الشجاعة على الوقوف امام ضابط الشرطة وفوهة الرشاشة لتقول له كلاما لا

يجرؤ احد على التفوه به . كنا نخافها وكنت اقول لها دائما أن جرأتها وشراستها هذه ستؤدي الى حبسنا جميعا. وعندما يهددها البوليس بالحبس تجيب ببرود : " افعل ماتشاء ماذا تنتظر ! "

وعندما قال لها الرائد فسر في مركز البوليس بأنها المسؤولة عن المظاهرات رمت عليه كتابا وكان بأمكانها ان ترمي عليه حذاءها او اي شيء اخر في متناول يدها وقالت له: " ايها السفاح - قاتل اطفالنا. تقول اننا حرضنا الاطفال على التظاهر. اذهب وامنع هؤلاء الانغال (الاشرار) من قتل اطفالنا في الشوارع ! "

فهي لا تخاف شيئا ! كنا نذهب الى هذه المراكز مقدمين احتجاجاتنا عن القتل والاعمال الوحشية التي كانت الشرطة تقوم بها قبل القاء القبض علينا .

القسم النسائي في سجن القلعة في جوهانزبرغ سنة ١٩٧٦

بعد انتفاضة سويتو في اب ١٩٧٦ سجنت وني مانديلا مع عددمن النساء في سجن "القلعة" في جوهانزبرغ وكان رقمها (٧٦/٤٢٧٥) . كانت سالي موتلانا من بين السجينات . تقول سالي وهي تصف السجن والدور الذي لعبته وني وهي سجينة فيه:

كانت وني دعامة قوية لنا نحن السجينات السياسيات ومسؤولة متعاطفة مع السجينات الاخريات . لقد حكم علينا نحن السجينات السياسيات بموجب الفقرة (١٠) واوكل الى السجينات الاخريات امر تنظيف ساحة السجن والمرافق الصحية . لم يسمح لهؤلاء السجينات لبس الملابس الداخلية ولم يزودوا

بالاحذية. كانت وني تقف احتراما لهن وكانت في خصام مستمر مع الرئيسة من اجلهن. قالت للرئيسة في احدى المرات : "ان السجينات لسن حيوانات ولديهن كرامة يرغبن الاحتفاظ بها ولايمكن ان تجردوهن منها ." وبعد اسبوع حصلت السجينات على احذية وجوارب وملابس داخلية . ان وني تقف في الواجهة دائما وتدخل في مخاصمات وشجار من اجل ضحايا الظلم والاضطهاد.

كانت زنزانتنا تطل على الساحة وكان زجاج نافذتي مكسورا. قدمت شكوى في الاسبوع الأول من وصولي من اجل اصلاحها بسبب التيار الهوائي الذي سببه ذلك غير انهم اهملوا الشكوى. وفي يوم من الأيام وبعد تناول طعام الغداء الذي يقدم لنا عادة في الساعة الثالثة سحبت فراشي وبطانيتي الى الساحة ونمت هناك ولما طلبت مني السجانة الرجوع الى الزنزانة اجبتها : "سوف لن افعل ذلك الا بعد تصليح النافذة اذ لافرق بين النوم هنا او هناك ." ادركت وني ما سيحدث لي نتيجة هذا العصيان فقالت للسجينات: " مادامت هي في الخارج دعونا نقف معها ونبقى هناك." وهكذا بقينا نحن الثلاث عشرة سجينة في الخارج ننشد ونقول :" لن ندخل الا بعد تصليح النافذة." ولو لم تفعل وني ذلك لارغموني على الدخول الى الزنزانة . وفي صباح اليوم التالي جاء ستة عمال في الساعة السابعة صباحا من اجل اصلاح النافذة !

وبعدها زارنا مبعوثو الصليب الاحمر وقبل وصولهم جرت حملة تنظيف واسعة وزودنا على عجل بشراشف وبطانيات وحتى اغطية لأسرتنا . لا ادري ان كانت ادارة السجن تتوقع باننا سنسكت ولانتكلم لهيئة الصليب الأحمر ولا نقول باننا ننام في العادة على الارض وان ما يشاهدونه هو واجهة جميلة مؤقتة .

وعندما جلبوا لنا الزهور قالت وني ساخرة "زهورا! لايسمح لنا بالزهور هنا وعليكم ان تطلبوا ترخيصا لذلك." وهكذا احرج موظفو السجن.

وعلى الرغم من مشاكلها الخاصة والعامة كانت وني على استعداد دائم للاستماع الى مشاكل الآخرين والابتسامة تعلو وجهها دائما لطمأنة واراحة من هم في حاجة اليها. فالقيادي الذي يتحلى بهذه الصفات هو كما أرى قائد عظيم. فهي تستمع الى الصغير والكبير منا وتستطيع ان تعرف اي المحامين يستطيع ان يساعدنا في مشكلتنا اذا احتاج الأمر الى ذالك. وكثيرا ما تأخذك بنفسها وبسيارتها اليه. ولاتفكر بالمبالغ التي سنحتاجها بل تراها تقفز الى سيارتها وتأخذك الى من يستطيع مساعدتك فورا. لقدْ عملت مع قادة كثيرين فمنهم من هو معتد بنفسه ومتعالي بعض الشيء غير ان هذه المرأة حنون وعطوف الى درجة كبيرة وأم للصغار وللكبار."

لقد انتهت مرحلة الحوار اخيرا
الحالة السياسية

تقول وني:

" الانسان الاسود هو المضطهد الوحيد في هذه البلاد.
سوف تعم الاضرابات في كل البلاد وستكون انتفاضة
سويتو صورة للحاضر ونظامه لأن الرجل الابيض فسر
نضالنا على انه خصام بين الأسود والابيض . "

ما زالت الحالة في البلاد على ما كانت عليه ولم يطرأ اي "تغيير "فيها : سجنت لأول مرة سنة ١٩٥٨ وكنت حينها حاملا بابنتي البكر . ودخلت السجن في سنة ١٩٧٦ اي بعد ثماني عشرة سنة وللاسباب نفسها . فجاءت ابنتي التي كانت حينذاك في بطني لزيارتي في السجن لانني متهمة بنفس التهمة الا وهي السعي وراء المثل وتحقيق المساواة !

تقف الان ابنتي في المكان نفسه الذي وقف فيه والدها سنة ١٩٥٨ عندما زارني في السجن لغرض تهيئة الدفاع . شعرت بان هذا الموقف يفسر الوضع السياسي وفيه درس واضح : لم اتقدم سياسيا عن الموقع الذي كنت فيه سنة ١٩٥٨. ففي سنة ١٩٧٦ مازلت اقاتل واناضل في المعركة نفسها . وعندما تقف الأم السجينة امام ابنتها فان حالتها اسوء مما كانت عليه سابقا اذ تشعر بانها مجردة من الحقوق التي كانت تتمتع بها حينذاك (لان الرجل الذي وقف مكان الابنة قبل عشرين سنة - اي زوجها سجين مدى الحياة بسبب كفاحه ونضاله من اجل نفس

المثل والعقيدة التي تحملها الأم ويحملها الشعب كله) فهل يفسر هذا "التغيير" الذي تتكلم عنه الحكومة والسلطة!

لقد اصبح الافريكانيين اكثر عرضة للانتقاد بعد ان انكشفت اكاذيبهم وانهارت انظمتهم ومعتقداتهم الايديولوجية وهذا ما لا يمكن قلبه او التستر عليه.

تسلمت قبل مدة رسالة من شرطي افريكاني يخبرني فيها بانه يعاني صراعا نفسيا بسبب الوضع السياسي في البلاد. كان هذا الشرطي قد اشترك في انتفاضة سويتو سنة ١٩٧٦. كتب في رسالته يقول: " لا يمكن ان تتصوري موقف شاب مثلي يتعرض الى حالة يؤمر بها ان يقتل الاطفال بسبب لونهم. اؤكد لك بانني على الرغم من التعليمات التي اعطيت لنا بان " نضرب لنقتل " فانني كنت اوجه بندقيتي الى الجهة المعاكسة لتلافي القتل. ولم اطلق رصاصة واحدة على احد منهم." ثم اضاف قائلا بان والديه يجهلان ما يقوم به (الاتصال بي) والاقتلوه. قدم هذا الشرطي يوما الى براندفورت وجاء لزيارتي عدة مرات وكان يوقف سيارته بعيدا لانه كان يعلم بانهم يتعقبونه. كما انه استعار مني كتاب نيلسون الموسوم " الكفاح حياتي".

فعندما يتكلم شاب افريكاني ورجل بوليس بهذه الطريقة الى "شيوعية سوداء" وزوجة نيلسون مانديلا فان ذلك يكشف مدى الانشقاق في صفوف الافريكانيين.

طلب مني بعض طلاب الجامعة في فري ستيت ان ازودهم ببعض المطبوعات عن "الوعي الاسود". كانوا يرغبون معرفة ما ما يحدث في البلاد وكذلك الاطلاع على الذهنية السوداء في الثمانينات. كما سألوا عما يمكن ان يفعلوه. فهم يناقشون مثل هذه المواضيع الى جانب مشاكلهم المهمة داخل الجامعات.

نشرت الصاندي اكسبرس في جوهانزبرغ مقالة عن هندريك

فان دين برك*. فبعد ان ادان هذا الرجل جميع قادتنا وتسبب في سجنهم مدى الحياة جاء الآن في آخر المطاف مصرحا بعد خصام مع نظام الحكم بان مانديلا لم يكن شيوعيا وما كان يجب ان يسجن مدى الحياة وانه في هذا يكشف الحقيقة . لقد كان هندريك فان دين برك في القمة ! وكانوا جميعا يعرفون الحقيقة - هؤلاء الذين يشرعون القوانين في البرلمان وهؤلاء الذين يحكمون بفوهات البنادق -كلهم يعرفون الحقيقة ويعرفون بان الامر كله ليس محاربة الشيوعية بل محاربة السود أو ما يسمونه "الهجوم الكاسح" على البلاد . "والخطر الشيوعي" هو سلاحهم واحدى مكائدهم . لا يهمني شخصيا ما يطلقون من التسميات على كفاحي لانهم يعرفون حقيقته . فكيف لهم ان يحصلوا على مساعدات من الغرب من غير ان يروجوا للعالم عن "الخطر الشيوعي" المزعوم ؟

لا تخلو حركتنا من بعض الانقسامات والخلافات بالطبع . فالحالة في جنوب افريقيا معقدة بحيث لا يمكن تفادي الخلافات الايديولوجية . لم يكن تأريخ المؤتمر الوطني الافريقي عرقيا. فهو يتألف من جماعات مختلفة تعمل سوية في بناء معقد ومتشابك . يقول البعض بان هناك جماعة بيضاء ضمن هذا التحالف لعبت دورا مهما . هذا صحيح لأن اللون لايعني شيئا والمراكز القيادية في هذا التنظيم تمنح حسب الكفاءة وحسب اهمية الشخص السياسية. غير ان هناك عناصر مزعجة اصرت مع الحكومة بان المؤتمر الوطني الافريقي هو امتداد للحزب الشيوعي الملغى وانه المسيطر على جميع المنظمات

---

* رئيس دائرة الامن المسماة الان بالمخابرات القومية .

السياسية. ان الجماهير الافريقية لا تملك الموارد المادية وان الذين استطاعوا جمع المال في انحاء العالم المختلفة هم رفاق بيض.

كما ان المؤتمر الوطني الافريقي منظمة لا عرقية ولا يمكن ان تخلو المنظمة من اعوان بيض. فنحن لا ننظر للناس على انهم بيض او سود. غير ان العدو هو الذي يدفعنا الى استعمال مثل هذه التسميات. فالمنظمة المظلية الشكل تحتوي على جميع العناصر التي تقاتل معنا جنبا الى جنب ضد الاضطهاد. فهل يمكن تجاهل دور الطالب الابيض في جامعات كيب تاون ووتس، هذا الطالب الذي نال قسطه من الضرب من قبل النظام الذي يضرب ويضطهد شعبي هنا في فري ستيت؟ كيف يمكن تجاهل هؤلاء الطلاب البيض الذين يناضلون معنا من اجل المبادىء نفسها، انهم رفاق لنا يخرجون بمظاهرات بكل شجاعة ويندون بالحكومة الجمهورية وهم يحملون كرسيا كتب عليه اسم "نيلسون مانديلا". انهم اخوتنا ورفاقنا في النضال. ان جنوب افريقيا المستقبل التي اكافح من اجلها ستضم هؤلاء الاطفال البيض الذين تحدوا بشجاعة آباءهم البوريين المتعصبين ورددوا جهارا شعارات حركة نضالنا في الجامعات.

فهناك عدد من الرفاق البيض الذين لا يمكن التفكير بهم بمفهوم اللون مثل برام فشر* وهيلين جوزيف ودنيز

---

* برام فشر من عائلة افريكانية معروفة. عضو في الحزب الشيوعي وأحد محامي الدفاع في محاكمة الخيانة سنة١٩٥٧-٦١.احد قادة هيئة الدفاع في محاكمة ريفونيا سنة١٩٦٣-٦٤.اختفي اثناءمحاكمته كشيوعي واستمر بالنضال وبعدهاحكم عليه بالسجن المؤبدلاشتراكه في المؤامرة المزعومة التي اتهم بها قادة ريفونيا.مات بالسرطان سنة١٩٧٥وبعد انتهاء مراسم الجنازة طلبت السلطة اعادة رماد جثته الى السجن.

وكولدبرغ*١ وبايرس نود*٢. هؤلاء هم بيض بموجب القانون غيرانهم رفاق لنا ومحاربون من اجل الحرية والمساواة. فأنا احمل لهم كل الاحترام ولهيلين جوزيف الحب والاحترام الذي احمله لأمي ليليان نكوبي واصاب بصدمة عندما افكر بهم كاناس بيض.فهم جزء منا ومن قضيتنا ومعاناتنا. ونحن عازمون على خلق حالة التوافق العرقي في هذه البلاد مع البيض من الطلاب والمناضلين.

يوجد الان اتجاه في حركة الوعي الاسود يرى ان يكون الكفاح مقتصرا على السود فقط. ان هذا الاتجاه يسيء تفسير الحالة السياسية ويمكن استغلاله من قبل السلطة لتشتيت الجماهير المتحدة. فليس من المهم في الثمانينات ان نناقش اختلافات ايديولوجية ضمن كتلة النضال التي بدأت بشكل آخر منذ اربعمائة سنة لأن ذلك ليس في صالحنا،

---

*١ دينز كولدبرغ احد المتهمين في محاكمة ريفونيا. حكم عليه بالسجن المؤبد. اطلق سراحه بعد ان قضى احدى وعشرين سنة في سجن بريتوريا بشروط معينة في آذار ١٩٨٥.

*٢ بايرس نود ناقد لسياسة التمييز العنصري ذو شهرة عالمية وهو احد قساوسة الكنيسة الهولندية المحترمين.طرد من منصبه الديني لتمسكه بايمان راسخ ان التمييز العنصري لا يتفق والتعاليم الدينية. انشأ ورأس المعهد الديني وهي منظمة مختلطة عملت من اجل التوافق بين الاجناس. اغلق المعهد ونفي الدكتور نود من ٧٧-١٩٨٥. في ١٩٨٥ انتخب سكرتيرا عاما للمجلس الكنسي في جنوب افريقيا خلفا للأسقف دزموند توتو الحائز على جائزة نوبل للسلام.

ولكننا نرى انفسنا مجبرين عليه .

ان ستيف بيكو الذي احمل له اعجابا كبيرا وهو احد الرموز القومية لم يكن ابا لحركة الوعي الاسود بقدر ما هو واحد من كبار القوميين الافارقة وهذا ما يعرفه ويفهمه وبنفس الشكل الذي فهمناه نحن القوميون الافارقة في روبن آيلاند. فهو انما يؤيد ويجسد الايديولوجيات التي كانت موجودة سابقا . ان اتحاد الشباب ضمن المؤتمر الوطني الافريقي تأسس منذ الاربعينات من قبل سيسولو ومانديلا ومبيكز والاسباب نفسها : " يجب ان يكون الكفاح افريقيا مع التأكيد على نضال الشباب ودمجه بالكفاح العام. " ان قوانين الفصل العنصري هي اليوم بشكل يحتم ان يتم النضال منفصلا وهذا بالطبع ما شجع حركة الوعي الاسود. لقد اصبحت التوعية العنصرية ضرورة تأريخية . فعندما يقول البيض : " سنعمل لوحدنا " تكون ردة الفعل عندنا بشكل يبرهن باننا قادرون على العمل لوحدنا ايضا لأننا لسنا بحاجة الى الدعم الابيض . لقد تولد فراغ سياسي من جراء الغاء المؤتمر الوطني الافريقي الذي اضطر الى العمل بالخفاء بينما كان بامكان حركة الوعي الاسود العمل جهارا وقادتها يعرفون الاتجاه الصحيح لانهم جزء لا يتجزأ عن حركه النضال . كما انهم يعرفون العدو الذي هو السلطة الحاكمة في البلاد .

ان الجبهة الديمقراطية الموحدة هي جنوب افريقيا المستقبلية . فهي حركة تشمل وتضم الجميع ، اناس من ايديولوجيات وشرائح اجتماعية مختلفة كالعمال والاطباء والمحامين ورجل الشارع وحفاري الطرق . وهؤلاء الذين ينشدون لحن بريتوريا ضد الجبهة الديمقراطية الموحدة انما يفعلون لك لانهم يخشون الناس الذين سيحدثون تغيرا حقيقيا في

هذه البلاد، فالجبهة الديمقراطية خطر يهدد الحكومة - هذا الخطر الذي بدا مع المؤتمر الوطني الافريقي في الستينات. ان الجبهة الديمقراطية الموحدة احتضنت الجميع وهي اكبر منظمة منذ ذلك الحين. لذلك بدأت الحكومة اعتقال القادة والمنظمين بشكل فردي بحجة مخالفات تافهة مفتعلة *، وهذا بالضبط مافعلوه بقادة المؤتمرالوطني الافريقي قبل الغائه.

قامت الحكومة بتقسيم البلاد الى مقاطعات ومناطق، هذه للزولو وتلك للزوزا والاخرى للبيدي وقد قبل بعض الدمى المحليين هذا التقسيم. بريتوريا تحرك الخيوط وتوجه هذه الدمى على هواها وتستخدمهم لاضطهاد ابناء وطنهم. فهم يرضعون ما يقدمه لهم اسيادهم من الزيف بقناني الرضاعة التي تعقم وتملأ بما يقدمه لهم هؤلاء الاسياد في بريتوريا حتى صاروا يتكلمون عن اسيادهم بلغة هؤلاء الاسياد.. هذا ما فعلته حكومة بريتوريا في الشعب والارض.

وتحاول الحكومة ايضا خداع الناخبين بزعمهم ان مجلس الوزراء يصبح اكثر فعالية فيما لو أدخلوا بعض الاصلاحات التي تمنح الهنود والملونين الحق في الانتخابات البرلمانية التي هي بالحقيقة دعاية وعملية زائفة لا يؤخذ بها ولا تشمل السود. ان مثل هذه الامور التافهة لاتستحق حتى النقاش. اننا لانكافح من اجل هذه الاصلاحات المزعومة بل من اجل الحرية الكاملة للسود في هذه البلاد. انه كفاح قومي لا من اجل حفنة من الجواسيس والدمى في برلمان الفيل الابيض

---

* انتهت حملة الاعتقالات بمحاكمتين بتهمة الخيانة العظمى لاثنين من القادة وبدات بمحاكمتها في ١٩٨٥.

الذي يبقى هو المتسلط الاعلى. فالاسود لا يريد استبدال قيوده بقيود من ذهب و لايريد حتى القيود النحاسية. انه يناضل ويكافح من اجل تحطيم القيود والحرية الكاملة.

ان جنوب افريقيا المستقبل ستحتضن كل الاجناس وخيراتها تكفي للجميع وسيكون دستور الحرية هو برنامج عمل لحكومتنا المستقبلية . واي تعديل يجب ان يتم ضمن هذه الوثيقة المقدسة . وستكون دولتنا اشتراكية من اجل القضاء على المجاعات والاختلاف بين الطبقات والفئات وبين الذين يملكون والذين لا يملكون - سيكون لكل واحد نصيبه من ثروة البلاد .

اما بصدد المعارضة البرلمانية البيضاء فانها لاتستطيع ازاحة الافريكانيين القوميين الذين يمثلون السلطة منذ ١٩٤٨ كما انهم لا يستطيعون الدعوة لمبدأ " صوت واحد لكل شخص " هذا المبدأ الذي نؤمن به والذي سنحققه . ان من لا يكافح معنا ويدعو الى هذا من على منابر الدعوة لا يمت الى المنظمة بصلة. ان محدودية التوعية عند الاقلية البيضاء والتي جاءت لاسباب معروفة حقيقة لا يمكن تجاهلها وما عليهم الا الاستمرار في توعية شعوبهم من اجل ان يستطيعوا التأقلم مع حكومة الغد السوداء الضرورة .

لا تستطيع الكنيسة ان تلعب دورا ساسيا مباشرا غير انها تستطيع مساندة الشعب كما كانت تفعل دائما والاشتراك في عملية التوعية. وقد سبق ان تحالفت بعض الكنائس معنا في الكفاح باخذها موقفا سياسيا معارضا مع الدولة - شخصيات مثل الاسقف توتو والكنيسة الانكليكية والكنيسة الكاثوليكية والميثودية. لقد اقتصر نشاط الكنائس لمدة طويلة على الامور الدينية وكانت الدولة ترغمهم على الاهتمام بالامور الروحية فقط في وقت كنا فيه بامس الحاجة الى دعم سياسي. فاروا حنا غنية ولا تحتاج الى خدمات روحية من اي مصدر او

جهة . ان دخول المسيحية الى هذه البلاد اشبه بالنسبة للمناضلين بنظام القمع والاضطهاد : لقد دخل الرجل الابيض الى هذه البلاد يحمل الانجيل بيد والبندقية باليد الاخرى. اعطى الانجيل للرجل الاسود لكنه اغتصب ارضه وعلمه : "اذا ضربه سيده على احد خديه يعطيه الخد الآخر." وبينما كان الابيض ينعم بالجنة على هذه الارض ادخل في عقولنا باننا سننال نصيبنا من خيرات هذا الفردوس في العالم الآخر. نحن لسنا بحاجة الى خيرات روحية . اننا نريد هذه الارض وخيراتها التي بنيناها وضحينا من اجلها .

وهكذا بقي موقف السود من الدين لاجيال متعاقبة موقف ايمان وطاعة ومع تصاعد اللاهوتية السوداء وانتشارها حاول بعض رجال الكنيسة الشباب تفسير الديانة بشكل صحيح وربطها بشكل منطقي مع الاوضاع الراهنة لحالة الرجل الاسود وكفاحه . فالكنائس هي جزء من الجماهير المضطهدة في البلاد ولها دور مهم في الساحة الجماهيرية .

ليس هناك ماهو اهم مما يحدث في حركة العمال . فنحن العمال ثروة هذه البلاد . فكما نستطيع استخراج الثروة من الارض فان باستطاعتنا هدمها- بهذه الايدي السوداء . فالعمال يعملون في المصانع وهم جياع ..ويحفرون المناجم وهم جياع ..ويخدمون في البيوت وهم جياع . فالقضية ليست قضية تحريض خارجي شيوعي من روسيا .ان مشكلتنا مشكلة شعب جائع لا ينتظر ان يقال له بانه جائع لانه جائع بالفعل . تعتقد الحكومة بان باستطاعتها تشتيتنا - عزل اتحادات العمال عن سكان المستوطنات في حين ان هذه الاتحادات وجدت من اجل هؤلاء - اي سكان المستوطنات . فالعامل هو نفس الشخص الذي يترك سويتو في الواحدة صباحا من اجل ان يصل الى مصنع الرجل الابيض في الخامسة لأن القطارات بطيئة .

والعامل هو نفس الشخص الذي قلع من جذوره وزرع في مكان اجدب من قبل البيض. هذا المكان الذي لا يصلح للسكن والذي اسموه الوطن ليقف فيه الاسود ويمد بصره الى الناحية الاخرى ويرى قبور اطفاله الذين ماتوا من سوء التغذية في ارض هي اغنى بلاد العالم.

فالمضطهد الوحيد في هذه الارض هو الرجل الاسود. وسوف نقوم بمظاهرات في جميع انحاء البلاد وستكون انتفاضة سويتو هي صورة الحاضر ولغته وليفسر البيض نضالنا على انه نضال عرقي اذ لم تبق قواعد اخرى للسلوك تهم العامل الاسود.

والشركات الاجنبية متعددة الجنسيات وهي بالنسبة لنا جريمة سياسية اخرى اوصلتنا الى ما نحن عليه. فالدور الذي تلعبه هذه الشركات ليس الا تمزيق النضال وتفتيته. فهي تعطي العامل الاسود اجور غير مساوية لأجور العامل الابيض ليرجع بها الى الغيتو لأنه "بانتو" والبانتو يحمل وثيقة الاضطهاد "الدومباس" معه لأنه سيبقى طوال حياته من غير حقوق سياسية. ان اسلوب تعامل الشركات الاجنبية يربكه ويفسد اخلاقه ويشتت ذهنه لأنه يعتقد ان حالته هذه حالة طبيعية وان وضعه العملي هو طبيعي لأنه يتقاضى اجوره.

لذلك يجب ان ترحل هذه الشركات. ان ما يهمنا الان هو انزال العقوبة على من انتهك القوانين الدولية. لقد درس هؤلاء الذين امضوا حياتهم في السجن كل البدائل. ولا يمكن ان نتصور ان العقوبة هي الطريق الوحيد لاسقاط الحكومة غير انها جزء من الاداة التي نستطيع استخدامها. وهذه اساليب تحررية قد تقلل من حمامات الدم التي سنواجهها لاننا سنختصر عملية انقاذ الرجل الاسود الطويلة. اننا نعلم بان هذه الشركات تمول عملية اضطهادنا كما نعرف اصدقاءنا ورفاقنا في الكفاح في الوقت نفسه.

وعلى الرجل الابيض ان يفكر بمكانه المناسب الذي سيحل فيه في مجتمعنا وليس العكس لانها مشكلته هو وليس مشكلتنا. ان لديه الجرأة في الوقت الحاضر ان يتكلم عن حماية الاقلية عندما يضطهد الاكثرية. انها وقاحة! فهو جالس في موقع القوة منذ اربعمائة عام يشرع القوانين ضد الملايين ويضطهدنا جيلا بعد اخر فكيف ينتظر منا ان نقلق انفسنا ونفكر في حماية حقوق الاقلية وحماية ممتلكاتها وتراثها.

ان ما يهمنا هو حفظ حقوق الانسان وكرامته وسنستمر في اعادة صياغة تأريخنا المستقبلي. لقد وصل غضب الشعب الى درجة الغليان من الناحية السياسية واوشك المناخ السياسي على الانفجار.

ولم يكن العنف في يوم ما سياسة المؤتمر الوطني الافريقي. فما تقوم به منظمة الشعب هذه هو ردة فعل للعنف الذي يمارسه النظام. قال قائدنا الكبير الزعيم لوتولي: " عندما يهاجم احد بيتي يجب ان احمل رمحي وادافع عن عائلتي. " هذا الرجل كان من كبارالمسيحيين والذي لم يقتل ذبابة في حياته. هكذا ولدت سياسة العنف " امكهونتو وي سيزوي " فاضطرت منظمة اللا عنف الى حمل الرمح من اجل الدفاع عن شرف الرجل الاسود ضد عدو شن الحرب علينا منذ وصول جان فان رابيك سنة ١٦٥٢*. واعتقد بان على النظام الاستسلام لانه يخوض حربا فاشلة وعليه ان يقدر ذلك بتعقل وينقذ البلاد من العنف والتخريب.

لقد ادخل الرجل الابيض الارهاب الى هذه الارض منذ

---

* الأب الروحي للتمييز العنصري (المترجمة).

١٦٥٢ فوقفنا بوجهه برماحنا وتروسنا. كنا نعيش قبل مجيئه بانسجام . ان اول عمل ارهابي قام به هو قتل اجدادنا وسلب ارضنا . لذلك لا يمكن ان نغفر للبعثات التبشيرية التي كان باستطاعتها ان تمنع ذلك . لقد استخدموا تراثنا الذي سلبوه منا اداة لاضطهادنا وقامت هذه البعثات باعمال جعلت التمسك بالتراث واحترام الكبار من الآباء الحاد واثم . هكذا كانت البداية الخاطئة . لقد قيل لنا بان ما نقدسه ونحترمه هو تخلف وبربرية مشيرين الى اجدادنا ومحاربينا و " الجاكا " و " والمكانا " وغيرهم على انهم برابرة ! فمن اجل تحطيم الفرد الاسود الذي يعتز باصوله وتراثه كان عليهم ان يمسحوا هويته ويقضوا على اصوله التراثية .

لقد تغيرت كثيرا منذ نقلي الى السجن الانفرادي - وهذا ماأعترف به صراحة. كنت قبل أن اسجن اما وباحثة اجتماعية. وقد كنت اتكلم من على المنابر باشياء لم اكن خبيرة بها. فعلى الرغم من انني كنت في وضع يتطلب العنف غير انني لم أكن قادرة حينذاك على استخدام السلاح فيما لو طلب مني ذلك،لا لكوني باحثة اجتماعية بل لانني في قرارة نفسي ارغب في الحفاظ على الارواح البشرية . فهي حالة طبيعية وانسانية فانا باحثة اجتماعية بشكل غريزي لاعلاقة له بعملي وتخصصي.

لقد حدث تحول كبير اثناء احتجازي - تحول غريب جدا. فلو جاءني الآن منهم من يحمل بندقية لاطلقت عليه النار دفاعا عن مبادئي . هذا ما تعلمته منهم - هذا الشيء الذي لم يكن بمقدوري القيام به سابقا ، ولولا استفزازاتهم ومواقفهم تجاهنا لما استطعته الآن ايضا .

يستطيع الفرد ان يمتحن ماهية مبادئه عندما يتعرض الى مثل هذه الاعمال سنة بعد اخرى في السجن وخارجه . انهم يخلقون منا سياسين . فما قاموا به تجاهنا ساعدنا في بناء

انفسنا . فانا مستعدة على اسقاء شجرة الحرية بدمي اذا ما علمت بان الأطفال الذين اقوم برعايتهم في هذه الظروف سوف لن يتعرضوا الى الاضطهاد الذي تعرضت له وسيعيشون حياة افضل . واتمنى ان اكون انا وجيلي آخر الاجيال من شعبنا تتعرض الى ما عانيناه من ذل واضطهاد .

هذه هي المرارة التي زرعوها في قلوبنا وعلينا ان نتخلص منها واذا اضطر الأمر فسنستخدم اساليبهم لأنها اللغة الوحيدة التي يفهمونها . ان الجدار الذي بناه الافريكاني حوله غير قابل للنفاذ وهو يعلم ان النفاذ منه واليه يتطلب منه استخدام السلاح . ويعلم ايضا أنك عندما تواجهه بنفس الاسلوب الذي يستخدمه فانك تتكلم اليه باللغة التي يفهمها. هذا ما فعلوه ويفعلونه معنا .

ليس مهمًا في الوقت الحاضر معرفة من يساعدنا للتخلص من قيود الاضطهاد والعبودية فامامنا فترة انتقال صعبة للغاية وهي اكثر صعوبة هنا في جنوب افريقيا من اي بلد آخر . انها فيتنامنا وما نعانيه اليوم لا يقارن بما سنواجهه في المستقبل الذي سيكون عصيبا للغاية .

ظننت وانا طفلة صغيرة ان هذه الارض ملكنا . فالحرية التي يتمتع بها الطفل تمنحه هذا الشعور . تلك الروابي المتموجة والخضرة الجميلة . كيف كنا نركض مع مسار النهر ونتدحرج على التلال الجميلة الخضراء * . كنت اظن بان هذا هو

---

* تتكلم السيدة مانديلا عن ترانسكي مسقط رأسها. ومن السخرية أن تطلب منها السلطة ان باستطاعتها ان تترك جنوب افريقيا والعيش هناك - في ماكان يسمى بـ " الوطن المستقل " تصور وقاحة العرض ! تقول السيدة مانديلا " اذا كان لابد ان يترك احد جنوب افريقيا فسيكون ذلك حكومة الدخلاء لا أنا ".

وطني الذي هو ارض آبائي وآباء آبائي . ثم تواجه الحقيقة المرة عندما تكبر ويقول لك الرجل الابيض ان هذه الارض ليست لك وعليك الحصول على ترخيص للاقامة فيها.

ان كفاحنا هو حرب تحرير واسترجاع ارض ابائنا ويرجع تاريخها الى حرب الحدود التي بدأت مع المستوطنين الانكليز. لذلك لايمكن ان احلم في اي لحظة بترك الارض لأن ذلك يعني من ناحيتي الاعتراف بقوة اللص الذي سرق ارضي وبقدرته على طردي من الباب الخلفي . لذا لن اترك جنوب افريقيا .

وليس هناك مجال للحوار مع التركيبة السياسية الحاضرة. لقد انتهى زمن الحوار عندما طوت الحكومة تلك الصفحة في حزيران ١٩٦٤ بعد ان سجنت قادتنا . قد يكون الحوار ممكنا اذا خرج هؤلاء القادة من السجن، هؤلاء الرجال الذين حكم عليهم بالسجن والابعاد والنفي . وقد يكون هذا الطريق الوحيد الذي يحدد مستقبل البلاد وكل شيء آخر هو مضيعة للوقت. وحتى عند خروجهم من السجن فان امر الاستعداد للحوار يتوقف على استعدادهم . هم الذين طلبوا ذلك قبل عشرين سنة مضت . كيف يستطيع الانسان ان يحاور - بعد ان يقضي ربع عمره في السجن -سجانيه الذين سجنوه لانه طلب منهم التفاوض . لا بد وانهم سيفعلون ذلك بموجب اطار سياسي جديد من التفكير واسس جديدة للحوار والتفاوض ."

" فقدت شيئا من روحي عندما ذهب "
زيارات السيدة مانديلا لزوجها
في سجن روبن آيلاند وبولزمور

تقول وني: " ان هذه الزيارات تمنحني شعورا مدهشا وكأنها تشحن بطارياتي . ان هؤلاء القادة يمنحوننا الشجاعة والاقدام . أنهم بلا شك راجعون ليلعبوا دورهم الطبيعي في جنوب افريقيا السوداء وسيكون نيلسون رئيس وزرائنا ".

في حزيران ١٩٦٤ وصل الى روبن آيلاند نيلسون مانديلا ورجال ريفونيا الآخرين وهم ولتر سيسولو وجوفان مبيكي واحمد كاثرادا وريموند مهلابا والياس موتسوليدي واندرو ملانجيني ليقضي كل منهم محكوميته في السجن مدى الحياة . والجزيرة عبارة عن صخرة منبسطة ضربتها الرياح ومحاطة من جميع الجهات بالبحر الهائج . تقع على بعد سبعة اميال ونيف عن شمالي غربي كيب تاون . كانت زيارة وني الأولى له في منتصف الشتاء ، موسم البرد والرطوبة والضباب الكثيف . وصدى بوق الانذار يأتي حزينا كئيبا من فنار الجزيرة .

تقع زنزانة مانديلا " الانفرادية " في قسم الحراسة المشددة الجديد الذي يحتوي على ثمان وثمانين زنزانة منفصلة عن البنايات الاخرى بجدار بعلو ثلاثين قدما . الزنزانة بمساحة سبعة اقدام مربعة مضاءة بمصباح واحد وهذا نسق معروف ومتبع . لقد سجن في هذا القسم ثلاثة وثلاثون من القادة و" المفكرين " بينما سجن المئات من السجناء السياسين الاخرين في زنزانات جماعية في المبنى الرئيس.

لقد عمل مانديلا ورفاقه في السنوات العشر الأولى من سجنهم في مقالع الحجارة - نفق هائل عمل فيه اجيال من السجناء ، تحت شمس الصيف المحرقة وضباب الشتاء القارص. كان طعامهم يقتصر على عصيدة الذرة والخضراوات العفنة . ويرافق الاعمال الشاقة التي كان السجناء يقومون بها الكثير من التعذيب النفسي والاعتداءات الاخرى كالضرب والرفس. وقد امتد عمل السجناء الى اصلاح الطرق وجمع الاحراش المائية من السواحل ولم يسمح لهم الابنصف ساعة زيارة ورسالة واحدة كل ستة اشهر على ان لاتحتوي الرسائل الا على الشؤون الشخصية والعائلية .

ونتيجة الاضرابات عن الطعام والاحتجاج عن طريق التباطؤ في العمل والضغوط الدولية والطلبات المستمرة من هيلين سوزان عضوة البرلمان التقدمية الوحيدة والصليب الاحمر الدولي اجريت بعض التحسينات : توقفت الاعمال الشاقة وسمح لهم ببعض الصحف التي كانت ممنوعة وازداد عددالزيارات والرسائل الى مرتين في الشهر . اما الدراسة فهي " امتياز " كبير وقد سمح لمانديلا دراسة القانون بالمراسلة مع جامعة لندن الى حين الغاء القانون كموضوع اختصاص بالنسبة للسجناء السياسين وكذلك الدراسات العليا . ولأنهم لم يسمحوا بدراسة اللغات الالمانية والفرنسية فقد درس مانديلا اللغة الافريكانية وكذلك الاقتصاد والتأريخ .

يوجد في السجن ساحة كبيرة يقضي السجناء معظم اوقاتهم فيها . فكانوا يمارسون الرياضة في الهواء الطلق .

قال ماك ماهاراج السجين في روبن آيلاند ان مانديلا يحظى بثقة جميع السجناء على اختلاف مبادئهم وعقائدهم السياسية وكان الناطق باسمهم : " كان مرشدنا في كل الامور التي قمنا بها في السجن واظهر اصرارا مستمرا . لقد قمنا بالاضراب عن

الطعام وبحملات التقاعس والابطاء في العمل وقدمنا العرائض والاحتجاجات الشفوية والتحريرية . كان مانديلا هو المرشد والمنظم لمثل هذه الحملات ...ولا اتذكر بانه اظهر اي خوف او قنوط..حتى عندما كانت زوجته وني في السجن او في الحجز او عندما كانت تصله اخبار عن تعذيبها. لم يتخاذل نيلسون ابدا كما ان ثقته في المستقبل كبيرة تنمو وتتجدد باستمرار ".

لقاءات مع نيلسون مانديلا في سجن روبن آيلاند

يتذكر الدكتور نثاثا طبيب العائلة والوصي على اطفال مانديلا لقاء له مع نيلسون مانديلا في روبن آيلاند سنة ١٩٧٦ فيقول :

انه قوي، قوي ! وعدا بعض الشعرات البيضاء في رأسه كان كما عرفته منذ سنوات طويلة بهيبة الرئيس القبلي وجلالها ! وبكل لياقته الفكرية والجسمية . كان حارس السجن يقاطع حديثنا بين الفينة والاخرى قائلا : "عليك التوقف عن الحديث بمثل هذه الامور والا فساطلب منك الخروج حالا . اعطيك خمس دقائق فقط ." ولم يسمح له حتى ممارسة الملاكمة التي كان يمارسها ويهواها ! ولا يجوز في هذه المقابلات التكلم الا في الشؤون العائلية ولمدة ساعة واحدة.

بريسلا جانا احد محامي العائلة زار نيلسون في السجن من اجل الاستشارة في بعض الامور القانونية في ١٩٧٧ . يقول في هذا الصدد:

جلبنا لنيلسون طلب ابنته زندزي بعد نفي امها وني الى براند فورت وبعد ان تعرضت الى مضايقات كثيرة من قبل قوى

الأمن وقد اثر ذلك على حياة زندزي حتى لم يعد باستطاعة اي من اصدقائها زيارتها . وبموجب قانون جنوب افريقيا لم تستطع وني تقديم هذا الطلب عن ابنتها القاصر زندزي لأن المرأة تصبح هي الاخرى قاصرا من الناحية القانونية عند زواجها وهذا يجردها من حق المطالبة باية مساعدة او تعويض او غير ذلك من الامور التي هي من حق الشخص البالغ . فكان علينا ان نأخذ طلب الابنة زندزي الى والدها نيلسون . كانت هذه المقابلة من الاشياء التي لاتنسى . لم يكن نيلسون قد مارس المحاماة منذ اكثر من خمس عشرة سنة غير انه علق على الوثائق المقدمة كمحامي متمرس بطريقة مدهشة من غير ان تؤثر عليه العواطف باي شكل من الاشكال . كنا قد جلبنا له شيئا من الطعام لنأكله معه اثناء الاستشارة فسألنا المسؤولين فيما اذا كان باستطاعتنا اعطاؤه السندويشات غير انهم رفضوا فقال نيلسون معلقا : "لا تقلقوا فكل شيء على هذه الجزيرة يتم ويتوقف على نزوات ورغبات هؤلاء المسؤولين." فاجابه الحارس : "تعلم يا سيد مانديلا بان هذه قوانين السجن." فاجابه نيلسون : " لست على استعداد للنقاش في هذا معك !" فبعد كل سنوات السجن هذه ما زال نيلسون يحتفظ بالثقة والاعتزاز وكل صفات الحاكم والقائد.

ما زال يحتفظ بوسامته ولياقته الجسمانية المدهشة . وخلال الحديث معه لم يتذمر من السجن لانه لا يبدي اهتماما لمثل هذه الامور ، وظروف السجن امر لا يشغل تفكيره بقدر ما يتعلق ذلك بشخصه . وخلافا لما هو طبيعي لم يسألني عن احوال عائلته . عن زوجته واطفاله كما يفعل هؤلاء السجناء الاخرون بل ان الاستفسار الأول : "كيف هي احوال الناس "- ثم استطرد باسلوب فلسفي قائلا : " قل لهم بانني ما زلت معهم وسوف لن يطول الأمر ." فالطريقة التي صاغ بها كلامه فوتت على

المسؤولين الذين لم يكونوا على درجة من النباهة ما قاله.

في نيسان ١٩٨٢ نقل فجأة كل من مانديلا وسيسولو ومهلابا وكاثرادا وملانجيني من الجزيرة الى سجن بولسمور للحراسة المشددة والذي يبعد بضعة اميال عن كيب تاون .

وبعد مرور سنة استطاع مانديلا ان ينقل الى زوجته بعض المعلومات عن اوضاع السجن الجديد خلال احدى زياراتها له : ليس هناك اشياء مثيرة . فالرجال الذين بذلوا جهودا كبيرة مدة عشرين سنة من اجل ادخال بعض الاصلاحات في سجنهم القديم يواجهون الآن تدهورا في ظروف السجن الجديد. وبينما كان هؤلاء يتمتعون على سجن الجزيرة بزنزانات منفردة حشروا الآن جميعا في زنزانة واحدة وسادسهم سجين صغير وجديد . كانوا على الجزيرة يتمتعون بحرية الاختلاط مع السجناء الآخرين في مناخ كميوني عائلي بينما عزلوا هنا عن غيرهم من السجناء. ولم يسمح لهم في هذا السجن بالتمشي وممارسة الرياضة في الساحة الصغيرة المتصلة بالزنزانة والتي يستطيعون فيها رؤية بقعة صغيرة من السماء . فهم مانديلا الآن ما قصده الكاتب اوسكار وايلد عندما وصف هذه البقعة: " قطعة صغيرة زرقاء يسميها السجناء سماءا. "

وخلال السبعينات والثمانينات استطاعت الجمعية المسماة " حملة تحرير مانديلا " التي تاسست في جنوب افريقيا كسب الدعم الدولي واصبح مانديلا رمزا لكل السجناء السياسين في جنوب افريقيا . وفي ١٩٨٥ تدخلت الحكومات البريطانية والامريكية بالضغط على حكومة بريتوريا من اجل اطلاق سراح مانديلا .

تقول وني : " لم يكن لدي مرجع قانوني الجأ اليه ولم استطع الحصول على رخصة للعمل وهذا سبب آخر من اسباب عدم استطاعتي ايجاد عمل . وعندما تقدمت بطلب لزيارة

زوجي في السجن سنة ١٩٦٥ قالوا لي : " لا يمكن زيارة زوجك من غير رخصة ." فاخذوني من بيتي الى الدائرة المختصة وكتبوا لي استمارة الطلب بانفسهم وهكذا تم لي الحصول على رخصة. ان هذه الامور لم اكن أعرفها .

كان علي ان احصل على رخصة جديدة لكل زيارة اقوم بها للسجن من الحاكم المحلي. لم يسمح لي باستخدام سيارتي كما كان محظورا علي ركوب القطارات الأمر الذي اضطرني الى السفر بالطائرة التي كلفتني كثيرا . لقد تبرع بعض الاصدقاء باجور سفري هذه . كما ان الرخصة تحتم اتخاذ اقصر الطرق من المطار الى ساحة كاليدون حيث مركزالبوليس الذي يجب علي زيارته وابلاغه بحضوري ثم اتخاذ اقصر الطرق ايضا من مركز البوليس الى بيت اصدقاء لي في ضاحية ايلسي رفر . ولم يسمح لي خلال اقامتي هناك ترك الدار او حتى الوقوف في باب الحديقة . وترابط سيارة الشرطة لمدة اربع وعشرين ساعة حال وصولي ويتناوب الحراس على الحراسة والمراقبة مدة بقائي هناك . وعندما كان نيلسون في سجن روبن آيلاند . كنت اقف في طابور طويل في الميناء، هذا الطابور الذي يضم جميع الزوار الذين قدموا من محطات القطار المختلفة القادمة من جميع انحاء البلاد .

وكان هناك سجل نوقع به ونسجل اسماءنا وهذا ما فعلته على مدى عشرين سنة . لم يسمح لنا باستخدام الآت تصوير ولا بادخال القطط والكلاب والاطفال دون السادسة عشرة. ان ثمن التذكرة هو ٥٠ سنتا. وبعد ان يذكروك بان حديثك مع السجين الذي تزوره يقتصر على الشؤون العائلية تنزل سلما بعشر درجات الى الرصيف حيث تدخل من هناك القارب الصغير الذي يقلك الى الجزيرة . وعندما يكون البحر هائجا تلغى الرحلة بعد ان نكون قد قطعنا كل تلك المسافة وتكبدنا كل تلك

المصاريف والعناء . تستغرق الرحلة البحرية ٤٥ دقيقة . كانوا في السابق يخصصون لي كرسيا في زاوية معينة في القارب . غير انني كنت اتجاهل ذلك لأن ذلك يشعرني بانني سجينة حتى على ظهر القارب الذي يقلني لرؤية زوجي السجين واعتبرت ذلك سلوكا مجنونا منهم . لذلك كنت اجلس حيثما يحلو لي وفي المكان الذي يجلس فيه الجميع .

وعندما نصل الى الجزيرة يستقبلنا موظفو السجن الذين يرافقوننا الى داخل السجن وقد بنوا جدارا حجريا يحجب الجزيرة كلها من الجهة اليسرى ويمتد البحر على الجهة اليمنى منه .

نمشي بعدها الى الباب الكبير والى غرفة الانتظار التي تحتوي على عدد من الكراسي . وهناك صدفة محار كبيرة وضعت على حاشية النافذة وهي مليئة دائما باعقاب السكائر وهذا مايشير الى عدد الزوار الذين جاءوا قبلي. ويوجد مرحاضان بحالة قذرة جدا وثلاثة حراس يمشون جيئة وذهوبا الأمر الذي يعطيك شعورا بانك سجين ايضا . فالمناخ كله بارد وقاس .

بعدها ينادي احد الضباط برتبة عالية اسم الزائر ويقول: " السيدة مانديلا تستطيعين الان الدخول ". وقبل ان ادخل وفي كل زيارة يذكرك احدهم بالتزام الصمت - وعلى مدى عشرين سنة . ثم يقول ايضا : " عليك ان تتحدثي في الشؤون العائلية فقط وفي حالة التكلم بامور لا نفهمها سننهي الزيارة حالا ." وقد يفرضون قيودا اخرى اضافية كالكلام عن اخبار الصحف التي تنشر كتوقيف احد اطفالنا أو محاولة الاعتداء على حياتي أو خبر عن برقيات التهنئة من رؤساء بعض الحكومات بمناسبة ميلاد نيلسون والتي كانت ترسل الى عنواني - كل ذلك محظور علينا التكلم به الى نيلسون .

كنت دائما آخر من يدخل غرفة المقابلة الصغيرة في

نهاية الممر . وفي هذه الغرفة جدار زجاجي سميك يفصلنا ولأن الاضاءة ضعيفة يصعب على اي منا رؤية الآخر بوضوح . كما يقف ثلاثة من الحراس خلفي وثلاثة آخرين خلف نيلسون . ربما كان نيلسون يراني بوضوح اكثر لأنه كان يطلب مني احيانا الابتعاد عن الحاجز الزجاجي لكي يستطيع ان يرى ما كنت ارتديه . كنا نتكلم بسماعات تتصل بغرفة المراقبة حيث يستطيع المسؤول قطع الاتصال بيننا متى شاء. وقد تسمع صوته يقاطعك بين الحين والاخر ليذكر ويحذر بان يقتصر الحديث على الشؤون العائلية فقط. كنا احيانا نستعمل اسماء دلع لاحفادنا ففي كل مرة نشير الى احد منهم يقطع الاتصال بيننا حالا ونسمع صوت المسؤول يستفسر عن هوية الاسم المذكور. وكثيرا ما تلغى الزيارة من غير ان نعرف السبب وغالبا ما ندخل في جدل عنيف ونتقاذف الشتائم مع الحراس خصوصا عندما كنا نسمعهم يشيرون الى السجناء باسماء تقلل من مركزهم وهيبتهم مثل " الاولاد ".

عندما يسجن احد بقدر ما سجنت انا تتكون لديه مفردات لغوية خاصة يتفاهم بها مع غيره من السجناء وقد تتولد عند الجميع من امثالنا لغة خاصة نستطيع ان ننقل اشياء كثيرة الى بعضنا من غير ان يفهمها الاخرون .

لقد بدأ الحراس يعاملون نيلسون باحترام كبير. فهو بينهم كامبراطور وهم حراسه . لقد استطاع ان يكسب هذا الاحترام وهو بين جدران السجن كما استمر اهتمامه بافراد عائلته وشعبه من هناك . فقد قام بخدمات لتحسين اوضاع السجناء كما كان يفعل وهو خارج السجن .

كان في سجن الجزيرة يقضي نصف يومه في مناقشة مشاكل السجناء العائلية وقد منح ترخيص خاص من ادارة السجن للقيام بذلك وهذا ما فعله على مر السنين . فاذا كان بين

السجناء مثلا من لم يسمع عن اهله وذويه لمدة عشر سنوات يقوم نيلسون باعطائي الارشادات للاتصال بهم وتفقد احوالهم. هناك حالات كثيرة تسببت في تمزيق العائلة وتشتتها. وقد طلب مني ان اجمع التبرعات لبعض الاطفال السجناء من اجل مواصلة تحصيلهم العلمي وهم في السجن .

كنت اجلس امام نيلسون واستمع الى ما يقوله لي وما يطلبه مني كطفلة صغيرة تستمع الى والدها . كثيرا ما يدفعني هذا الى التفكير بانني قد اكون امتدادا لاطفاله اذ لااعتقد بانه يتصور بانني كبرت عما كنت عليه عندما تركني. فكان يردد علي بتكرار ما يوصيني به ويتكلم ببطء ويعيد علي ما يقوله وكأنه يلقن طفلا درسا لا يستطيع رفضه. زندزي هي الوحيدة التي تستطيع احيانا مقاطعته عندما ترى بان مطاليبه كثيرة ولكن النتيجة واحدة اي الاستجابة الكاملة . اذ انه يقول لها مثلا : "فكري يا حبيبتي بما اقوله ثانية . " فتجد نفسها موافقة من غير تردد على ما يقول . ان لديه طريقة واسلوب في الاقناع من غير تسلط بحيث لا نستطيع ان نرفض او نناقش ما يقول . كنت اهابه الى درجة تجعلني اتمرن على الطريقة التي ساتكلم بها معه قبل ملاقاته وكنت احيانا اكتب ما اريد قوله لأرى فيها اذا كان اسلوب الطرح جيدا أم لا . (تضحك)

وبعد ٤٥ دقيقة يقول لنا : "انتهى الوقت !"فنقبله ونودعه من وراء الحاجز الزجاجي .

لا ادري ماذا يفعل نيلسون في السجن خلال ساعات النهار ما عدا تلك الاشياء التي يذكرها في رسائله . ان الغاء تسهيلات الدراسة وحرمانه من مواصلتها في السجن اجراء قاس. لقد ادعوا بانهم عثروا على مذكرات كان يكتبها في مكان ما في السجن وفي هذا اساءة لمن منحه تلك التسهيلات .

لقد احتج نيلسون وطلب منهم رؤية تلك المذكرات المزعومة غير انهم لم يفعلوا ذلك وقد انتظرهم سنة كاملة ولا ادري ماتم من امرها .

ارسلت له مرشد الريدرز دايجست عن جنوب افريقيا وهو دليل سياحي غير ان الكتاب ارجع لي . كما انني ارسلت له كتابا عن حرب البوريين - ليطلع على القوى التي يحاول مقاومتها وهو من الاشياء التي قد تثبط عزيمته اكثر من اي شيء آخر ولعل ادارة السجن ستكون سعيدة في معرفة هذه القوى غير ان الكتاب أرجع لي كسابقه.

ولم يسمح له بتسلم الهدايا والطعام الا قبل فترة قريبة. ولا أدرى نوع الاذى الذي تسببه علبة من الشوكلاته ترسل الى رجل محكوم عليه بالسجن المؤبد! كما انهم رفضوا اعطاؤه ساعة يد هدية ارسلناها له بعيد ميلاده. انهم يسمحون له برؤية الهدايا ولمسها قبل ارجاعها الى مرسلها والشيء الوحيد الذي يسمح له بتسلمه هو النقود .

لقد روجوا اشاعات عن تدهور صحة نيلسون. ففي سنة١٩٨١ اذاع هاري بتمان السياسي الابيض أن نيلسون يعاني من السرطان. لا أدرى من اين اتى بهذه المعلومات القاسية وكيف نصب نفسه المتحدث بأسم عائلة مانديلا. لنفرض أن الامر صحيح أو لم يكن أمر اذاعته من مسؤولية العائلة؟ إن هذا يفسر علاقة السيد والخادم. لقد نصبوا انفسهم اسيادا علينا يعرفون عنا ما لا نعرفه نحن ! ومن اجل تكذيب مااذاعه هاري بتمان طلبت من السلطات اضبارة نيلسون الصحية ودهشت عند الاطلاع عليها، انه لم يعان وهو في السجن الا من وعكات صحية طفيفة كالنزلات التي عولجت بالاسبرين - لقد سبق وذكرت أن نيلسون لا يؤمن بتعاطي الدواء بل في ممارسة الرياضة ! وكان آخر تقرير من رئيس الاطباء بعد أن راجعه نيلسون وهو يشكو

من زيادة في الوزن اذ ان وزنه ازداد من ٧٧ كيلوغراما الى ٨٠ كيلوغراما . فوصف له الطبيب طعاما غنيا بالبروتين وصار يأكل الان السمك في وجبة العشاء. وهذه هي المرة الاولى التي اطلع فيها على طعام زوجي في سجلات السجن.

انه يعيش بأمل تسلم الرسائل وزياراتنا له - هذا الى جانب الأمل الكبير في الخروج من السجن . وقد لعبت هذه الرسائل والزيارات دورا مهما في حياته واكثر ما كان يسعده هو زيارات الاطفال له - علما ان زيارة الاطفال دون السادسة عشر من العمر ممنوعة. ولأنه عاش بعيدا عنهم كان علينا ان نقدمهم اليه عند زيارتهم الأولى كأي شخص غريب. أنها لتجربة مؤلمة جدا لنا جميعا. فليس من السهل على الام ان تقدم اطفالها لوالدهم قائلة :" هذا والدكم الذي حكم عليه بالسجن المؤبد ". كما انه ليس بالأمر الهين على الطفل ان يرى والده الذي سمع عنه الكثير وهو سجين في مثل هذه الظروف وفي مثل هذا المناخ. فالأمر صعب من الناحية النفسية على جميع الاطراف. اننا لا نعرف كيف ستكون ردة الفعل عند الطفل. فأما ان يسبب له ذلك انهيارا نفسيا وعصبيا او ان يجعل منه طفلا صلبا كالحجر فخورا برؤية والده السجين.

كيف يمكن ان تربي طفلا في مثل هذه الظروف والبيئة. وقد يختلط الأمر عليه ويضيع مفهوم الجريمة والعقاب اذا ماعلمته ان يفخر بوالديه اللذين يقفان وراء القضبان. ان المجرم بالنسبة لاطفالنا هو الذي يكافح من اجل الحرية - فكيف له ان يتعلم الفرق بين المجرم الحقيقي وبين المناضل ؟

زندزي تتذكر اول زيارة لوالدها في السجن عند بلوغها السادسة عشرة من العمر

كنت خائفة وقلقة في بادىء الامر وقلت مع نفسي "يالهي أهذا هو والدي .. ماذا سأقول له ؟ هل سيفخر بي ؟ وهل أنا بالمستوى الذي تصوره ؟ غير انني وجدته شخصا دافئا ونبيها ولبقا. بادرني بالقول :" ياحبيبتي لازلت اراك بنتا صغيرة كما كنت تجلسين في حضني." فأزال هذا قلقي وجعلني أنسى كل ما يحيط بي وبعدها بدأنا نتكلم عن احلامنا حتى تخلصت من قلقي كله. ان لأبي حسا عاليا للفهم والنكتة وهذا ماجعل كل شيء يجري على مايرام.

لقد كان ملما بكل شيء وبكل ماحدث ويحدث فمثلا قال لي معلقا على الزيادة في ايجارات البيوت :" ارجو ان لا تكوني قد دفعت الزيادة لانني ارى ان تمتنعي عن ذلك ياحبيبتي." كما نبهني عن الصحف المقاطعة وعدم شرائها. هذا ماقاله لي وما طلب مني أن افعله كجزء من المساهمات النضالية.

انهم يحترمون والدي في السجن حتى ان احد الحراس اخذ احد الاحفاد وصار يتمشى معه فهم يستطيعون ان يكونوا انسانيين عندما يرغبون.

كنا اخر من دخل الى المقابلة وعندما كنا نقابل السجناء الآخرين وهم يخرجون من اماكن الزيارة يحييوننا رافعين ابهامهم وهي اشارة الامل والنصر. كانوا على درجة من الوقار ولازالوا يحتفظون بشبابهم .

فمعنوياتهم عالية جدا وهم يشكلون كتلة موحدة ومتماسكة فبينما تراهم هكذا داخل السجن ترى الانشقاق والتمزق خارجه. فمعنوياتهم مازالت كما كانت عليه في الخمسينات ولم تتغير

ابدا. لقد قيل لي ان " ولتر سيسولو هو امين سرهم يلجأ اليه الجميع عندما تواجههم مشكلة ما. كما ان جوفان مبيكي هو فيلسوفهم ومانديلا ابوهم وقائدهم." وتقول وني معلقة: "لو لم يكن مانديلا ماهو عليه الان لكان عالما نفسيا عظيما. فلديه القدرة على قراءة شخصيات الناس من الطريقة التي يتكلمون او يكتبون بها. فيقول لي مثلا :" لابد وانك كنت تفعلين كذا وكذا عندما كتبت تلك الكلمة او مسحت تلك او اخطأت بأخرى." فكان مايقوله صحيحا ! فالعقل كما يقول لا يخطىء ولابد ان يكون للخطأ سبب. فابدأ بذكر السبب الذي جعلني اخطىء لكي يقوم هو بتحليل مقنع يبعدني عنه في المستقبل.

فهو كذلك محامي قدير جدا ومثالي يطلب الكمال من غير سيطرة او تسلط وله قدرة على فلسفة الامور بدقة. لم اعش معه مدة طويلة تكفي لمعرفة هذه النواحي من شخصيته غير انني اكتشفتها فيه بعد دخوله السجن. لقد ورثت زندزي عنه الكثير. فقد كان باستطاعته ان يصبح كاتبا لو سمحت له الظروف بذلك.

مقتطفات من رسائل نيلسون مانديلا من سجن روبن آيلاند الى زوجته وني مانديلا

رسالة نيلسون الى زوجته :   ٦ مايس ١٩٧٩

كنت آمل ان اناقش مع زندزي المشروع* الذي ترغب في القيام به هذه السنة. أن رأيي - وان كان هذا يتوقف على ماستقوله - هو ابعاد بعض الأشخاص عن عملها. ان اعمال مثل هذه يجب ان تكون بالطبع صادقة بالنسبة للاحداث - الجميل منها والقبيح. عليها ان لا تظهر الناس حتى الشخصيات العزيزة منها بمظهر الملائكة بل يجب ان تصورهم اناسا من لحم ودم فيهم فضائل وعيوب.

لقد كثرت وانتشرت مثل هذه السير الصريحة جدا خصوصا تلك التي تكتبها الاجيال الصغيرة وذهب البعض منهم الى مناقشة امورا صميمية وخاصة تلك التي يعتبرها البعض مشينة وغير لائقة. هل قرأت ماكتب عن صوفيا لورين وعن ماركريت ترودو زوجة رئيس وزراء كندا السابقة ؟ لست بالموقع الذي استطيع ان احكم منه عن الاضرار التي سببها الكتاب لمركز الرئيس ترودو السياسي. فالحياة العائلية السعيدة هي دعامة مهمة في حياة الرجل السياسي مع ذلك فأن ما تقوم به زندزي سيخدم قضايا كثيرة وخصوصا وان الغرض ليس تجاريا ولا رغبة في الشهرة.

---

* سيرة حياة العائلة.

لولا زياراتك ورسائلك وحبك لانتهيت منذ سنوات. توقفت قليلا لاشرب تهوتي وبعدها مسحت الاتربة من على الصور الموضوعة على خزانة كتبي. بدأت بصورة زيني التي هي على الجانب الآخر وبعدها صورة زندزي وبعدها صورتك ياماما الحبيبة. ان عمل مثل هذا يخفف عني حدة الشوق اليك.

رسالة نيلسون الى زوجته

٢ أيلـــول ١٩٧٩

كنت على حق في اعتبار سنة ١٩٧٩ عام المرأة*. يبدو ان هذا الاتجاه تأثير مواعظي لمطالبة المجتمع بالمساواة بين الرجل والمرأة. فالسيدة الفرنسية سيمون فيل عاشت تجربة صعبة جدا لكي تصبح رئيسة للبرلمان الاوربي بينما ضربت ماريا بينتا سيلكو السوط في البرتغال. ولم يعرف من التقارير من الذي يحكم عائلة كارتر ويقودها اذ يبدو احيانا ان الذي يرتدي البنطلون هي روزالين كارتر ولا حاجة الى الحديث عن ماركريت تاتشر! فعلى الرغم من تدهور الامبراطورية الكبيرة وخروجها من الحرب العالمية الثانية كقوة من الدرجة الثالثة فأن بريطانيا لازالت من نواحي كثيرة مركز ثقل للعالم. فما يحدث هناك يثير انتباه القاصي

---

* ان ذكر مثل هذه الامور العامة لا تخضع للحظر. ولكن لا يحق للمعتقلين مناقشة احوال السجن او الشؤون السياسية في جنوب افريقيا في رسائلهم.

من العالم والداني. انديرا تذكرنا بحق ان العالم الاوربي ينهج على نهج اسيا التي استطاعت في العقدين الاخيرين ان تقدم للعالم رئيستين للحكومة. كما انها اوضحت أن القرون السابقة رأت رئيسات دول وحاكمات عديدات مثل ايزابيلا في اسبانيا، واليزابيت في انكلترا وكاترين العظيمة في روسيا (علما بانني لا اعرف مقدارٌ عظمتها!) والملكة باتوكوا ومانتاتيسي وغيرهن. ولكن كل هؤلاء وصلن الى هذا المناصب على الرغم منهن - اي بالوراثة. اما اليوم فأن الضوء يسلط على نساء استطعن الوصول الى مناصبهن بجهدهن الخاص وقد حصدن حصادا كبيرا مع عام ١٩٧٩.

راجعت جراح العظام في ١٦آب لفحص كعب قدمي اليمنى الذي بدأ يؤلمني ثانية، وسأتكلم عن ذلك مع الدكتور ايدلستاين عند جولته القادمة في السجن. كان البحر هائجا في اليوم الذي نقلني به الزورق (دياس) الى كيب تاون. وعلى الرغم من انني اتخذت لي مكانا في زاوية مسقفة على السطح غير انني لم اسلم من الرذاذ الذي كان يأتينا كالمطر. كان القارب يتمايل بشدة غارفا الامواج بمقدمته. وعند وصولنا منتصف الرحلة بين الجزيرة وكيب تاون شعرت وكأن جيشا من الشياطين ظهر امامي في حالة هياج ينزل على الزورق بصوت وقرقعة وكأن الاف من الكتل الحديدية تتكسر وتتفتت. تسمرت عيناي على حزام أمان على بعد خطوات مني. وكان هناك خمسة من الحراس يقفون بيني وبينه ، شبان صغار بعمر احفادي. قلت في نفسي :" لو حدث شيء وغرق الزورق ساقترف اخر ذنب على الارض واعتذر بلطف عندما اصل الجنة - سوف أكون اول من يصل الحزام ." من حسن الحظ لم تحصل الكارثة المتوقعة.

ماذا بعد ياماما العزيزة ؟ لقد تغيرت وانت في الخامسة

والاربعين عما كنت عليه عندما جلسنا وحدنا في ذاك المساء في المروج المنبسطة من المنطقة الزراعية جنوب المدينة. ولكن على الرغم من اختفاء حرارة دم الشباب من عروقك والذي ترك اثره على وجهك وبشرتك الجذابة الملساء التي كانت سر سحرك في الخمسينات فأن حبي لك ازداد وانا في حالة شوق دائم لضمك الى صدري. فأنت كل مايجب ان تكون عليه الأم. عيد ميلاد سعيد ياماما الحبيبة. احبك !

المخلص ابدا

ماديبا (نيلسون).

رسالة نيلسون الى زوجته :

١٩٨١/٣/١

اتمنى لك النجاح في امتحاناتك وفي قضيتك المعلقة*. ان سجلك الاكاديمي يجعلني واثقا من انك ستجتازين الامتحان حتى وان كان لديك شك في ذلك. انني اعتبر شكوكك هذه نوعا من التواضع من شخص يرغب دائما من التأكد التام من النتائج قبل التنبوء بها. مرة اخرى لك مني احلى الامنيات وحظا سعيدا.

اما عن المحاكمة فاننا نحتاج الى اكثر من الصدفة والحظ. ففي الأمر مخاطر لكل الذين لهم علاقة. ان هذه

---

* اتهمت وني مانديلا بمخالفتها امر الحظر عندما اسكنت معها نزيلا في بيتها في براندفورت وقد أجلت الدعوة الى مايس ١٩٨٠.

المحكمة جعلت من كل قضية من قضاياك مهما كانت تافهة اكثر من محاكمة عادية قد لايمكن ان يلعب فيها الحظ دورا في تبرئتك. ان اطلاق سراحك يتم في كل مرة بجهود ومهارة الاصدقاء من ذوي الخبرة. وانا على يقين انهم سيبذلون كل جهد في هذه المرة ايضا مهما كان الحكم النهائي.

ومهما حاولت التسلح بالشجاعة فليس باستطاعتي ان اعتاد على وجودك في السجن. فهناك اشياء قليلة تنغص علي حياتي كلها كهذه المصاعب التي يبدو انها ستستمر في مطاردتنا الى فترة اخرى من الزمن. لايمكن ان انسى الفترة العصيبة التي مرت علينا بين مايس ١٩٦٩ الى ايلول ١٩٧٠ والستة اشهر التي قضيتها في سجن كرونستاد.

ان اسكان شخص معك (اذا كان هذا صحيحا) هو احتراز ضروري من قبلك لا أرى فيه تحديا ضد اية جهة. فهي خطوة معقولة جدا ليس فيها مايثير الاستياء او الخطر. ارجو ان تخبريني بيوم المحاكمة ونتائجها. سافكر بك دائما خصوصا عند سوقك الى قفص الاتهام والاستماع الى ماهو متوقع وغير متوقع في ادلة الادعاء. فانا معك بكل ماالمك من قوة وانا اعلم انك تقاسين كل هذا بسبب حبك واخلاصك لي وللاطفال وللعائلة الكبيرة - الوطن . ان هذا الحب وهذا الاخلاص وهما في حالة نمو مستمر يأسراني في كل مرة تأتين لزيارتي.

لا اتذكر فيما اذا كان هذا الشاب المقصود الذي اسكنتيه معك هو الطفل موكورو الذي ارسلته الى المدرسة في غرب اورلاندو . ففي اي صف هو الان ؟ وهل توجد الان مدرسة اعدادية في فاثاكال ؟ انني على ثقة انه سيستفيد كثيرا وهو تحت رعايتك الشخصية وانك ستحاولين مافي وسعك لرعايته. كنت ارغب في مفاجئته برسالة قصيرة او بطاقة بوست كارت غير اني لا اريد حتى محاولة ذلك اذ انني

واثق انه سوف لن يتسلم ماسارسله. مع ذلك بلغيه تحياتي الحارة.

اعتقد انك قمت بتهنئة تمبي*١ وخطيبها بمناسبة خطوبتهما وانك سترسلين لهما هدية في القريب ربما ستكون الهدية سيرة ذاتية او سيرة حياة لاحدى مشاهير النساء مثل اوليفر شراينر وهذا ماترغب تمبي الحصول عليه. على ان يحمل الكتاب توقيعك وتوقيع زيني وزندزي واصدقاء يتم اختيارهم بدقة مثل الجدة.

ارسل الكتب لزندزي في اورلاندو في اربعة صناديق متفرقة واتمنى ان تطلعي عليها. اكثرها كتب افريكانية مع كتب اخرى وبينها كتاب لعالم نفسي مشهور يدعى كارل يونك ربما سترغبين انت في قراءته.

سأكتب لأسماعيل لأشكره على المساعدات الكثيرة التي قدمها لنا.. أرجو ان تعملي مع زندزي واسماعيل وجورج*٢ لتحرير الرسائل لهؤلاء الذين عملوا باخلاص على ترشيحنا رئيسا فخريا لجامعة لندن. لابد وان تأييدنا بـ ٧١٩٩ صوتا ضد مرشحين مشهورين مثل الاميرة آن*٣ قد شجع وألهم الاولاد وكل الاصدقاء داخل وخارج البلاد. ولابد ان وقع ذلك كان أكثر عليك منهم جميعا لتحويل ذلك الكوخ الحقير الى قلعة وتحويل تلك الغرف الصغيرة الضيقة الى غرف وصالات واسعة كقصر وندسور! ارجو ان يعلم مؤيدونا انني لم اتوقع ١٠٠ صوتا

---

*١ تمبي هي ابنة اوليفر وآديليد تامبو.

*٢ اسماعيل ايوب وجورج بيزوز موكلا عائلة مانديلا لسنوات طويلة.

*٣ انتخبت الاميرة آن رئيسة للجامعة على الرغم من المنافسة بينها وبين نيلسون.

فكيف لي ان احصل على ٧١٩٩ ضد اميرة بريطانية ! وضد مصلح معروف مثل السيد جاك جونز . ان لهذا الرقم دلالة اكثر مما تعبر عنه قصاصة ورق صغيرة ترشحني وانا في مثل هذه الظروف.

لقد نقص وزنك قليلا ولست الوحيد الذي لاحظ ذلك ومع ذلك فأنك تبدين رائعة ومغرية خصوصا في صباح يوم الاحد مع اقراطك المدلاة حتى صدرك ! كنت ارغب في تقبيل الحاجز الزجاجي عند انتهاء الزيارة .

مادیبا (نیلسون)

تقول ونـي :

عندما نقل زوجي الى سجن بولسمور في كيب تاون في نيسان ١٩٨٢ كان التفسير المنطقي لذلك بالنسبة لعامة الناس انهم أرادوا وضعه في مكان قريب من مستشفى كروت شور وفي هذا تأكيد للشائعات التي انتشرت عن مرضه . كان ذلك صدمة كبيرة لنا جميعا كما كانت التحريات التي اجريت امرا لايطاق. لم اكن اعلم عن امر نقله وقد قرأت ذلك في صحيفة وضعت الخبر في صفحتها الأولى كما اذيع الخبر من على شاشة التلفزيون مساء اليوم نفسه. بعد مدة تسلمت رسالة من السجن يخبروني فيها - بنفس اسلوبهم الجاف - ان زوجي نقل الى سجن بولسمور.

كانت زيارتي الأولى للسجن تجربة لا تنسى. فالطريق الى السجن يمر بأكثر الضواحي السكنية ترفا في كيب تاون ، والمناظر جميلة وخلابة ببيوتها ومبانيها الاصيلة الخاصة بسكان المستعمرات - منطقة لم ارها من قبل لانني كنت دائما

ملزمة بالبقاء في مكان سكناي . كنت اتمنى ان يكون نيلسون قد رأها ايضا ، هذه المناظر الخلابة والجمال الطبيعي وحقول العنب ، هذه الارض التي نذر حياته لها . لابد وان بقاءه عشرين سنة في سجن الجزيرة انساه جمال الريف وخضرته الطبيعية .

عندما وصلنا السجن رأينا مبنى انيقا لا يشبه السجن بل هو اقرب الى مؤسسة تكنولوجية حديثة - بناء ضخم ومعقد يضم اكثر من ٦٠٠٠ سجين . تشعر وانت في المدخل انك في سجن الحراسة المشددة حيث تسلح الحراس تسليحا ثقيلا . ثم اخذونا الى غرفة الانتظار - صورة تختلف تماما عن سجن روبن آيلاند .

كان الحاجز الزجاجي بيننا يسمح بالرؤية الى حد الخصر . وامامنا جهاز ينقل الصوت ويكبره فيأتي اكثر وضوحا من نظام السماعات التي كنا نضعها على الاذان .

كان نيلسون بصحة جيدة جدا . السؤال الأول كان عن اسباب نقله التي كان يجهلها . اعتقد ان السبب المنطقي هو اداري . وقد اخبرني انه استشار في اليوم الاول من نقله محاميا من كيب تاون مستفسرا عن سير تعليم السجناء الصغار في سجن الجزيرة الذي تركه . كان معظم هؤلاء الصغار - قد سجن بعد انتفاضة ١٩٧٦ - وقد استطاع نيلسون مساعدتهم في مواصلة دراستهم وكان عند نقله قد تسلم صكا بـ ١٤٠٠٠ روبية مساعدة لذلك .

لقد اقلق البرنامج الثقافي الذي وضعه نيلسون لهؤلاء السجناء ادارة السجون واطلق على الجزيرة اسم جامعة نيلسون مانديلا . فقد تخرج بعض السجناء الذين كانوا في الصف السادس اعدادي بشهادات جامعية وهم في سجن الجزيرة . غير ان هذا البرنامج توقف عند نقله من الجزيرة .

واخبرني بالمناسبة انه لم ير شجرة واحدة في طريقه الى

السجن لأنه نقل في شاحنة عسكرية تكفي لحمل عشرة فيلة وضعوا السجناء في مكان اشبه بالقفص وهم ثلاثة فقط. كان عليهم ان يقفوا طوال الرحلة لأن القفص الذي وضعوا فيه لا يكفي للجلوس وقد استغرقت الرحلة ساعة واحدة.

وآخر مرة رأى فيها ورقة عشب كانت في سجن الجزيرة. فهو الان لا يرى الا رقعة صغيرة من السماء. لقد شيد هذا السجن في وادي وبشكل لا يمكن للسجين ان يرى حتى الجبال المحيطة به. غريب ان يبدأ الانسان بمقارنة بلاء مع اخر. فلم يكن سجن الجزيرة الا الموت بعينه ولكن عند نقله منها صارت الجزيرة تبدو وكأنها جنة بالمقارنة مع هذا السجن. وزيادة في التعذيب النفسي كان اسمه قد حفر على زنزانته في سجن الجزيرة لخلق شعور نفسي انه سيبقى فيها الى الابد وفيها نهايته. غير انه كان يتمتع بحرية التجوال في ساحة السجن الواسعة وكان لديه حديقة صغيرة يقلب تربتها بشوكة الطعام ويراقب زرعه ينمو. ماشد سخرية القدر! ان سجن بولسمور قلعة بحق وحقيق من ناحية البناء والمظهر بالمقارنة مع سجن الجزيرة، غير ان وضع نيلسون فيه اسوأ مما كان عليه هناك.

انه يقيم مع العم ولتر واربعة اخرين في زنزانة باردة رطبة لا يتمتع بها بخصوصية تمكنه من الدراسة او ممارسة اي عمل خاص وهو ورفاقه معزولون عن بقية السجناء. ان في هذا قتل للروح وقد تعرض هنا لضغوط نفسية لم يتعرض لها في سجن الجزيرة. لقد اعتاد مجتمع الرفاق السجناء في الجزيرة لمدة عشرين سنة والذي حرم منه فجأة وهذا يعني حرمانه حتى من رفقتهم ! اي خوف يحمل هؤلاء الناس الى القيام بمثل هذه الاعمال اللاانسانية المجنونة!.

كان الضابط كريكوري الذي جاء معهم من روبن آيلاند لطيفا للغاية. يقول لي مثلا عند وصولي الى السجن " سيأتي

زوجك حالا فهو مايزال يحلق ويستحم. عليه ان يبدو حسن المظهر عند ملاقاتك. ارجو ان لا يزعجك الانتظار لدقائق" لم يسبق لي ان سمعت مثل هذا الكلام في الجزيرة. كنا نسمع هناك عند انتهاء الزيارة جملة : " انتهى وقت الزيارة " . بينما يقولها هنا كريكوري كما يلي : " السيدة مانديلا لديك خمس دقائق اخرى. "

ان نيلسون هو نفس الشخص الذي تركنا قبل عشرين سنة ويتمتع بنفس الروح العالية التي تشع منه انها. فروحه اقوى واعلى من ان يصيبها العطب وهذا صفة رفاقه جميعا. فهم جميعا بتفانيهم وانصرافهم الكامل لقضيتهم وصمودهم مدهشون. فهم يشعرون انهم احرار والسلطة التي وضعتهم في السجن هي السجن الحقيقي . وينظرون الى حقيقة كونهم في السجن واقعا عليهم معايشته. انهم - وكل واحد منهم - يبعث العزيمة بالآخر ويساعدهم على ذلك ايمانهم الراسخ انهم يناضلون من اجل قضية عادلة يساندهم في ذلك السجناء الجدد الذين يؤكدون لهم ان النضال مستمر خارج السجن. ويتمتع نيلسون بنفس الثقة والاحترام الذي كان يتمتع بها دائما ومن غير ان يقوم بفرض نفسه على الآخرين. ففيه ما يبعث الاحترام والثقة وهو يكمن فيه ولا يمكن تجاهله ولا حتى من قبل البوليس سواء كان ابيض ام اسود.

ففي احد الايام ذهبت لزيارته مع زندزي غير انهم اخبرونا انهم الغوا الرحلات البحرية بسبب هياج البحر والظروف الجوية. غير ان نيسلون الح على ذهابنا لأنه كان يريد رؤيتنا. فجاءت مخابرة هاتفية من الجزيرة نقلنا على اثرها بعد ان اعطونا حبوبا لمنع دوار البحر. كان زورقنا الوحيد الذي عبر البحر وللتغلب على الدوار بدأنا نغني طوال الرحلة ولم نشعر حتى بهياج البحر. "

حصلت زيني ابنة مانديلا وزوجها وطفلتها الرضيعة زاما سوازي فجأة على اذن لزيارة نيلسون زيارة اعتيادية من غير حاجز زجاجي - وهذا اجراء دبلوماسي خاص لأن زيني متزوجة من احد افراد العائلة المالكة في سوازيلاند. تقول زيني عن هذه الزيارة:

"لم يكن والدي قد راى طفلا لست عشرة سنة. كان يرانا من غير ان يلمسنا وكنت اتوقع ان يصاب بانهيار. ففكرت انني لو تماسكت فسوف يساعده ذلك في مواجهة الموقف. تقدمت نحوه وكنت على وشك ان اسقط الطفلة من يدي لأنني لم اصدق انني سالمس والدي. اعطيت الطفلة لزوجي وركضت نحوه وعانقته واظن اننا بقينا متعانقين لمدة طويلة طويلة وامام الحارسين الاخرين اللذين كانا يقفان خلف ابي. ثم اخذ والدي الطفلة وظل يحملها طوال مدة الزيارة ولكنه لاحظ في التو انها بحاجة الى تغيير لفائفها كما انه ساعدها على التجشوء وكأنه خبير بشؤون الاطفال ثم لاعبها قبل ان تنام وتغفو في يده".

تقول ونـي:

" وفي السنة التي تلت اخذت زاما سوازي ابنة زيني معي عند زيارته وكان المنظر مؤلما عندما بدأت الطفلة تضرب الحاجز الزجاجي لأنها لم تستطع رؤيته بوضوح وصارت تصرخ وتقول: " افتح يابابا ، افتح اريد الدخول ". فابتسم نيلسون وقال مشيرا الى الحراس: " هذه هي المفاتيح اطلبي منهم ان يفتحوا ". فاصيبت الطفلة بهستيريا من البكاء تضرب الزجاج وتقول: " افتح يابابا اريد الجلوس في حضنك!" كانت تلك زيارة فظيعة حركت مشاعر الحراس وقد رأيت عيونهم مغروقة بالدموع.

وفي عطلة نهاية الاسبوع الواقعة بين ١٢-١٣ مايس ١٩٧٤* سمحوا لنا باول زيارة من غير حاجز وقد كانت آخر مرة لمسنا فيها يده منذ سنة ١٩٦٢ ولم نكن نعلم مسبقا عن ذلك. فعندما وصلت الى سجن بولسمور - وكانت معي زيني واصغر اطفالها - ناداني الضابط كريكوري الى مكتبه فقلقت لذلك لانني تصورت ان نيلسون مريض ويريد كريكوري اخباري بذلك اذ لم يكن قد فعل ذلك معي من قبل. فقال لي: " ستكون زياراتك من الان فصاعدا مختلفة. رأيت ان اخبرك بذلك بهدوء". فدخلنا على نيلسون وقبلناه وعانقناه لمدة طويلة. هذه اشياء لا يمكن وصفها بكلمات. كانت تجربة جميلة ومؤلمة في الوقت ذاته. تألم كريكوري لمنظرنا فأدار وجهه الى ناحية اخرى. كان النظام على درجة من القسوة وقد حرمنا حتى من هذا الحق لمدة اثنين وعشرين سنة! كيف يحرمون رجلا محكوما عليه بالسجن المؤبد من الالتقاء بافراد عائلته ؟

كنت انتظر الزيارات بشوق كبير غير ان رحلة العودة امر صعب جدا لانني كنت في كل مرة اشعر بفراغ. لا استطيع ان اتصور ان سنوات العمر هذه - واحلاها تمر بهذا الشكل وتستنزف هكذا.

ان الأمل هو الذي يساعدنا على الصبر والصمود - الأمل في عودة هؤلاء الرجال في يوم ما. هكذا نبدأ بانتظار الزيارة التالية. والذهاب اليهم تجربة عظيمة اذ ان الانسان يشعر وكأنه يشحن بطارياته ويتزود بطاقة كبيرة في كل مرة يزورهم. ولا شك في عودتهم من اجل ان يلعبوا دورهم الشرعي في جنوب افريقيا السوداء.

---

* هكذا في الاصل ويبدو من السياق ان التاريخ الصحيح هو ١٩٨٤ (المترجمة)

لقد عرضت عليه الحكومة مرات عديدة اقتراحا لاطلاق سراحه بشرط ان يبقى في منطقته في ترانزكي . غير انه رفض بالطبع. فالحكومة تمنحه حريته بعد اثنين وعشرين سنة من الكفاح والسجن ! هذا امر لا يستحق حتى المناقشة لأن ذلك يعني الرجوع الى الوراء. ان اخر عرض تقدمت به الحكومة للافراج عنه كان في شباط ١٩٨٥ بشرط ان يتخلى عن سياسة العنف ويلتزم بالشروط.

لقد اصبح غضب الجماهير امرا لايمكن كبحه او السيطرة عليه كما ان الاقتصاد تردى الى درجة الافلاس لأن المجتمع الدولي اعطى ظهره في النهاية للمشكلة الاقتصادية بسبب سياسة الحكومة العنصرية . ولقد ادرك العنصريون ان قادتنا كانوا على حق عندما تنبؤا بكل ماحدث قبل سنوات اي في سنة ١٩٦٤ - وهذه قراءة تاريخية لرجال يتحسسون المستقبل ويتخذون قرارات حازمة للالتجاء الى الكفاح المسلح.

لقد خلق النظام العنصري - فرانكشتاين - المارد الذي سيؤدي به الى الخراب . كيف لهم ان يتخلصوا منه. ان الحل الوحيد هو اطلاق سراح هؤلاء القادة والعمل بما اقترحوه منذ سنوات عديدة. غير ان الافريكانيين المتعصبين لا يستطيعون الكشف عن فشلهم امام جمهور الناخبين.

لو انهم اصغوا الى اصوات الجماهير لما واجهت البلاد مثل هذا الارباك السياسي الذي تواجهه الان فمسك اليمين واليمين المتطرف كل بخناق الاخر نتيجة لذلك.

ان المشكلة تكمن في كيفية اطلاق سراح هؤلاء القادة في جنوب افريقيا التي لم تخط خطوة واحدة الى الامام بالنسبة الى جماهير هذه البلاد. فكيف يطلق سراحهم تحت الظروف نفسها التي لم يتغير فيها شيء والتي قدموا حياتهم من اجل تغييرها ؟ لم يأخذ النظام الحاكم بأي بند من بنود دستور

الحرية. فكيف يطلق سراح الرجال، الذين ناضلوا وكافحوا طوال هذه السنوات ليواجهوا نفس الظروف كوضع تلك الطوابع والاختام المهينة على جوازات سفر مهينة تحدد مكان الاقامة والتفتيش عن عمل ؟ اية حرية هذه التي يمنحونها لهم ؟ اية حرية هذه التي تفرض عليهم تراخيص اقامة وعمل تعطى لهم من قبل نفس السلطة التي سجنتهم بسبب مطالبتهم بأزالة هذه العوائق والاجراءات المهينة ؟ اية حرية هذه والفصل العنصري مازال قائما والحالة تتردى الى اسوأ مما كانت عليه قبل اثنين وعشرين سنة. اية حرية هذه في بلد تتقاتل فيه الاجناس وقد أمسك كل واحد بخناق الآخر؟

لقد تكلم بوثا عن حرية السجناء بشكل يختلف عما يفكر به السجناء انفسهم. اذ لم يسجن هؤلاء الرجال في اية مرحلة بسبب حريتهم الشخصية. لقد سجنوا لانهم طالبوا بحرية محبي السلام في هذه الارض ونذروا انفسهم من اجل حرية مالكيها - فلا يستشار السجين في اي مكان في العالم عن حريته وكما قال مانديلا: "ان التفاوض لا يتم الا مع الرجال الاحرار."

في ٣١ كانون الثاني ١٩٨٥ اعلن الرئيس بي.دبليو.بوثا ان الحكومة تدرس امر اطلاق سراح نيلسون مانديلا بشرط ان " يتعهد بعدم التخطيط او التحريض على اعمال العنف من اجل ترويج وتعزيز اهداف سياسية." وقد عرض مثل هذا الاقتراح على بقية رجال ريفونيا الذين حكم عليهم بالسجن المؤبد ايضا.

قرأت زندزسوا (زندزي) ابنة نيلسون رد والدها نيلسون على اقتراح الحكومة على الجماهير التي اجتمعت في ملعب جوبلاني في سويتو في ١٠ شباط ١٩٨٥. قالت زندزي مخاطبة الجماهير :

لقد قابلت امي ومعها محامينا والدي في سجن بولسمور

وحصلت على رده للرئيس بوثا عن شروط اطلاق سراحه. وحاول مسؤولو السجن منع ذلك غير ان والدي اصر على ان يسمعه الشعب كله.

كان المفروض ان يخبركم بذلك والدي بنفسه، عن رايه في اقتراح بوثا غير انه لا يستطيع ذلك كما ان امي التي استمعت الى رده هي الاخرى غير قادرة على التكلم اليكم اليوم.

ان ابي ورفاقه في سجن بولسمور يبعثون اليكم بتحياتهم. انتم شعب هذه الارض المنكوبة، المحب للسلام وهم على ثقة كاملة انكم ستستمرون على الكفاح من اجل الحرية.

انه ورفاقه في سجن بولسمور يشكرون الجبهة الديمقراطية الموحدة التي ساعدت من غير تردد في اتاحة هذه الفرصة لهم للتحدث اليكم في هذا اليوم. أبي ورفاقه يرغبون في الاعلان عن زدهم على اقتراح بوثا اليكم اولا لأنهم مسؤولون امامكم قبل غيركم وعليكم سماع ارائهم بصورة مباشرة وليس عن طريق الآخرين من رجال السلطة.

وأبي لا يتكلم عن نفسه وعن رفاقه في سجن بولسمور فقط بل يتمنى ان تتاح له الفرصة للتكلم عن جميع السجناء من المعارضين لسياسة الفصل العنصري وعن جميع المبعدين والمنفيين وعن جميع الذين يعانون من العنصرية ويعارضونها وعن جميع المسحوقين والمستغلين. فهناك دمى ادعت انها تتكلم بالنيابة عنكم في هذا الكفاح وزعمت انها تعمل من اجلكم هنا وفي الخارج غير انها ليست هكذا وسوف لن يكون والدي ورفاقه مثلها.

يقول والدي: " انا عضو في المؤتمر الوطني الافريقي وكنت دائما عضوا فيه وسابقى هكذا الى يوم مماتي. واوليفر تامبو هو اكثر من اخ لي. انه اعز صديق ورفيق كفاح على

مدى خمسين عام. فأذا كان بينكم من يهمه امر حريتي فأن ذلك يهمه اكثر منكم جميعا: وانا على يقين انه على استعداد للتضحية بحياته من اجل حريتي وليس هناك اختلاف بيننا في الرأي ابدا.

اني اعجب للشروط التي تفرضها الحكومة لأنني لست بالرجل العنيف. وقد سبق وان كتبت طلبا مع رفاقي لمالان* سنة ١٩٥٢ نطلب منه حوارا على مائدة مستديرة لايجاد حلول لمشاكل بلدنا غير ان طلبنا اهمل. وعندما تولى سترجدوم السلطة كررنا الطلب الذي اهمل للمرة الثانية. وعندما جاء فيرورد طلبنا مؤتمرا عاما لشعوب جنوب افريقيا لتقرير مستقبلهم فأهمل هذا الطلب ايضا.

وعندما لم يتبق لدينا حلول اخرى للمقاومة لجأنا الى الكفاح المسلح.

دع بوثا يثبت انه يختلف عن مالان وستر جدوم وفيرورد.
دعه يرفض العنف...

ليقل انه سيلغي العنصرية...

ليطلق حرية عمل المنظمة االشعبية - المؤتمر الوطني الافريقي.

ليطلق سراح جميع السجناء والمبعدين والمنفيين الذين حوكموا لمعارضتهم سياسة الفصل العنصري ...

ليضمن النشاط السياسي الحر لكي يستطيع الشعب انتخاب حاكمه ورئيسه.

---

* رئيس الحكومة حينذاك (المترجمة)

وبقدر اعتزازي بحريتي فأن حريتكم هي اغلى عندي منها. لقد مات الكثيرون من اجل حريتهم التي احبوها وناضلوا من اجلها. فنحن مدانون امام اراملهم ويتاماهم وامهاتهم وابائهم الذين بكوا وحزنوا عليهم. فلم اكن وحدي الذي عانى من الوحدة والسجن طوال هذه السنوات الضائعة.

لست اقل منكم حبا للحياة غير انني لا استطيع بيع حق مكان مولدي ولا انا على استعداد لبيع حق مكان مولد الشعب ثمنا للحرية. فانا سجين يمثل الشعب ويمثل منظمتكم - المؤتمر الوطني الافريقي غير المجاز . فاية حرية تمنح لي وحزب الشعب محظور عليه؟ اية حرية تمنح لي وقد يلقى القبض علي بمخالفة اجتياز حدود المنطقة المخصصة لنا؟ اية حرية هذه التي تحتم علي العيش مع زوجة منفية محكوم عليها بالأقامة الاجبارية في براندفورت؟ اية حرية تحتم علي الحصول على ختم جواز سفري ليسمح لي بالتفتيش عن عمل ؟ اية حرية لا تحترم حق المواطنة في جنوب افريقيا التي هي ارضي وفيها ولدت ؟ ان التفاوض هو من حق الرجال الاحرار ولا يمكن للسجناء ان يفعلوا ذلك. لم يعط هيرمان تويفوجاتديفو* تعهدا عندما اطلق سراحه ولم يطلب منه ان يفعل ذلك.

فانا لا استطيع ان اقبل شروط بوثا ولايمكن ان اعطي تعهدا لذلك في وقت اكون فيه سجينا مثلكم. ان حريتكم هي حريتي ولا يمكن الفصل بينهما. لابد وانني عائد اليكم."

---

* زعيم المنطقة الشعبية لجنوب غربي افريقيا في ناميبيا.

مقتطفات من رسائل نيلسون وويني مانديلا بين سجن بولسمور وبراندفورت

مقتطف من رسالة نيلسون الى وني : ١٩٨٥/٢/٤

هزتني برقية زندزي التي تخبرني فيها عن موت نيكي* كثيرا ومازلت اعاني من الصدمة . مناسبات مثل هذه تجعلني افكر لو كان بوسعي ان ارى بوضوح الصعوبات والمحن الكثيرة التي تعرضت لها في غيابي لما كان بوسعي اتخاذ قرار تركك. مع ذلك اعتقد مخلصا بان قراري لم يكن سيتغير بل ربما سيأتي بعد تأمل وتردد لا كما جاء بذلك الشكل المفاجىء قبل اربع وعشرين سنة .

فانا أرى بان اهمية الزواج لا تكمن فقط بمقدار الحب المتبادل بين الزوجين - على الرغم من ان هذا هو احد الاركان الاساسية فيه - بل يكمن ايضا بالدعم المخلص الذي يتعهده الطرفان كل منهما للآخر - هذا الدعم الذي يجب ان يتوافر وبكل طاقاته في اللحظات العصيبة .

ان حبك واسنادك لي ودفء جسمك الطري والاطفال الذين وهبتهم للعائلة والاصدقاء الذين كسبت صداقتهم والأمل في الاستمتاع بكل هذا مرة اخرى عن قريب هو كل ما تعنيه الحياة والسعادة بالنسبة لي . فلدي من احبه ومن هو اهل للحب والثقة - هذه الانسانة التي منحتني حبها وصبرها ودعمها هي القوة والامل .

---

* اخت وني مانديلا

ولكن هناك لحظات يكون فيها هذا الحب والسعادة والثقة والأمل مصدر ألم ومعاناة وشعور بالذنب يهز كياني عندما افكر - اية عقيدة يمكن ان تكون عذرا كافيا لأهمال امرأة شابة تنقصها الخبرة في صحراء قاسية وقد القيت بها بالفعل في ايادي المجرمين وقطاع الطرق، هذه المرأة العظيمة التي وهبتني الكثير من الدعم والأمل في اوقات الحاجة والمحن .

ان هذا الألم المبرح يعذبني وانا افكر باننا فقدنا ما لا يقل عن اربعة من افراد العائلة في فترة قصيرة وهم س.ك ونالي ولنكايل والآن نيكي. انها لصدمة مؤلمة يصعب تحملها. اتمنى ان اكون معك لاضعك في حضني واذكرك بكل الاشياء الكبيرة والعظيمة التي يقترن بها اسمك واساعدك على نسيان المآسي التي اصابت العائلة بهذا الشكل المتكرر. فانا قلق جدا لانني اعلم مقدار اهتمامك بالناس وخصوصا افراد العائلة . فكيف ستكون ردة الفعل بالنسبة اليك تجاه كل مأساة ؟ هذا ما اقلقني منذ وصول برقية زندزي وسوف ابقى قلقا الى ان اراك .

نيلسون

مقتطف من رسالة وني الى نيلسون :

١٩٨٥/٢/٢٠

عدت باكرا في صباح هذا اليوم بعد اسابيع ثلاثة زخرت بما يثير العواطف بشكل لم اعهده في ايام فراقنا كلها . لدي شيء واحد انتظره واتشوق اليه - رسالة منك تعينني على مواجهة ايام سنة كاملة . كنت على يقين بان رسالتك ستعيد

بناء روحي الممزقة وتعيد لي ايماني بالشعب . ان لحظات من التشتت العاطفي والانغماس في الذات تشعرني بالخجل وانا افكر في هؤلاء الذين دفعوا ثمنا غاليا من احل معتقداتهم الايديولوجية . لقد سقط بعض هؤلاء في الكفاح وهم اعز عندي من حياتي كلها .

الرسالة المؤرخة ١٩٨٥/٢/٤ امامي، أعيد قراءتها مرات عديدة. وخلافا لما تصورت لا اعتقد بانني سأكون قادرة على تحمل هذه المصائب لو كنت معي . لقد قلت لي مرة بان اتوقع الحقيقة التي لا يمكن اجتنابها بان الكفاح يترك خلفه حطام احجار صلبة لا تتكسر . ومنذ ذلك الحين وطوال هذه السنوات قطعت عهدا مع نفسي الصغيرة بان لا اسمح لها ان تكون جزءا من المستنقع السياسي .

لو كانت الحياة تحتوي على هذه الاشياء التي تذكرها وتعتز بها فانا اشعر وبطريقتي البسيطة بان الحياة هي اهم واعظم وتتطلب من الانسان روحه واعماق ذاته . ولهذا فان الحب والدفء اللذين ينبعثان منك وانت خلف تلك الجدران الكونكريتية الرمادية القاسية والمملة يغمراني خصوصا عندما افكر بهؤلاء الذين حرموا من نعمة ذلك الحب باسم النضال .

انت تشير الى اللحظات التي ينقلب فيها الحب والسعادة والايمان والأمل الى الم ومعاناة ، وعندما يمزقك عذاب الضمير . هذا صحيح ياحبيبي . لقد فقدت الكثير مما لو كان عزيزا علي في سنوات فراقنا . لقد عشت انت وحيدا وعشت انا كذلك وانا عروس شابة صغيرة في وقت لم اكن اعرف فيه معنى الحياة الزوجية . كنت اتشبث باصغر الاشياء التي اجد فيها العزاء والانقاذ من الاهانات التي كانت تمزقنا . ولكن على الرغم من كل ما فقدناه ما زال الموت بالنسبة لنا موضع

اجلال واحترام .

انا فخورة برسالتك* لنا . لا ادري كيف ستكون ردة الفعل عندي لو اخبروني عندما آتي لزيارتك بانك قبلت الشروط مع ولتر والاخرين في سجن بولسمور وانهم اطلقوا سراحك وطلبوا مني ان اخذك معي الى البيت .

ونـي

---

* رسالة مانديلا للرئيس بوثا التي رفض فيها اطلاق سراحه بشروط وضعتها له الحكومة. وقد قرأت هذه الرسالة ابنته زندزي على حشود من الناس اجتمعت في ملعب جوبلاني في سويتو.

الملاحق

- ١ -

دستور الحرية

اعد الدستور من قبل اللجنة الفرعية للمجلس التشريعي الوطني ومن اسهامات ومقترحات تقدمت بها جماعات وافراد واجتماعات موسعة في جميع انحاء جنوب افريقيا . وتمت المصادقة عليه من قبل المجلس التنفيذي للمؤتمر الوطني الافريقي واقره مؤتمر الشعب الذي عقد في كلبتاون قرب جوهانزبرغ في ٢٥ - ٢٦ حزيران ١٩٥٥ .

تم التصويت على فقرات الدستور من قبل المؤتمرين وذلك برفع الايدي والهتاف بـ " افريقيا " .

مقدمة الدستور

نحن شعب جنوب افريقيا نعلن لشعوب بلادنا وللعالم اجمع ما يلي :

١ - ان جنوب افريقيا هي وطن لكل الذين يعيشون فيها سودا وبيضا وليس لأية حكومة الحق في فرض سلطتها الا اذا جاءت بارادة الشعب .

٢ - لقد سلبت شعوبنا من حق المواطنة بالولادة وكذلك من حريتها وامنها من قبل حكومة دستورها اللا عدل واللامساواة .

٣ - سوف لن تزدهر البلاد او تتحرر ما لم تعش شعوبنا باخوة وتتمتع بالمساواة في الحقوق والامتيازات .

٤ - لا يمكن ان يضمن للشعب حق المواطنة بالولادة من غير تمييز في اللون والعرق والجنس والمعتقد ما لم يكن له حكومة ديمقراطية تمثل ارادته .

لذلك نحن شعب جنوب افريقيا من السود والبيض نؤيد ونقر دستور الحرية كأخوة ومواطنين متساوين في الحقوق ونعاهد انفسنا للكفاح سوية باذلين كل طاقاتنا وما نملك من شجاعة واقدام لنيل مطالبنا الديمقراطية المذكورة .

الحكم بيد الشعب !

١ - سيكون لكل رجل وامرأة حق التصويت وحق تمثيل الجهات التي تشرع القوانين .
٢ - سيكون للجميع حق الاشتراك في ادارة البلاد .
٣ - ستكون الحقوق متساوية من غير تمييز في العرق واللون والجنس .
٤ - سيحل جهاز حكم ديمقراطي ذاتي بدل الهيئات الاستشارية والمجالس وهيئات الاقليات .

حقوق متساوية للفئات الوطنية

١ - لجميع الفئات والاجناس حقوق متساوية امام القانون - في الدوائر الحكومية والمحاكم والمدارس .
٢ - من حق كل فئة استعمال لغتها القومية والحفاظ على تراثها وتقاليدها .
٣ - ستكون جميع الفئات القومية في حماية القانون ضد

الاهانات التي تمس كرامتها الوطنية والقومية والعرقية.

٤ - العمل على ترويج التمييز العنصري والقومي واللوني واحتقار بعض الاجناس جريمة يعاقب عليها القانون .

٥ - الغاء جميع قوانين الفصل العنصري .

ثروة البلاد للشعب

١ - اعادة الثروة الوطنية لبلادنا التي ورثها الشعب في جنوب افريقيا الى الشعب .

٢ - تعاد الثروة المعدنية في باطن الارض وفي البنوك والاحتكارات الصناعية الى الشعب .

٣ - السيطرة على الصناعات الاخرى والنشاطات التجارية من اجل رفاه الشعب وانعاش الشعب .

٤ - سيكون لأفراد الشعب كافة حقوق متساوية في مزاولة التجارة اينما شاؤا وكذلك في التصنيع والاعمال الحرفية والمهنية .

الارض لمن يعمل فيها !

١ - يلغى قانون تحديد ملكية الارض على الاسس العنصرية وتقسم الارض بين هؤلاء الذين يعملون فيها من اجل القضاء على المجاعة والحرمان من امتلاك الارض بالنسبة لمن يرغب في ذلك .

٢ - ستساعد الدولة الفلاحين بالمكائن والبذور والوسائل الزراعية الاخرى والسدود من اجل اصلاح التربة وتهيأتها للفلاحين .

٣ - ستضمن حرية التنقل للعاملين على الارض وسيكون لهم حرية اختيار المكان الذي يرغبون فيه .

٤ - سوف لن تسرق مواشي الشعب وسوف لن يطلب من الفلاحين القيام باعمال اجبارية وستلغى السجون في المزارع.

المساواة امام القانون

١ - سوف لن يسجن او ينفى او تحدد اقامة احد من غير محاكمة عادلة .

٢ - ليس من حق اي موظف حكومي الحكم على اي فرد من افرا الشعب من غير محاكمة وان هذا يقتصر على المحاكم التي تمثل الشعب .

٣ - ستكون احكام السجن للجرائم الخطيرة التي ترتكب ضد الشعب وسوف تكون السجون اصلاحية لا انتقامية .

٤ - تلغى جميع القوانين المشرعة على اساس الفصل العنصري والتمييز في اللون والعرق والعقيدة .

التمتع بحقوق الانسان المتكافئة

١ - سيضمن القانون للجميع حق الكلام والتنظيم والاجتماع والنشر والوعظ والعبادة والتعليم .

٢ - سيحمى القانون حرمة البيوت من هجمات البوليس .

٣ - سيكون لكل فرد الحرية في السفر والتنقل من الريف الى المدينة او بالعكس من غير قيود وكذلك من اقليم الى آخر ومن جنوب افريقيا الى خارجها .

٤ - يلغى قانون التنقل وجميع القوانين الاخرى والقيود التي تحدد الحرية الفردية في التنقل والسفر .

فرص العمل والضمان الاجتماعي

١ - سيكون للعمال الحق في تشكيل نقابات وانتخاب من ينوب عنهم والتفاوض مع ارباب العمل بشأن اجورهم .
٢ - ستعترف الدولة بحقوق وواجبات جميع العمال وكذلك بحقهم في الافادة من قانون الضمان عند البطالة .
٣ - ستكون اجور العمل للرجال والنساء للاجناس كافة متساوية وتحدد الاجور بالنسبة للعمل المنجز وليس بالنسبة للجنس أو العرق .
٤ - ستكون ساعات العمل (٤٠) ساعة في الاسبوع كحد ادنى للأجر ويتمتع العامل باجازة سنوية باجور كاملة مع اجازات مرضية لجميع العمال وكذلك اجازات ولادة باجور كاملة لجميع الامهات العاملات .
٥ - سيكون عمال المناجم وخدم البيوت وعمال الحقول والموظفين متساوين في الحقوق المذكورة .
٦ - يلغى قانون تشغيل الاطفال والعمل الجماعي والعمل بموجب عقود جماعية .

الثقافة والتعليم

١ - تقوم الحكومة باكتشاف المواهب القومية وتطويرها وتشجيعها من اجل دعم وتعزيز حياتنا الثقافية .
٢ - ستكون الكنوز الثقافية البشرية متيسرة للجميع بواسطة تبادل الكتب والافكار والاتصال المباشر باقطار العالم الاخرى .
٣ - ستكون الغاية من الثقافة تعليم الناشئة حب التراث

والشعب وتمجيد الاخوة والحرية والسلام .

٤ - سيكون التعليم مجانيا والزاميا ، عاما وموحدا لجميع الاطفال .

٥ - ستكون فرص التعليم العالي والتدريب المهني متيسرة للجميع بواسطة المخصصات الحكومية والمنح الدراسية التي تمنح على اساس التفوق العلمي .

٦ - القضاء على الامية ومحوها بالنسبة للبالغين بواسطة خطة تعليمية حكومية عامة وشاملة .

٧ - يتمتع المدرسون بجميع الحقوق التي يتمتع بها المواطنون الآخرون .

٨ - يلغى التميز العنصري في الحياة الثقافية - في التعليم والرياضة .

ضمان المأوى والأمن والاستقرار

١ - سيكون لكل فرد من افراد الشعب الحق في اختيار مكان سكناه وسيوفر لهم جميعا سكن محترم من اجل بناء العائلة وتربية الاطفال في راحة وامان .

٢ - تستغل اماكن السكن غير المستعملة لمن لا بيت له .

٣ - تخفض الايجارات ويوفر المأكل للجميع من اجل القضاء على المجاعة .

٤ - وضع خطة حكومية لتوفير الخدمات الطبية - العلاجية و الوقائية المجانية للجميع مع الاهتمام الخاص بالامهات والاطفال .

٥ - هدم المناطق السكنية الفقيرة وتشييد مناطق سكنية جديدة وطرق ووسائل مواصلات للجميع وكذلك الاضاءة والملاعب ومراكز ترفيهية ودور حضانة .

٦ - ستتولى الدولة رعاية الشيوخ والايتام والمعاقين والمرضى .
٧ - سيكون للجميع الحق في التمتع باوقات فراغ وراحة وترفيه.
٨ - القضاء على الغيتوات (اماكن السكن الفقيرة) والاماكن السكنية المسيجة و كذلك القوانين التي تفصل بين افراد العائلة الواحدة* .

الاخوة والسلام

١ - ستكون جنوب افريقيا دولة مستقلة استقلالا كاملا تحترم حقوق وسيادة كل الشعوب .
٢ - ستعمل جنوب افريقيا من اجل السلام العالمي وفض النزاعات الدولية بالتفاوض لا بالحرب .
٣ - ستضمن العدالة والمساواة وفرص العمل في جو من الاخوة والسلام بين افراد الشعب .
٤ - ستكون شعوب المحميات - باسوتولاند وبيكوانالاند وسوازيلاند حرة في تقرير مستقبلها.
٥ - سيعترف بحق شعوب افريقيا في الاستقلال والحكم الذاتي على اساس التعاون الودي .

---

* (كان قانون الرق والعمل يهدداستقرارافراد العائلة عندما يباع الاب مثلا الى اصحاب المزارع للعمل بموجب عقود لسنوات طويلة او قد يستمر ذلك مدى الحياة ولم يسمح لهؤلاء الخروج من المنطقة المخصصة لهم أو السفر او التجوال) . المترجمة

ليردد معنا كل الذين يخلصون لشعوبهم ولبلادهم:

" سنقاتل من اجل هذه الحريات والامتيازات جنبا الى جنب طوال حياتنا حتى ننال حريتنا . "

- ٢-
نسخة من حكم الحظر على وني مانديلا

الى : نومزامو وني مانديلا
٣٩٨١٠٧٣
٨١١٥ اورلانــدو
جوهانزبرغ

بموجب المادة ٩ (١) من قانون الامن الداخلي لسنة ١٩٥٠ (قانون ٤٤ لسنة ١٩٥٠)

انا جيمس توماس كروكر وزير العدل مقتنع بان لك نشاطات تعرض الأمن للخطر . لذلك امنعك بموجب المادة ٩ (١) من قانون الأمن الداخلي لسنة ١٩٥٠ وللفترة بين استلامك هذا الأمر او تقديمه لك رسميا وتأريخ نفاذه في ٣١ كانون الأول ١٩٨١ من الاشتراك بما يلي في جنوب افريقيا او في جنوب غربي افريقيا :

١ - اي اجتماع مشار اليه في الفقرة (أ)من المادة ٩ (١) أو في الفقرة (ب) من المادة ٩ (١) من الاجتماعات ذات الطبيعة المشار اليها ادناه :

(أ) الاجتماعات التي يكون للمجتمعين فيها صلات اجتماعية **مع بعضهم .**

٢ - التواجد في

(أ) منطقة بانتو مثل :

١ - المناطق المصنفة على انها ارض بانتو بموجب قانون اراضي البانتو ١٩١٣ (قانون ٢٧ لسنة ١٩١٣)

٢ - منطقة البانتو التي يملكها اتحاد الشركات الاحتكارية المشار اليها في المادة (٤) من قانون اتحاد الشركات الاحتكارية لسنة ١٩٣٦ (قانون ١٨ لسنة ١٩٣٦) والتي هي المالك الشرعي للمناطق المخصصة من قبل هذه الشركات لمجتمع البانتو القبلي المشار اليه في قانون اتحاد الشركات الاحتكارية لسنة ١٩٣٦.

٣ - اي فندق بانتو او قرية بانتو او اي موقع مصنف على انه منطقة بانتو بموجب قانون دمج مناطق البانتو المدنية لسنة ١٩٤٥ (قانون ٢٥ لسنة ١٩٤٥) .

٤ - اية منطقة مسموح بها لسكنى البانتو بموجب المادة ٩ (٢٠) (هـ) من قانون دمج مناطق البانتو المدنية لسنة ١٩٤٥ (قانون ٢٥ لسنة ١٩٤٥) .

٥ - اية مستوطنة بانتو مشيدة بموجب قوانين ادارة وسيطرة المستوطنات في مناطق البانتو المعلن عنها بالبيان المرقم ٢٩٣ (ر) في ١٦ تشرين الثاني ١٩٦٢. وماعدا اورلاندو :

(ب) اية مجموعة سكنية للبانتو .

(ج) المناطق المخصصة لسكنى الملونين والاسيويين بموجب القانون .

(ء) المناطق الصناعية المصنفة في قانون المصانع والمكائن واعمال البناء لسنة ١٩٤١ (قانون ١٩٤١٢٢) .

(هـ) الاماكن التي يتم فيها طبع وتجميع ونشر المطبوعات التي يحددها قانون الامن الداخلي لسنة ١٩٥٠.

(و) المكان الذي تتواجد فيه اية منظمة يذكرها البيان الحكومي رقم ٢١٣٠ (ر) في ٢٨ كانون الأول ١٩٦٢ والمعدل بالبيان رقم ١٩٤٧ في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٦٤.

(ز) مكان او موقع جامعة خاصة او حكومية او كلية جامعة او كلية او مدرسة او معهد ثقافي .

(ح) المكان او المنطقة الذي تقع فيه (فيها) محكمة عليا او دنيا والمصنفة في قانون الاجرام لسنة ١٩٥٥ (قانون ٥٦ لسنة ١٩٥٥) الا اذا كان الحضور للاسباب التالية :

١ - في حالة تقديم طلب الى الحاكم لايقاف المنع القائم بموجب قانون الامن الداخلي لسنة ١٩٥٠.

٢ - حضور محاكمة جنائية حيث يطلب منك الحضور كمتهمة او شاهدة .

٣ - حضور محاكمة مدنية كمستدعية او مدعى عليها أو الحضور كشاهدة عن اي طرف او جهة .

٣ - منعك من النشاطات التالية :

(أ) تحضير أو تجميع أو طبع أو نشر أو توزيع أو نقل

المطبوعات المشار اليها في قانون الأمن الداخلي لسنة ١٩٥٠.

(ب) المساعدة باي شكل من الاشكال في تحضير او تجميع او طبع او نشر او توزيع او نقل المطبوعات المشار اليها في قانون الامن الداخلي لسنة ١٩٥٠.

(ج) الاسهام او التبرع لتحضير او تجميع او توزيع المطبوعات المشار اليها اعلاه .

(د) المساعدة بأي شكل من الاشكال في تحضير وتجميع ونشر ونقل المطبوعات المشار اليها.

(هـ)١- تحضير وتجميع وطبع ونشر وتوزيع وترويج اية وثيقة او مطبوعات (تشمل الكتب والكراسات والقوائم والبوسترات والرسوم والصور الفوتوغرافية التي تختلف عما هو مذكور في الفقرة ٣ (أ) اعلاه وباي شكل من الاشكال .

٢- الاشتراك او المساعدة باي شكل من الاشكال في تحضير وتجميع وطبع ونشر وتوزيع وبث اية وثيقة تحتوي على :

(أأ) اي شكل من اشكال الحكم او سياسة معينة والترويج لها او الدفاع عنها او مهاجمتها او انتقادها او مناقشتها.

(ب ب) اي شيء له علاقة بشخص او منظمة او جماعة او جمعية او معهد او حركة غير شرعية بموجب قانون الامن الداخلي لسنة ١٩٥٠ او بموجب قانون المنظمات والجمعيات الممنوعة لسنة

١٩٦٠ (قانون ٤٣ لسنة ١٩٦٠) او اية منظمة محظورة بموجب المرسوم الحكومي المرقم ٢١٣٠ (ر) والمؤرخ في ٢٨ كانون الاول ١٩٦٢ والمعدل بالبيان المرقم ١٩٤٧ (ر) والمؤرخ في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٦٤ .

(ح ج) اي شيء قد يثير الكراهية بين السكان البيض وغير البيض في جمهورية جنوب افريقيا .

(و) القيام بتعليم اي شخص باي شكل من الاشكال عدا الابناء .

(ز) الاشتراك في نشاطات لمنظمة محظور عليها بموجب المرسوم الحكومي المرقم ٢١٣٠ (ر) والمؤرخ في ٢٨ كانون الثاني ١٩٦٢ والمعدل بالبيان المرقم ١٩٤٧ (ر) والمؤرخ في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٦٤ .

- الاتصال باي شخص باي شكل من الاشكال من الاشخاص الذين هم في قائمة المكفولين المشار اليهم في الفقرة (٨) من قانون الامن الداخلي لسنة ١٩٥٠ او من الذين تم عليهم الحظر بموجب قانون الامن الداخلي لسنة ١٩٥٠ او بموجب قانون التجمع التظاهري لسنة ١٩٥٦ (قانون ٧ لسنة ١٩٥٦) المعمول به.

٥ - استقبال ضيوف في الاماكن المشاراليها اعلاه عدا :

(أ) الطبيب الذي يقوم بالزيارة من اجل تقديم الخدمات الطبية لك او لافراد عائلتك على ان لا يكون اسمه قد ورد في قائمة المكفولين المشار اليهم في الفقرة(٨) من قانون الامن الداخلي لسنة١٩٥٠ او من الذين قد تم عليهم الحظر بموجب قانون الأمن الداخلي لسنة ١٩٥٠ او بموجب قانون التجمع التظاهري لسنة ١٩٥٦ .

(ب) بنتيك زيناني وزندزسوا .
يسلم بامرنا الى المتهمة في كيب تاون في ٢٣ كانون الاول ١٩٧٦.

التوقيع

كروكر
وزير العدل

ملاحظة: يخول حاكم جوهانزبرغ بموجب المادة ١٠(١) من القانون المرقم (٤٤) لسنة ١٩٥٠ لاجراء الاستثناءات لما ورد من المحظورات في هذا الامر

شروط زيارة نيلسون مانديلا في سجن روبن آيلاند
بطاقة الزيارة (تجدد في كل زيارة)

السيد /السيدة/ الآنسة/ : وني مانديلا
العنوان : فور تريكر
برايدفورد
٩٤٠٠
التاريخ : ١٩٧٩/٢/١
التوقيع : الموظف المختص في قوى الامن
مدير السجن الحقيبة الخاصة
في روبن آيلاند
رقم ٧٤٠٠

الاستمارة التي يقدمها السجين للسماح له بزيارة زوجته او ذويه :

رقم السجين واسمه : ٤٦٦ / ٦٤ نيلسون مانديلا
تمنح رخصة لزيارة روبن آيلاند في ١٩٧٩/٢/١٠ للاسباب المذكورة وللاشخاص المذكورة اسماؤهم ادناه :
(أ) وني مانديلا رقم الهوية ٣٩٦٨٧٣
(ب) .... رقم الهوية ......

١ - تسلم رخصة الزيارة في ميناء كيب تاون الى الموظف المختص قبل الابحار الى الجزيرة .
٢ - لا يسمح للاطفال دون السادسة عشرة من العمر زيارة اقاربهم واصدقائهم في روبن آيلاند .
٣ - تبرز الهوية الشخصية للضابط المسؤول في الميناء .
٤ - لا يسمح بالزيارة الا عند ابراز الهوية والا فسيلغى الترخيص .
٥ - تبحر السفينة من الرصيف رقم (٥) في الساعة ١٣ وتعود الى كيب تاون في الساعة ١٧ و ٤٥ دقيقة .

التوقيع
ضابط السيطرة.

ملاحظة : يكون الترخيص ساري المفعول في حالة حصوله من الحاكم في براندفورت من اجل السفر الى سجن روبن آيلاند ولزيارة زوجك فقط .

شروط سفر وني مانديلا من براندفورت الى سجن روبن آيلاند والعودة من السجن الى براندفورت

وزارة العدل ـ جمهورية جنوب افريقيا.

مكتب الحاكم في براندفورت - في ٣ حزيران ١٩٨٠

السيدة وني مانديلا
المستوطنة السوداء
رقم الدار ٨٠٢ براندفورت
٩٤٠٠

اشارة الى طلبك المؤرخ ١٩٨٠/٥/٢٦ نوافق على منحك ترخيصا لمغادرة منطقة براندفورت يوم الجمعة المصادف ١٩٨٠/٦/٦ الى كيب تاون فقط من اجل مواصلة السفر من هناك الى روبن آيلاند لزيارة زوجك السجين في ٧ و ٨ /١٩٨٠/٦ وبموجب الشروط التالية :

(أ) عدم مغادرة مسكنك المرقم ٨٠٢ في المستوطنة السوداء في براندفورت قبل الساعة ١٧ من يوم ١٩٨٠/٦/٦ .

(ب) مراجعة مركز شرطة براندفورت قبل المغادرة من براندفورت وعند العودة اليها .

(ج) السفر بالطائرة في الرحلة ٣٢٩ س أ التي تغادر مطار هرتزوك ج ب م من بلومفونتين الى كيب تاون في الساعة ١٩ وعدم التجوال خارج منطقة مطار هرتزوك ح ب م .

(ء) العودة من كيب تاون الى بلومفونتين في رحلة الطائرة ٣٢٦ التي تغادر كيب تاون في الساعة ١٨-٢٠ يوم ١٩٨٠/٦/٨ .

(هـ) اتخاذ اقصر الطرق بين مكان اقامتك ومطار هرتزوك ج ب م في الذهاب والاياب.

(و) مراجعة مركز الشرطة في ساحة كاليدون عند الوصول وعند مغادرة كيب تاون واقتصار تجوالك بين مطار مالان د ف وساحة كاليدون - مركز الشرطة والميناء ومكان اقامة صديقتك ومضيفتك الدكتورة عائشة احمد الساكنة في شارع السيسريفير رقم (٣٩) * على ان تتخذي اقصر الطرق بين هذه الاماكن .

(ز) تنظم وقت الزيارة مع مسؤولي السجن في ٧ و١٩٨٠/٦/٨.

(ح) العودة مباشرة الى منزلك في المستوطنة السوداء في براندفورت بعد وصول الطائرة الى مطار هرتزوك وحصر تنقلاتك من والى المطار فقط .

(ط) الالتزام بما تبقى من شروط في بيانات الحظر .

التوقيع
حاكمة براندفورت
السيدة اي.جي.ام.نيمان

---

* على وني الاقامة لفترة قصيرة في كيب تاون وحاجتها الى عنوان ثابت فقد اضطرت الى الاقامة عند صديقتها الدكتورة عائشة احمد. (المترجمة)

الفهرست

يصــدر راهنا

* على لائحة الانتظار
مجموعة قصصية..ديـزي الأمير

* البئر الاولى
سـيرة ذاتية.. جبرا ابراهيم جبرا

* البعــد ألاخيــر
شـعـر ... لميعة عباس عمارة

* غذاء طفلي
تـربية ... لورنـــس بيرنو
تـرجمـة : مها محمد

يصــدر قريبا

٢

* أي شـــنغ
من التراث الصيني القديم
ترجمة :سهى أحمد حافـظ

* تسكع بين باريس ولندن
سيرة ذاتية..جورج اورويل
ترجمة..سعد الحسني

* ذكريات ، احلام وتأملات
سيرة ذاتية... كارل يونـغ
ترجمة : ناصرة السعدون

* الكمنجات أحيانا
مسـرحية : فرانسواز ساغان
ترجمة : خليل خوري

* رحلة شتاء
مجموعة قصصية..سومرست موم
تـرجمـة : نيران ناجي

* المودولور
عمارة...... لـوكـوربوزييه
ترجمة :عطا عبد الوهاب

* الوشـم
رواية..عبد الرحمن مجيد الربيعي



Winnie Mandela



انني ومنذ زمن
بعيد لاأعيش كفرد،
فالمباديء والاهداف
السياسية التي
أمثلها هي مباديء
واهداف الشعب في
هذه البلاد ...
عندما يرسلونني
الى المنفى فهم لا
يبعدون شخصا كما
يعتقدون انما
يبعدون الاهداف
السياسية التي
نكافح من أجلها ،
غير ان التاريخ لم
ولن يسمح لهم
بذلك .

وني مانديلا

وني مانديلا

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٩٨) لسنة ١٩٩٠

بيت سين للكتب
بغداد - هاتف ٥٤١٨٩٤٥

مطبعة دانا - بغداد

السعر ٥٠٠ــ١ دينار